محمد ﷺ

الرحمة المهداة

كما لا يعرفه الآخرون


بسم الله الرحمن الرحيم

محمد صلى الله عليه وسلم

الرحمة المهداة

كما لا يعرفه الآخرون

تأليف

خديجة النبراوي

الباحثة الإسلامية

والحائزة على جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الإسلامية

الطبعة الأولى

٢٠١٠م

اسم الكتاب: محمد ﷺ الرحمـة المهـداة
كما لا يعرفه الأخرون

اسم المؤلف: خديجة عبدالله عبدالله النبراوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٩/٨٠٧٨

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 622-4000375300



دار العواصم للنشر والتوزيع

حي السفارات - مدينة نصر.

هاتف: ٢٢٧٥٦١٣٢ فاكس: ٢٢٧٢٠٦٩٠ موبايل: ٠١١١٩٥٣٦٦٣

URL: http://www.Elawassem.com

Email: Elawassem@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم عام

إنها حقًا لمهمة عسيرة، وحيرة شديدة تنتاب أي باحث مخلص عند التكلم عن نبي الرحمة ، رسول الإسلام محمد ﷺ وخاصة عند التعريف به للغربيين ، وسبب تلك الحيرة ينبع من اتساع وعظمة المبادئ التي أرساها معلم البشرية الأكبر محمد ﷺ ؛ فهل نتكلم عن دوره في تفجير ينابيع الرحمة في القلوب وترجمتها سلوكًا في جميع الميادين بما في ذلك الميدان السياسي والعسكري ؟

أم نتكلم عن دوره في إرساء دعائم العدل بمفاهيم جديدة على البشرية تشمل عدل الحكام مع الرعية ، والعدل في القضاء وإصدار الأحكام ، إلى العدل الاجتماعي المتمثل في معاملات جميع طوائف الشعب مع بعضها ؟

أم نتكلم عن دوره في دق أجراس الحرية في أذن التاريخ ونشر السلام والمحبة؛ فأحيا نفوسًا من العدم ذاقت الذل والاضطهاد في ظل قوانين العبودية ، وذاقت الحروب والويلات في ظل أطماع المصالح الاقتصادية ؟

أم نتكلم عن دوره وهو يقود بناء الأمة الإسلامية ؛ فيضرب المثل الأعلى في مواصفات القيادة للشعوب والأمم بما لا يمكن أن ترتقي إليه أية قوانين مهما ادَّعت الحضارة والتقدم ؟

هل نعرفه بنبض قلوبنا، أم باقتناع عقولنا ؟ هل نعرفه كنبي عمَّر قلبه بكل معاني النبل والإخاء والحب والارتقاء والتحرز من كل قيود التعلق بغير الله ؟ أم نعرفه كمصلح وضع أعظم القوانين السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية لتحقيق الرقي في المجتمعات ؟

وهنا يثور السؤال التالي :

بماذا تميزت الشخصية المحمدية عن الرسل السابقين ؟

ونقول : تميزت شخصية النبي محمد ﷺ بمميزات فريدة تتفق مع رسالته التي تعتبر خاتمة الرسالات التي تربط الأرض بالسماء ، وتجيب على تساؤلات الإنسان : من أنا ؟ ولم خلقت ؟ وما المطلوب مني؟[١]

ويمكن إيجاز تلك المميزات فيما يلي :

- أن كل نبي كان يبعث إلى قومه خاصة ، أما النبي محمد ﷺ فبعث إلى الناس عامة ، وذلك لأنه خاتم الرسل والأنبياء ، فتميزت دعوته بالنضج والاكتمال الذي يتلاءم مع تطور البشرية ونضجها.كما تميزت حياته ورسالته بالتأريخ لهما بدقة وأمانة منذ زمن مبكر مما لم يتوافر لأي نبي آخر[٢] ، مما جعل رسالته تحظى بالثقة التي تتناسب مع كونها خاتمة الرسالات وتمام كمالها ، كما قال ﷺ : "مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون غيرها، فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة فتم بي البنيان وختم بي الرسل"[٣].

- ومن أجل عالمية رسالته - حيث إنها للبشرية جمعاء فقد أصبح الإخاء الإنساني والرحمة للبشرية جمعاء هما أساس الشريعة في المعاملات لتحقيق الحضارة الإسلامية في أجلى صورها ؛ قال رسول الله ﷺ للمجتمعين يدعوهم إلى السلام العام والرحمة العامة : "لن تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على ما تحبون عليه أفشوا السلام بينكم، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا" قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم؟ قال: "إنه ليس برحمة أحدكم خاصة، ولكن رحمة العامة رحمة العامة"[٤].

---

[١] كليات رسائل النور – بديع الزمان سعيد النورسي .
[٢] سيرة النبي محمد ﷺ – كارين أرمسترونج – دار سطور للطبع والنشر .
[٣] أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٤/ ٣١٦.
[٤] أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٨٥، وأبو يعلى في مسنده ٧/ ٢٥٠، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ١٤٠.

وهذا عكس كل رسالة سابقة حيث تهتم بالحب والرحمة بين أبنائها فقط ؛ بل هناك بعض التشريعات اليهودية تطلب العداء مع الآخرين. أما رحمة الإنسانية جمعاء فتتفق مع هدف صاحب الرسالة الذي قال له الله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

- إن كل الرسل السابقين كانوا يقفون عند حد الدعوة الدينية يبلغونها للناس عن طريق الجدل والمعجزات ، ثم يتركون لمن بعدهم من الساسة وذوي السلطان أن ينشروا هذه الدعوة بالمقدرة السياسية وبالدفاع عن حرية الناس في الإيمان بها ، ولو دفاعا مسلحا فيه الحرب والقتال، حيث انتشرت المسيحية على يد الحواريين من بعد عيسى ، فظلوا ومن تبعهم يعذبون ، حتى جاء من الملوك من لان قلبه لهذا الدين فآواه ونشره .. وكذلك كان أمر سائر الأديان في شرق العالم وغربه .. أما محمد ﷺ فقد أراد الله أن يتم نشر الإسلام وانتصار كلمة الحق على يديه ، فكان لذلك الرسول والسياسي والمجاهد والفاتح ، وفي كل هذا كان عظيما . وكان مثل الكمال الإنساني على ما يجب أن يكون[١] .

- لقد تميزت الشخصية المحمدية بالتوازن الذي يتفق مع تعدد المجتمعات واختلاف الميول والعادات ، فهو لا يدعو إلى اعتزال العالم أو العفو والمغفرة المتناهيين اللذين لا يتلاءمان مع طبيعة البشرية في الميل إلى القصاص الذي يرضي النفوس ويهدئ من لوعتها . بل يدعو إلى الإيجابية في الحياة وتدفق مشاعر الرحمة في القلوب مع إقامة موازين العدل حتى لا يتحقق الضعف والاستكانة في المجتمعات . ولذلك عندما سألوا أعرابيا منذ ١٥٠٠ سنة لماذا آمنت بمحمد : قال لأنه ما أمر بشيء وقال العقل ليته ما أمر، وما نهى عن شيء وقال العقل ليته ما نهى[٢] .

نشأ محمد ﷺ في مكة في أشرف قبيلة يعرف نسبها العريق إلى آخر ما تعرف العرب من سلسلة الأنساب ، وعاش بينهم أربعين عاما قبل بعثته ، اشتهر فيها بالأمانة والصدق وحسن المعاشرة نتيجة حسن الخلق ، مما هيأ المناخ لكي يؤمن به المحيطين به لثقتهم العظيمة في أخلاقه؛ولأنهم ما جربوا عليه كذبا قط ، وهذا خلاف

---

[١] حياة محمد . د. محمد حسين هيكل ص١٨٩ – مكتبة الأسرة ١٩٩٧ .
[٢] المرجع السابق .

ما سبقهم من الرسل، حيث لم يعرف على وجه التحديد أنسابهم، علاوة على أن ظروف ولادة عيسى أدت إلى تأليهه من أتباعه فيما بعد .

- كما تميزت الشخصية المحمدية بأنها استطاعت التأثير في أصحابها إلى أبعد مدى؛ لأنه منهم ويتكلم بلغتهم ويتميز برجاحة العقل وسعة القلب ويأتيه الوحي من السماء يسدد خطاه ويثبته •• وتعاظم ذلك التأثير بعد الهجرة إلى المدينة حيث لم تكن هناك حكومة تمثل عراقيل في بناء أمة الإسلام مما أتاح تفاعل الرسول مع أصحابه قلبا وقالبا ، حيث اندمج المجتمع الإيماني مع رسوله في ظل مناخ رائع من الحرية والشورى والعدل والمساواة والرحمة ، مما لم يتوافر لأي رسول قبله •

- ونتيجة عظمة الشخصية المحمدية وعظمة رسالته فقد ظلت الشعوب الإسلامية صاحبة الحضارة الغالبة ، وصاحبة السيادة على العالم المعروف كله قرونا متوالية ، كانت فيها محط رجال العلم والعلماء ، وموئل الحرية التي لم يعرفها الغرب إلا منذ أمد قريب وإذا أمكن أن ينسب انحطاط طائفة من الشعوب إلى الدين الذي تؤمن به فلا يمكن أن يكون هذا الدين هو الإسلام الذي حفز بدو شبه جزيرة العرب ، وفجر الطاقات الكامنة فيهم وجعلهم ينطلقون لإعلاء كلمة الحق وما تحمله من معاني إيمانية سامية ، ومشاعر قلبية متدفقة بالحب والرحمة والعدل ، مما مكن لهم من حكم العالم وتكوين أكبر إمبراطورية في خلال قرن من الزمان على حين أن الإمبراطورية الرومانية بعتادها وجيوشها وإمكانياتها المادية التي تفوق المسلمين بمراحل لم تتمكن من تكوين إمبراطوريتها التي تقل في اتساعها عن أمة الإسلام إلا خلال قرنين من الزمان[١] .

- إن الباحث في شخصية الرسول ﷺ ليبهره ذلك الميراث الروحي والعقلي الذي يضيء للإنسانية بأسرها طريق الأمل والإصلاح مما يجعله يسعى للاستفادة من تلك الشخصية الفريدة التي أرست أغلى معاني الحياة ، وفجرت الثورة الروحية التي انتشرت في العالم ، وحققت اتصال القوى الإنسانية بحقيقة الكون العليا ؛ مما أدى إلى معرفة أسرار الكون النفسية والروحية وجعل للإسلام الفضل الكبير في إرساء الحجر الأول في أساس الحضارة الأوروبية ..... وهذا يقودنا إلى سؤال آخر وهو :

---

[١] الإسلام والقوى الدولية • د • حامد ربيع - دار الموقف العربي •

ماذا استفادت البشرية من البعثة المحمدية ؟

- في ظل ظروف الحرية التي تمتعت بها الدعوة الإسلامية بعد انتقالها إلى المدينة ؛ استطاع الرسول ﷺ أن يقيم دعائم أمة على مبادئ راسخة سامية انتقلت عبر الفتوحات الإسلامية إلى الإنسانية جمعاء حيث أخرجتها من عصور الظلام التي كانت تعيشها ، وعلمتها ارتقاء النفس في عالم الروح وانتصارها على طغيان المادية وشهواتها المقيدة لهذا الارتقاء ؛ حيث كان تهجده وسهره الليل وترتيله ما أنزل عليه، ودوام نظره في السماوات والأرض ، وفي توجهه الدائم لله وحده ، والتماسه حياة الكون كله في أطواء نفسه ودخيلة حياته ؛ كل هذا جعله مثلاً للذين تاقت نفوسهم للطهر والترقي ؛ لأنه دعوة إلى الحق والخير والجمال مجردة عن كل الأطماع الدنيوية ، وسامية في غاياتها وأهدافها .

- لقن الرسول البشرية معاني الحرية التي لا حدود لها ، حرية إطلاق الناس من عبادة الأصنام والنار والشمس والنجوم والملائكة والجان ، إلى عبادة الله ، حيث أعمال الإنسان هي وحدها شفيعه، وضميره هو الذي يزن أعماله • وبذلك تحررت البشرية من كل القيود والأغلال التي تحول بين إرادة الإنسان وعقله ، وبين انطلاقه إلى خالق الكون الرحب الفسيح ، وهذا حرر البشرية من قيود الوثنية الوضعية التي تنحدر بالنفس البشرية إلى الخزي والهوان• فالإسلام لم يدع صلة بين المرء وربه غير العمل الصالح والتقوى •• لم تبق أصنام ، ولم يبق كهنة ، ولم يبق عرافون ولم يبق شيء يحول دون أن تسمو الروح الإنسانية لتتصل بالوجود كله صلة خير ومعروف ، ليكون جزاؤها عند الله أكبر من عملها أضعافا مضاعفة • فالروح متصل بأزل الزمن وأبده - ما عملت صالحا - فلا حجاب بينها وبين الله ، ولا سلطان لغيره •

فما أكثر ما يزيد الإيمان بخالق الوجود من قوة تجعل الإنسان قادرًا على تحريك العوالم ، ويهيمن بسلطانه المعنوي على كل من كان أقل منه في هذا الأمر إيمانًا ؛ فمن آمن بالحق لم تزعجه قوة مادية مهما عظمت[1].

- أرسى محمد ﷺ معالم الحرية في المدينة بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ ، حيث كفل حرية العقيدة للمسلم واليهودي والنصراني سواء بسواء ، وكفل حرية الرأي ، وحرية الأمن على النفس والمال والعرض •• فالحرية وحدها هي الكفيلة

---

[1] حياة محمد • د • محمد حسين هيكل • مكتبة الأسرة ١٩٩٧ •

بانتصار الحق وبتقدم العالم نحو الكمال في وحدته العليا. وإن كل حرب على الحرية تعني تمكين للباطل ونشر لجيوش الظلام ، لتقضي على جذوة النور المضيئة في نفس الإنسانية ، والتي تصل بينها وبين الكون كله من أزله إلى أبده ، صلة اتساق ومحبة ووحدة ، لا صلة نفور وفناء[١] .

- وعلم النبي محمد ﷺ الإنسانية الحب والنزاهة والمغفرة والرحمة ، وصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء، والبعد عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأداء الأمانة والصدقات ، ونصرة المظلوم ، وأن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه.. إلى آخر المعاني الكريمة التي من شأنها أن تحقق السلام الاجتماعي في الأمة بل في العالم بأسره؛ حيث كان برا رحيما جم التواضع كامل الرجولة ، عذب الحديث محبا للعدل ، يعطي كل ذي حق حقه ، وينظر إلى الضعيف واليتيم وإلى البائس والمسكين، نظرة كلها الأبوة والحنان والعطف والمودة ، فهو صاحب رسالة وأدب نفس لا يدانيه فيها أي إنسان في السمو والجلال وعلو الإنسانية[٢].

- وعلم الرسول ﷺ الصحابة والإنسانية بأسرها الثبات على المبدأ مهما كانت العقبات والتضحيات، حتى تمكن ذلك الثبات من سويداء القلب :

- فهو الذي وضع عقيدته فوق امتلاك كنوز الأرض والسماء والشمس والقمر حينما قال لعمه وهو يعرض عليه المغريات التي يغريه بها كبار مكة وأشرافها للتنازل عن دعوته إلى الحق : " والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته"[٣].

- وهو الذي صبر على أذى قريش وأعاصير الحقد والجوع نتيجة المقاطعة والحبس في شعاب مكة مدة ثلاثون شهرا ، وإعراض القبائل عنه ، فهذا كله الذي يفت في عضد ذوي النفوس العادية ، لا يزيد أصحاب النفوس الممتازة إلا سموا

---

[١] الحرية في الإسلام. د. علي عبد الواحد وافي – الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية.

[٢] حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة. محمد الغزالي – دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.

[٣] أخرجه الإصبهاني في دلائل النبوة (١ / ١٩٧) وابن هشام في السيرة النبوية (٢ / ١٠١) .

وإيمانا ٠ حيث ظل محمد وأصحابه من حوله في عزلته أشد ما يكون ثقة بنصر الله له وإعلاء دينه على الدين كله ٠

- وهو الذي تحمل معاناة الهجرة بشجاعة وثبات؛ حيث واجه بمفرده هو وصديقه أبو بكر منفردين كل قبائل مكة بقوتها وعتادها وتصميمها على الظفر به وقتله حتى لا يصل إلى المدينة وتقوى شوكته ويهدد تجارتهم ٠٠ لكنه بشجاعة فائقة وحكمة بالغة في التخطيط ويقين بالله ليس له حدود ، استطاع أن يخرج من بيته وأمامه فتية من أشداء قريش يرفعون السيوف لقتله ، ولكنها حماية الله له ، ويقين المخلصين برسالتهم والثبات في أحلك الظروف .

- وهو الذي خاض المعارك بقوة وشجاعة ليس حبًّا في القتال كما يدعي البعض ، ولكن دفاعا ضد الظلم الذي ازدادت وطأته من المشركين ؛ حتى أذن الله للمؤمنين بتحرير أنفسهم من وطأة هذا الظلم المرير الذي استمر ثلاثة عشر عاما وهم صابرون ، فنزل الإذن الإلهي حتى لا يفتن أحد عن دينه نتيجة استمرار الظلم ، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(الحج:٣٩).

- إن أهم ما علمه محمد ﷺ للبشرية هي تلك المبادئ العظيمة في إدارة الحياة سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو العسكري بما لم يسبق له ٠ وكل ما حققته الحضارة الأوروبية الحديثة من فضل يرجع في جذوره الأولى إلى ما اقتبسته من تشريعات الإسلام في جامعات قرطبة وصقلية وكريت ، فأخرجتها أنوار تلك التشريعات من عصور الظلام التي كانت تعيشها إلى مشارف الحضارة والتقدم ، حتى أصبحت تتباهى بحضارتها على المسلمين ، وتنسب تخلفهم إلى الإسلام ، وهم ما تخلفوا إلا نتيجة بعدهم عن مبادئ ذلك الدين العظيم[١] ٠

ويمكن للدلالة على الأثر العظيم للبعثة المحمدية في تغيير وجه التاريخ وفي إرساء قواعد الكرامة الإنسانية وتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية أن نذكر باختصار سريع ما تميزت به رسالة محمد ﷺ في تحقيق الإصلاح المنشود في جميع المجالات :

---

[١] شمس العرب تسطع على الغرب. المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه . نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي – دار صادر – بيروت .

بالنسبة للمجال الاجتماعي والسياسي :

يكفي القول أن الشريعة الإسلامية تقوم على مبادئ محددة لتحقيق كيان الإنسان (كيانا ذاتيًا حرًا) تفسح له المجال في الرقي والحياة الكريمة قد يتشابه بعضها في بعض التشريعات أو النظم المعاصرة، ولكنها في الإسلام تأخذ صبغة خاصة تتفوق فيها على التشريعات والنظم الحديثة تتمثل فيما يلي :

- أن الشريعة لها السبق في إرساء العدالة الاجتماعية في عصر ساد فيه التميز العنصري وتميز طبقات الحكام والنبلاء والإقطاع عن عامة الشعب ٠٠ ولم يكن للمرأة أي كيان اجتماعي يذكر؛ حيث كانت المرأة في شرائع الروم يومئذٍ معتبرة مملوكا للرجل يتصرف فيها كيف يشاء ، ويملك من أمرها مدى الحياة حتى الموت ٠ كانت تعامل معاملة الرق لا فارق بينها وبينه في نظر الشرع الروماني ٠٠ كانت مملوكة لأبيها ثم لزوجها ثم لابنها ، وكان ملكهم إياها ملكًا تامًا كملكهم الرقيق ، وكملكهم الحيوان والجماد ، مما طوع لبعض المتكلمين في عصور مختلفة أن يتساءلوا : أللمرأة روح وأنها ستحاسب، أم أنها كالحيوان لا روح لها ولا تعرف عند الله حسابا وليس لها في ملكوت الله متسع؟[١]

فإذا درسنا الأحكام التي أرساها رسول الله ﷺ في الاهتمام بحقوق المرأة وكل الإصلاحات الاجتماعية لعرفنا بحق أن بعثته كانت ثورة دقت أجراس الحرية والإصلاح الاجتماعي فقد أيقظت البشرية من غفلتها وأخرجتها من ظلماتها وعلمتها كيف تبني حضارتها٠

- كما تتميز الشريعة بسيادة العدالة في بناء نظام القيم والتفاعل والبناء بين الفرد والدولة ، فلا يمكن عزل الفرد عن المساهمة في الوظيفة الحضارية والسياسية، يحكمه وحدة قواعد التعامل في النطاق الداخلي والممارسات الخارجية؛ حيث يجب أن تتم المعاملات السياسية بنفس القدر من المساواة والعدالة والرحمة بين جميع أجناس العالم ، وهو ما تتفوق به الشريعة على جميع نظم العالم[٢].

---

[١] حياة محمد ٠ د٠ محمد حسين هيكل ص٢٨٠ مرجع سابق.
[٢] الإسلام والقوى الدولية ٠ ٠د٠ حامد ربيع ٠ دار الموقف العربي ٠

بالنسبة للإصلاح الاقتصادي :

يقول روجيه جارودي وهو كاتب فرنسي مشهور في كتابه " وعود الإسلام " [١]:

إن مفهوم الإسلام للاقتصاد يناقض المفهوم السائد في الغرب : حيث الاقتصاد في الغرب لا يعني سوى الإنتاج والاستهلاك كهدفين لذاتهما : إنتاج واستهلاك أكثر فأكثر، وأسرع ما يكون لأي شيء ، تافهًا " كان أو نافعًا " دون أدنى رعاية للغايات الإنسانية ، بينما لا يهدف الاقتصاد في ظل النظام الإسلامي إلى النمو لذاته ولكن إلى التوازن ، وبالتالي فهو يرفض الخضوع الأعمى للآلة؛ لأنه يحمل غاية في ذاته باعتباره تطبيق لأهداف عقائدية وإنسانية سامية . كما أن الاقتصاد في ظل الإسلام يرفض الحياد تجاه قوى الاقتصاد القومي. فالسوق التي هي إحدى دعائم الاقتصاد توجه من أجل إرضاء الحاجات الحقيقية ، وتتجاوب مع أسس وقواعد الإسلام لتحقيق التوازن في توزيع الدخل والحيلولة دون الاحتكار. ويتم ذلك عن طريق رقابة صارمة، ويقوم بهذه الوظيفة المحتسب المكلف بتنظيمها والسهر على الأسعار فيها. وبعبارة موجزة فإن السوق ليست غاية وإنما هي إحدى الوسائط : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ النور: ٣٧

وهكذا ألقينا نظرة سريعة على جوانب مما تميزت به الشخصية المحمدية ورسالته في الإصلاح ، ثم ننتقل من خلال البحث إلى التعرف على المزيد من تلك الجوانب ، التي مهما أسهبنا فيها لن نستطيع التوفية بها ، ولكننا نغترف من بحار لا أعماق لها ونعرض أشعة من ضوء شمس الحقيقة الساطعة التي لا نستطيع الإحاطة بها، فضلا عن معرفة كنهها أو أعماقها ٠

---

(١) كتاب الشهر ، عرض وتقديم. د. علي حسن تقي (ص١٠٢) ، مجلة الدوحة (ذو الحجة ١٤٠٢).

منهاج البحث

- يقوم البحث على المنهج الاستقرائي ؛ حيث نحاول قراءة شخصية الرسول ﷺ من خلال سننه القولية والفعلية ؛ فهي البرهان الصادق والتطبيق الواضح على مبادئه العريقة التي تنبع من النهج القرآني العظيم؛ ولقد حرص أئمة أجلاء على تجميع السنة من مصادرها الموثوق بها ، وتحري السند بطريقة علمية لم يسبق لها مثيل، أي أن الاعتماد على الأحاديث يعتبر اعتماد على مصادر موثوق بها ومجمع عليها من الأمة على مدى قرون متتالية.

- اعتمدنا على الأحاديث الصحيحة وحسنة الإسناد ؛ حتى لا يتعرض كلامنا للنقد أو التشكيك ، ونحن لسنا بحاجة إلى الاستعانة بالأحاديث الضعيفة للتعريف بالنبي ﷺ فسنته الشريفة غنية بأقواله وأفعاله التي يسجلها التاريخ بحروف من نور ترسم صورة متكاملة للإنسان الكامل ، ومنهاجه الإصلاحي بشقيه المادي والمعنوي ؛ فالإنسان جسد وروح ، وإغفال أي من الجانبين يعني حرمانه من السعادة الحقيقية المتكاملة .

ويتضمن البحث ستة أبواب رئيسة كل منها يشمل عدداً من الفصول الفرعية .

موضوعات البحث

الباب الأول :
النبي محمد ﷺ الرحمة المهداة للبشرية جمعاء .

الباب الثاني :
كيف أرسى الرسول ﷺ دعائم العدل .

الباب الثالث :
محمد ﷺ رسول السلام والمحبة .

الباب الرابع :
الرسول محمـــد ﷺ يبعث أنوار الحرية في ظلمات التاريخ .

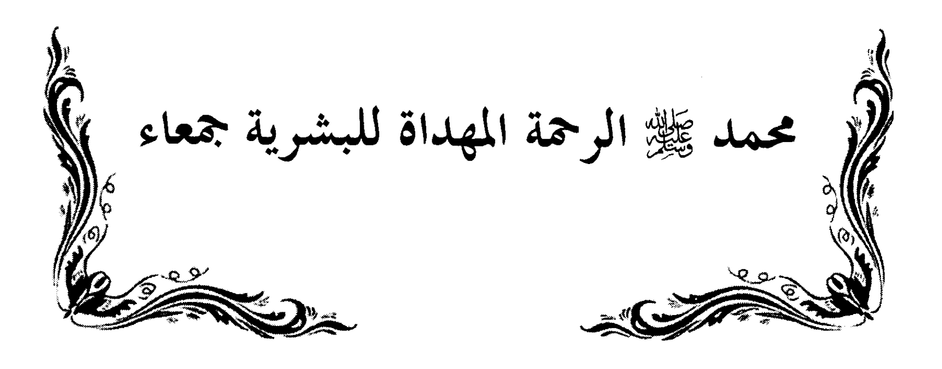
الباب الخامس :
محمد ﷺ يجاهد التمييز العنصري ويحقق المساواة .

الباب السادس :
محمد ﷺ القائد يضرب المثل الأعلى في مواصفات القيادة للشعوب والأمم .

ونردد قول الحق جل شأنه :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ الأعراف: ٤٣

الباب الأول



محمد ﷺ الرحمة المهداة للبشرية جمعاء

عالمية الرحمة الإيمانية في نهج السنة المحمدية :

قد يظن قارئ أن رحمة الرسول ﷺ خاصة بالمسلمين فقط ولكن هذا يتنافى مع القاعدة القرآنية حيث قال الحق عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وهذا ما أكده الرسول ﷺ دومًا من أن بعثته رحمة للناس كافة ؛ حيث قال ﷺ : إن الله تعالى بعثني رحمة للناس كافة فأدوا عني رحمكم الله! ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى، فإنه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه، فأما من قرب من مكانه فكرهه فشكى عيسى ابن مريم ذلك إلى الله فأصبحوا كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين وجه إليهم ، فقال لهم عيسى: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فامضوا فافعلوا[١].

إن الرحمة هي أشد ما تتشوق إليه النفوس في عصر طغيان المادية وارتفاع نزعة الأنانية؛ حيث يحرص كل إنسان على مصلحته متناسيا الأخوة الإنسانية التي تربط بين البشر جميعا ، وتحتاج إلى التراحم وإغاثة اللهفان ويعبر الرسول ﷺ عن عالمية تلك الرحمة التي يشيع بها منهاجه الرحيم وتجب على المسلمين نحو البشرية جمعاء؛ حيث أكد أنه لن يدخل الجنة إلا من يتصف بالرحمة لكل المخلوقات، فيقول صلوات ربي وسلامه عليه : لن تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على ما تحبون عليه أفشوا السلام بينكم، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم؟ قال: إنه ليس برحمة أحدكم خاصة ولكن رحمة العامة رحمة العامة[٢].

وبين الرسول أن الرحمة التي في قلوب الخلق على الأرض هي عطاء الله للمخلوقات جميعًا سواء الناس أو الحيوانات أو الطيور؛ فيجب ألا تضن بها المخلوقات على بعضها ؛ لأنها عطاء رباني يشمل الكل ؛ فقال ﷺ : إن الله تعالى

---

[١] أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣٣/٨، السيوطي في جمع الجوامع (٤٧٣٤).

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٨٥، وأبو يعلى في مسنده ٢٥٠/٧، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ١٤٠.

خلق مائة رحمة، كل رحمة ملء ما بين السماء والأرض، قسم منها رحمة بين الخلائق، بها تعطف الوالدة على ولدها، وبها يشرب الوحش والطير الماء، وبها يتراحم الخلائق، فإذا كان يوم القيامة قصرها على المتقين وزادهم تسعا وتسعين [١]

ويبين النبي ﷺ أن قاعدة التعامل بين البشر يجب أن تتبع النهج الرباني، وهو أن الله يحب أن يكون الرفق في كل الأمور لتسود الرأفة والحنان بين الناس وليس العنف؛ فقال ﷺ :" إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويحب كل قلب خاشع حزين يعلم الناس الخير، ويدعو إلى طاعة الله ويبغض كل قلب قاس لاه ينام الليل كله، ولا يذكر الله فلا يدري يرد الله روحه أم لا؟ [٢].

- كما بيَّن أن الإنسان الذي لا يرحم الناس في الأرض لا ينال رحمة الله في السماء ، فقال ﷺ :"من لا يرحم الناس لا يرحمه الله"[٣].

- وقال ﷺ : الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[٤].

وبين الرسول ﷺ أن الرحمة هي عنوان الإنسانية في أسمى صورها ، ولا تنزع إلا من إنسان متحجر المشاعر؛ فقال ﷺ : "لا تنزع الرحمة إلا من شقي"[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣١٢/٤، ٤٣٩/٥، الحاكم في المستدرك ٥٦/١، ٢٤٨/٤، الطبراني في الكبير ٣٠٧/٦

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤/٨، ٧١، ١٠٤، ومسلم في البر والصلة ٧٧، وأبو داود في السنن ٤٨٠٧، وأحمد في مسنده ١١٢/١، ٨٧/٤.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب البر باب ما جاء في رحمة الناس عن جرير رقم (١٩٢٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه البخاري في صحيحه عن جرير كتاب الأدب (١٢/٨) - وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل رقم (٢٣١٩) عن جرير بن عبد الله.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن ٤٩٤١، والترمذي في السنن ١٩٢٤، وأحمد في مسنده ١٦٠/٢، والحاكم في المستدرك ١٥٩/٤ - زاد (حم ت ك) والرحم شحنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

(٥) أخرجه الترمذي كتاب البر باب ما جاء في رحمة الناس رقم (١٩٢٤) وقال هذا حديث حسن وأخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه، قال المناوي: إسناده صحيح. تحفة الأحوذي (٥٠/٦).

مظاهر الرحمة للبشر في شخصية محمد ﷺ :

إن ينابيع الرحمة التي تفجرت في قلب الرسول ﷺ فاضت على البشرية بأسرها ، فعلمتها أرقى السلوكيات الحضارية، فكان بحق هدية السماء إلى البشريةالمعذبة بالصراعات؛

فقد قال الرسول ﷺ عن نفسه : "أيها الناس! إنما أنا رحمة مهداة"[١].

فهو كلام صدق وحقيقة تؤكدها دراسة التاريخ ، وخاصة في عصر البعثة المحمدية وما قبلها ، حيث كانت تعيش العرب في جاهلية عمياء وأوروبا في عصور الظلام ، والعالم كله كانت تسوده نزعة الأنانية التي تؤدي إلى العدوان للسيطرة على موارد الثروة الاقتصادية . لذلك كله كان لا بد من ظهور نبي بمواصفات محمد بن عبد الله يعمر قلبه بالرحمة والحنان والرفق والإحسان لتجتمع القلوب حوله ، بعدما أجهدتها الحروب والصراعات على المصالح المادية ، ولذلك قال له الحق عزَّ وجلَّ :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾آل عمران: ١٥٩

ووصف الرسول ﷺ مظاهر الرحمة التي يجيش بها قلبه لتحقيق الهدف من بعثته ؛ فقال ﷺ :"إن الله عز وجل لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا"[٢].

- وقال ﷺ : "الحمد لله الذي لم يجعلني عتلا زنيما"[٣].

ووصف الرسول ﷺ نفسه بتلك الأوصاف يدل على عمق رحمته وشفقته على البشرية، حيث يحمد الله أنه لم يجعله يتميز بالجفاء والشدة وغلظة القلب الذي لا يرحم ، بل جعله مثال الرفق واليسر.

وسنعرض مظاهر رحمته التي يفيض بها قلبه فيما يلي على أن يكون معلوما أن مظاهر تلك الرحمة يعجز القلم على أن يسطرها هنا؛ لأنها تعني معايشة تلك الشخصية المبهرة في نبلها وحنانها مع جميع المحيطين بها ، وفي حكمها للأمة وفي جميع تعاملاتها مع المواطنين ، سواء مع المسلمين أو غير المسلمين، حتى مع الحيوانات نجد مظاهر الرحمة تعجز عنها أرقى القوانين الحضارية ، بل يمكن القول إن تلك القوانين استمدت ينابيعها الأصلية من نهج السنة المحمدية .

وسنكتفي بالإشارة إلى مظاهر رحمة الرسول ﷺ بما يسمح له المجال.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩١، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ١٨٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٧٨) والترمذي في السنن (٣٣١٨) وأحمد في مسنده ٣/ ٣٢٨، والبيهقي في السنن ٧/ ٣٨.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٨٢/٢ – عتلا: العتل: هو الشديد الجافي، والفظ الغليظ من الناس. انتهى النهاية (١٠٨/٣).

أولاً : رحمته ﷺ كقائد مع الرعية

إن رحمة الرسول ﷺ مع الرعية تمثلت في الرأفة في تنفيذ الأحكام والمسارعة إلى إشباع الحاجات ، والوقوف إلى جانبهم في الكوارث والأزمات ، وتيسير الإجراءات ، وتمثلت في رفضه مظاهر العظمة، وتكبر النفوس والترفع على عباد الله الذين هم في أشد الاحتياج إلى الرفق والرحمة ، وخاصة ذوي الاحتياجات من الفقراء والمساكين والضعفاء والشيوخ والمرضى واليتامى ؛ فكل هؤلاء بحاجة إلى من يأخذ بيدهم وينتشلهم مما قد يعرضهم للهلكة والضياع في متاهات الحياة، **وإن كل ما تفخر به الحضارة الحديثة من قوانين التأمينات الاجتماعية والضمان الاجتماعي، فهي قبس من أنوار السنة المحمدية قولاً وسلوكًا وهو ما نراه فيما يلي :**

١ - الرحمة في المعاملات الاجتماعية :

دعا الرسول دائمًا إلى تفجير طاقات الرحمة في قلوب الحكام نحو الشعوب فتتحول سلوكياته معهم إلى رفق وسعي إلى تيسير الإجراءات بما يسهل الحياة ويدفع حركتها نحو الارتقاء ؛ فقال ﷺ: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به"[١].

- **ودعا رسول الله ﷺ إلى التفاعل الإيجابي مع عامة الشعب النابع من الرحمة القلبية ؛ فيجب على الحاكم أن يحترم الكبير ويرحم الصغير ، ويوقر العالم لتشجيع العلم في الأمة ، وألا يلجأ إلى العنف؛ فالضرب يؤدي إلى ذلة النفوس وانكسارها ، والتعذيب بالخصاء يقطع النسل ، والاقتصار على مقابلة ذوي النفوذ يؤدي إلى غلبة الأقوياء وانهيار الضعفاء** ؛ فعن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ :" أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بجماعة المسلمين، أن يعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم، ويوقر عالمهم، وأن لا يضربهم فيذلهم، ولا يوحشهم فيكفرهم، وأن لا يخصيهم فيقطع نسلهم، وأن لا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم"[٢]

---

[١] أخرجه مسلم في الإمارة (٣٤٠٧)، أحمد في مسنده (٢٣٤٨١).
[٢] أخرجه البيهقي في السنن ١٦١/٨.

- وقال رسول الله ﷺ : "من ولي من أمور المسلمين شيئا فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته وفاقته وفقره"[١].

- ويبين النبي ﷺ أن الله يعذب في الآخرة الذين يعذبون الناس في الدنيا ليحقق بذلك الأمن والحرية لأبناء الأمة الإسلامية ؛ فقال ﷺ : "إن الله تعالى يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في الدنيا"[٢]

٢ - الرحمة في إقامة الصلوات :

إن الصلاة هي المظهر المعبر عن روح النظام العام في الأمة؛ لذلك لا بد أن يحكمها منهاج الرحمة التي تعمر قلب رسول الله ﷺ ؛ ولذلك فقد أوصى الأئمة ألا يطيلوا في الصلاة مراعاة للضعفاء وأصحاب المصالح ؛ فقال ﷺ : "يا معاذ لا تكن فتانا فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة والمسافر"[٣]

وكانت شغاف قلب رسول الله ﷺ تذوب رقة وهو يسمع بكاء الصبي في الصلاة ؛ فيسرع فيها مراعاة لمشاعر الأم والطفل ؛ **فعن عطاء أنه بلغه أن النبي ﷺ قال: "إني لأخفف الصلاة أن أسمع بكاء الصبي خشية أن تفتتن أمه"**[٤]

٣ - الرحمة في توجيه المذنب :

تدل معاملة الرسول ﷺ للمذنبين على مدى ما يعمر قلبه من رحمة تتناسب مع كونه المعلم الأكبر للبشرية وما يستلزمه هذا الدور من سعة صدر ، تحقق الرفق في توجيه المذنب إلى خطئه وتصحيح مساره بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فهذا يؤدي إلى نضج

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الخراج والفيء والإمارة باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية رقم (٢٩٣٢) - (وخلتهم: الخلة بالفتح الخصلة، وهي أيضا الحاجة والفقر.انتهى.المختار (١٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة (١١٧)، أبو داود في السنن (٣٠٤٥)، أحمد في مسنده ٤٠٤/٣، والبيهقي في الشعب (٥٣٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (٧٧٧)

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢٧٢٢

الشعوب وعزتها بسيادة روح الرحمة قبل الغضب ؛ لأن تلك صفات الحق ؛ حيث قال ﷺ : "إن الله عز وجل حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه أن رحمتي تغلب غضبي"(١)

- وعن زيد بن أسلم قال: عطس رجل في الصلاة، فقال له أعرابي إلى جنبه: رحمك الله، قال الأعرابي: فنظر إلي القوم، فقلت: واثكلاه ما لهم ينظرون إلي؟ فضربوا بأكفهم على أفخاذهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، دعاني فقال الأعرابي: بأبي هو وأمي ما رأيت معلما قط خيرا منه ما كهرني ولا شتمني فقال:"إن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو تسبيح وتكبير وتهليل وقراءة القرآن"(٢)

ووصل الأمر برحمة الرسول ﷺ أنه كان يهدئ من روع من أراد قتله ، وجاءوا به مقبوضًا عليه ؛ فهو لا يهدف للثأر لنفسه ، ولكنه يهدف إلى إنقاذ النفس الإنسانية من التهلكة ؛ فعن جعدة الجشمى أتي النبي ﷺ برجل فقالوا: إن هذا أراد أن يقتلك، فقال له: لم ترع لم ترع؛ ولو أردت ذلك لم يسلط الله علي(٣)

٤ - الرحمة في تنفيذ أحكام الشريعة :

إن النبي محمد ﷺ الذي وصف نفسه بأنه هو الرحمة المهداة للبشرية يبرهن في كل تصرفاته أن تنفيذ أحكام الشريعة ليس سيفًا مسلطا على رقبة العباد ؛ بل إن تلك الأحكام فيها من المرونة ما يرحم الظروف الصعبة التي يتعرض لها بعض الناس ، فعن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص قال: لما بعثني رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له فقال: "يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟" قلت: نعم يا رسول الله إني احتلمت في ليلة باردة شديدة

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٣٥٤٣، والسيوطي في جمع الجوامع ٤٨٠٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد (٨٣٦) والنسائي في السنن (١٢٠٣) وأحمد في مسنده (٢٢٦٤٤) والدارمي في السنن (١٤٦٤) – ثكلاه: الثكل: فقدان المرأة ولدها. وكذلك الثكل بالتحريك. انتهي الصحاح (١٦٤٧/٤) ب – كهرني: الكهر: الانتهار. وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (فأما اليتيم فلا تكهر)، قال الكسائي: كهره، وقهره: بمعنى المختار (٤٥٩) ب.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٣٠٨

البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله عز وجل ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فتيممت ثم صليت، فضحك النبي ﷺ ولم يقل شيئا[١].

- وروي أن رجلا أصابته جنابة وبه جراح فاحتلم فاستفتى فأمروه أن يغتسل فاغتسل فمات، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "ما لكم قتلتموه قتلكم الله، ألم يكن شفاء العي السؤال" قال عطاء: فبلغني أن النبي ﷺ قال: اغتسل واترك موضع الجراح"[٢]

وتصل رحمة الرسول ﷺ أن يتحول الإنسان المقصر في تنفيذ أحكام الشريعة إلى إنسان يستحق الشفقة والعطفة من قلب رسول رحيم ؛ فيجود عليه بما كان مطلوبًا من هذا المذنب أن يقوم هو به؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في رمضان قال: أعتق رقبة، قال: لا أجد، قال: صم شهرين، قال: لا أستطيع قال: أطعم ستين مسكينا قال: لا أجد قال: اجلس فجلس فبينما هو كذلك إذ أتي بفرق فيه تمر فقال له النبي ﷺ: اذهب فتصدق به، قال: والذي بعثك بالحق ما بين لابتي المدينة أهل بيت أفقر إليه منا فضحك حتى بدت أنيابه، ثم قال: انطلق فأطعمه عيالك[٣].

٥ - الرحمة في إقامة الحدود :

إن إقامة الحدود في الإسلام لا تعني التشفي والانتقام ، وإنما تعني تطبيق القانون العام لحفظ الأمن على الأنفس والأموال والأعراض، والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ كان يتألم ، وهو يرى أحدًا من أمته تقطع يده ؛ فعن أبي الماجد قال : إن أول حد أقيم في الإسلام لرجل أتي به رسول الله ﷺ فشهد عليه فأمر به النبي ﷺ أن يقطع، فلما حد الرجل نظر إلى وجه رسول الله ﷺ كأنما سف فيه الرماد، فقالوا: يا رسول الله كأنه اشتد عليك قطع هذا؟

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده ١٧١٤٤، وأبو داود في السنن ٢٨٣.

[٢] أخرجه أبو داود كتاب الطهارة باب المجدور يتيمم؟ رقم (٣٣٢ - ٣٣٣) والحاكم في المستدرك كتاب الطهارة (١/١٦٥) وقال صحيح وأقره الذهبي.

[٣] أخرجه البخاري كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه (٣/٤١ - ٤٢). ومسلم كتاب الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم رقم (١١١١). والترمذي كتاب الصوم باب ما جاء في كفارة الفطر في رمضان رقم (٧٢٤).

قال: وما يمنعني وأنتم أعوان الشيطان على أخيكم، قالوا: فأرسله قال: فهلا قبل أن تأتيني به، إن الإمام إذا أتي له بحد لا ينبغي له أن يعطله[١] .

ودعا الرسول ﷺ إلى الرحمة في إصدار الأحكام بقدر الإمكان ؛ فالخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة ؛ قال ﷺ : أدرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة [٢] .

وتبين الأحداث في عصر النبوة أن النبي محمد ﷺ لم يكن يسارع في إقامة الحد بمجرد اعتراف المذنب ؛ بل إنه كان يعطيه فرصًا كثيرة للتهرب من ذلك الاعتراف ، وفرصًا أخرى للتهرب من آلام الرجم ، ويدعو الناس إلى إخفاء ذنوبهم عن الحاكم ؛ لأن وصول الأمر إليه يعني ضرورة إصدار الحكم حفاظًا على هيبة القانون العام ؛ فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن رجلا من أسلم جاء النبي ﷺ فاعترف بالزنا فأعرض عنه، ثم اعترف فأعرض عنه، حتى شهد على نفسه أربع مرات، فقال النبي ﷺ : "أبك جنون؟" قال: لا، قال: "أحصنت؟" قال: نعم، فأمر به النبي ﷺ فرجم بالمصلى، فلما أذلقته الحجارة فر، فأدرك فرجم حتى مات، فقال له النبي ﷺ خيرا ولم يصل عليه، قال معمر: فأخبرني ابن طاوس عن أبيه قال: لما أخبر رسول الله أنه فر، فقال: هلا تركتموه قال معمر: وأخبرني أيوب بن حميد عن هلال قال: لما رجم النبي ﷺ الأسلمي قال: "واروا عني عوراتكم ما وارى الله عني منها، ومن أصاب شيئا منها فليستتر، قال معمر: وأخبرني يحيى بن أبي كثير عن عكرمة أن النبي ﷺ قال لماعز حين اعترف بالزنا: أقبلت؟ أباشرت؟ [٣] .

ومن شدة رحمة الرسول ﷺ بالبشرية عامة وبالأطفال خاصة : أنه رفض أن يقيم الحد على امرأة حامل حتى لا يقتل الجنين الذي في بطنها بدون أي ذنب جناه

---

[١] أخرجه أحمد في مسند (١ / ٤١٩) عن أبي الماجد قال : .. به ، والسيوطي في الدر المنثور ١٨/٥، ٢١ .

[٢] أخرجه الترمذي في السنن (١٤٢٤) و البيهقي في السنن ٢٣٨/٨، و الحاكم في المستدرك ٣٨٤/٤، و البغوي في شرح السنة ٢٣٠/١٠ .

[٣] أخرجه النسائى فى السنن ٦٣/٤ ، وأبو داود فى السنن (٤٤٣٠) ، والترمذى فى السنن (١٤٢٩) ، وأحمد فى مسنده ٤٥٣/٢ ، وعبد الرزاق فى مصنفه (١٣٣٣٧).

ذلك الجنين ؛ فعن أنس أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن في بطني حدثًا فأقم علي حد الله، قال: "لا نقتل ما في بطنك لأجلك، اذهبي حتى تضعي" [١] .

وتأسيًا بسلوك الرسول ﷺ الذي يفيض رحمة نرى علي بن أبي طالب – وهو خليفة على المؤمنين – ينظر بعين الرحمة إلى طاعنه طعنة قاتلة ، ويوصي برعايته حتى تتبين نتيجة جريمته ، هل يعيش على تلك الطعنة أم يموت .. وفي كلا الحالتين يوصيهم بالرحمة في الحكم عليه ؛ فعن جعفر بن محمد عن أبيه أن عليا كان يخرج إلى الصبح ومعه درة يوقظ بها الناس، فضربه ابن ملجم، فقال علي: أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن عشت فأنا ولي دمي، أعفو إن شئت، وإن شئت استقدمت وإن مت فقتلتموه فلا تمثلوا[٢].

---

[١] أخرجه أبو داود في السنن (٤٣٥٥) و الحاكم في المستدرك ٣٦٣/٤ .
[٢] أخرجه البيهقي في السنن ٥٦/٨.

ثانيًا : رحمته ﷺ في الحروب

إن رحمة الرسول ﷺ لا تتجزأ سواء في السلم أو الحرب فهو يرفض رفضا تاما أن تمتد يد القتل إلى الأطفال والنساء؛ لأنهم لا يشاركون في قتال المسلمين ، والحروب الإسلامية ليست انتقاما وتشريدا ولكنها دفاع عن النفس ، وإن المتطلع إلى الأسلحة الفتاكة والقتل الجماعي في الحروب الحديثة ؛ ليقدر مدى الرحمة التي كانت تشيع في قلب الرسولﷺ ؛ حيث يرفض قتل غير المشتركين في القتال من النساء والصبيان والشيوخ والمشتغلين بالعبادة ؛ قال ﷺ : "إني نهيت عن قتل المصلين"[١].

- و نهى ﷺ عن قتل النساء والصبيان[٢].

- وقال ﷺ : "لا تجبن إذا لقيت، ولا تغلل إذا غنمت، ولا تقتلن شيخا كبيرا، ولا صبيا صغيرا"[٣].

ونرى رحمة الرسول ﷺ مع الأطفال في الحروب ؛ وذلك بانزعاجه الشديد من قتل الأطفال ، وبيان أنه لا تفرقة في عالم الطهر والبراءة بين أطفال المشركين وأطفال المسلمين ؛ لأن التفرقة تقع على الذين يستطيعون التمييز بين الحق والباطل : فعن الأسود بن سريع قال: أتيت النبي ﷺ وغزوت معه فأصبت ظفرا، فقتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وسلم، فقال: "ما بال أقوام جاوز بهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية؟" فقال رجل: يا رسول الله إنما هم أبناء المشركين، فقال "ألا إن خياركم أبناء المشركين، ثم قال: ألا لا تقتلوا ذرية، كل مولود يولد على الفطرة، فما يزال عليها حتى يعرب عنها لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[٤]

---

[١] أخرجه أبو داود في الأدب (باب ٦٠) والدارقطني في سنن (٢/ ٥٥).

[٢] أخرجه الترمذي في سننه (١٥٦٩) والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٢) والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٨٣).

[٣] أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ١٩٩) وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٤٨٣) ومالك في الموطأ (٢/ ٤٤٧).

[٤] أخرجه أحمد في مسنده عن الأسود بن سريع (٣/٣٤٥).

كما يأبى رسول الله ﷺ مطاردة الفارين من الحرب؛ لأن هذا يدل على عدم رغبتهم في القتال والإسلام دين سلام ، كما يوجه المحاربين إلى عدم الإجهاز على جريح لتنافى قدرة القتال عنده وبالتالي لا داعي لقتله، فالإسلام ليس متعطشا لسفك الدماء ،ولكنه يقف عند حدود دوافع الجهاد لإعلاء كلمة الحق، والدفاع عن النفس والمال والأرض ونرى ذلك فيما يلي :

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي:" إنك لأول من يقاتل الخوارج فلا تتبع مدبرا ولا تجهزن على جريح"(١)

رحمته مع الأسرى :

إن عدالة الإسلام وواقعيته لا تجعل منهاجاً ثابتاً للتعامل مع الأسرى، حيث تختلف الظروف في كل حالة، لكن كل ذلك يتم في إطار سماحة الإسلام وحرصه على اجتذاب النفوس الضالة إلى رحاب الإيمان.

وسنرى فيما يلي كيف عامل الرسول ﷺ الأسرى في حالات متعددة بما يشكل في مجموعه منهاجاً متكاملاً وليس متعارضاً؛ لأن بعض الأسرى يستحق القتل نظراً لأنه يشكل خطورة كبيرة على أمن الدولة إذا تم تسريحه والإفراج عنه(٢)

أ – حسن المعاملة حتى يبت الرسول ﷺ في أمرهم :

كان الرسول ﷺ يأمر أصحابه أن يكرموا الأسارى ؛ فقد قال ﷺ : "استوصوا بالأسارى خيرا"(٣)

فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء(٤) .. ويشهد لذلك ما قاله الحسن البصرى من أن الرسول ﷺ كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له : أحسن إليه، فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه(٥)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣١١).

(٢) لمزيد من التفصيل فى هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب العلاقات الدولية فى الإسلام وقت الحرب. للقواعد "دراسة للقواعد المنظمة لسير القتال". د. عبد العزيز صقر. المشرف العام. أ.د. نادية مصطفى. المعهد العالمى للفكر الإسلامى. مشروع العلاقات الدولية فى الإسلام.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير ٢٥٠/١.

(٤) تفسير ابن كثير ٤٥٥/٤.

(٥) الصابونى - صفوة التفاسير ٤٩٣/٣

وكان الرسول ﷺ ينهى عن تعذيب الأسير أو التمثيل به ؛ رحمة به وارتقاء بالنفس البشرية من حضيض الانتقام إلى أنوار الرحمة ؛ فعن عائشة قالت: أخذ رسول الله ﷺأسيرا فانفلت ثم إنه أخذ بعد فقيل لرسول الله ﷺ وسلم: إنه رجل مفوه فانزع ثنيته، فقال رسول الله ﷺ وسلم:" لا أمثل به كذا فيمثل الله بي يوم القيامة"[١].

كما نهى نبي الرحمة عن قتل الأسرى بدون أسباب قهرية تدعو لذلك ؛ فعن عمرقال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد بهم قتلا وأسرا ودفع إلى كل رجل منا أسيرا حتى إذا كان يوما أمرنا خالد أن يقتل كل منا أسيره، فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره فقدمنا على النبي ﷺ فذكر له صنيع خالد، فقال النبي ﷺ ورفع يديه:" اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد".

وإن كان لابد من قتل الأسير فقد كان يأمر بقتله قتلاً كريماً سريعاً دون تعذيب بالعطش أو الجوع أو غيرهما وعلى هذا إجماع الفقهاء .. وقد ذكر محمد بن الحسن في السير الكبير أن رسول الله ﷺ قال في بنى قريظة بعدما احترق النهار في يوم صائف :" لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السيف. قيلو لهم حتى يبردوا" فقالوهم حتى أبردوا ثم راحوا ببقيتهم فقتلوهم[٢].

والأكثر من ذلك أن الرسول ﷺ كان يؤثر إن وقع أهل بيت من المشركين في الأسر أن يكونوا جميعاً في سهم رجل واحد من المسلمين منعاً لتشتت الأسرة. وكان ينهى بالذات عن التفريق بين الوالدة وولدها سواء في المعيشة أو البيع ؛ رحمة بمشاعر الأم وهلعها إذا انفصل عنها ولدها ؛ فعن علي قال: أصبت جارية من السبي، معها ابن لها فأردت أن أبيعها وأمسك ابنها، فقال النبي ﷺ وسلم: "بعهما جميعا أو أمسكهما جميعا"[٣].

---

[١] أخرجه النسائي في السنن ٢٣٦/٨، وعبد الرزاق في مصنفه ٢٢١/٥، وابن حبان في صحيحه ٥٣/١١.
[٢] السرخسي في شرح السير الكبير ١٢٩/٣.
[٣] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٢٦/٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٤٦٠/٦.

ب - المن والفداء لمن يرجى منهم الخير:

إن هذا يتفق مع رحمة الرسول ﷺ والهدف من رسالته في إحياء النفوس البشرية من مهاوي الضلال والشرك. ولذلك فقد كان النبي يمن على بعض الأسرى بإطلاق سراحهم نظرا لما كان يراه فيهم من حكمة واستعداد لتلقي أنوار الحق.

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه - قال : بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال - سيد أهل اليمامة - فربطوه بسارية من سوارى المسجد، فخرج إليه الرسول ﷺ فقال : "ماذا عندك يا ثمامة ؟" قال : عندى يا محمد خير: إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .. وبعد ثلاثة أيام تكرر خلالها هذا الحوار فقال الرسول ﷺ : "أطلقوا ثمامة" فأطلقوه. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. يا محمد والله ما كان على الأرض أبغض إلىّ من وجهك. فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلىّ، والله ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلىّ، والله ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلىّ ... الحديث" (١) .

ولا شك أن الرجل أعلن إسلامه بعد ما اقترب من نبع الرحمة الفياض، ورأى كيف أن الرسول ﷺ أطلقه بدون أي مقابل ؛ مما يعني أن دعوة النبي ﷺ لا تهدف إلى أطماع مادية ؛ بل إحياء النفوس البشرية بهدي الأنوار الإلهية .

---

(١) النووى : شرح مسلم ٨٧/١٢ - ابن حجر : فتح البارى ٢١٠/١٦ - الشوكانى : نيل الأوطار ٣٠١/٧

ثالثًا : رحمته ﷺ مع الضعفاء من الشيوخ والأرامل واليتامى والمساكين

إن رحمة الرسول ﷺ مع هذا القطاع الضعيف من الشعب هو الذى بعث الأمل في الإنسانية، وأضاء لها طريق ينتشل الشيوخ الضعفاء من اليأس وخريف العمر وامتهان الكرامة .. وإن كل قوانين الضمان الاجتماعي والرعاية الاجتماعية في عالمنا المعاصر لتدين بالفضل لهذا الرسول الرحيم.. حيث نجد مظاهر رحمته فيما يلي:

أ- بالنسبة للضعفاء :

- يبين نبي الرحمة أن نصر الأمة الإسلامية يكون برعاية ضعفائها؛ حيث يلجئهم هذا الضعف إلى الاستناد والتوكل على الله بشدة ومضاعفة الدعوات والإخلاص فيها، حيث أيقنوا أنه من استمسك بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى : قال ﷺ : "إنما تنصر هذه الأمة بضعفائها، بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم"[1]

- ويبين الرسول ﷺ أن الله يغضب على الأمة التي لا تعطي الضعفاء حقهم العادل في الحياة ؛ لأن هذا يعني اختلال الموازين في تلك الأمة ، وسيطرة أصحاب النفوذ والجاه على مقاليد الأمور ، مما يعرض الضعفاء للضياع ، وهذا يتنافى مع رحمة الإسلام : قال ﷺ : "إن الله تعالى لا يقدس أمة لا يعطون الضعيف منهم حقه"[2] .

- وضرب نبي الرحمة المثل بنفسه فكان يرعى ضعفاء المسلمين ويتواضع معهم ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم ، ليرسي مفاهيم الرحمة والعدالة

---

(1) رواية النسائي: "إنما نصر هذه الأمة بضعفائها بدعواتهم وصلاتهم وإخلاصهم" دليل الفالحين (٩١/٢). والترغيب والترهيب (١٤٩/٤) ولدى مراجعتي لصحيح مسلم كما عزاه المصنف لم أره في مسند سعد بن أبي وقاص وشرح الترمذي لم يذكر رواية لمسلم وكذا ابن علان يروي رواية النسائي ولم يوضح أن هناك رواية لمسلم بهذا اللفظ ولفظ أحمد في مسنده (١٧٣/١): "ثكلتك أمك ابن أم سعد وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم". والترغيب والترهيب (١٤٩/٤). وانظر كشف الخفاء رقم (٣٨٨٠) كيف يعدد ويعزو ولم يذكر أن هناك رواية لمسلم انتهى.

(2) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٧٤/١٠، والبيهقي في السنن ٢٤٥/٦، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٠٠٤)، والشافعي في مسنده (١٣٩٧).

الاجتماعية في وجدان المؤمنين وسلوكياتهم ؛ فقد روي أنه ﷺ كان يتخلف في المسير فيزجي الضعيف ويردف، ويدعو لهم[(١)].

- وكان ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم[(٢)].

- وينهى الرسول ﷺ عمر بن الخطاب عن المزاحمة على الحجر الأسود إذ كان يؤذي الضعفاء، رحمة بضعفهم ، وتهذيبا لسلوكيت الأقوياء ، ومنعهم من السطوة على حقوق الضعفاء : قال ﷺ : "يا عمر إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف، إن وجدت خلوة فاستلمه، وإلا فاستقبله وهلل وكبر"[(٣)]

ب- بالنسبة للأرامل والمساكين :

- يبين نبي الرحمة أن السعي على الأرملة والمسكين تعدل الجهاد في سبيل الله؛ لأن الجهاد هدفه حماية الضعفاء من الظلم والاضطهاد وبالتالي فإن السعي على الأرملة والمسكين يحميهم من الإحساس بالظلم.والاضطهاد وسط طوفان الأنانية الذي لا يرحم احتياجاتهم المادية والمعنوية ؛ فقال ﷺ : "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو الصائم النهار القائم الليل"[(٤)].

- ويوصي ﷺ معاذ بالاهتمام بحوائج الأرامل وكل من أحوجتهم ظروف الحياة إلى المعونة ومجالسة المساكين لرفع روحهم المعنوية وإرساء معنى التواضع في القلوب ؛ فقد روي عنه ﷺ أنه قال : "يا معاذ! أوصيك وصية الأخ الشفيق، أوصيك بتقوى الله، وعد المريض، وأشرع في حوائج الأرامل والضعفاء، وجالس الفقراء والمساكين، وأنصف الناس من نفسك، وقل الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم" [(٥)]

- ويحذر نبي الرحمة ﷺ من الاستهانة بالمساكين وأصحاب العاهات والاستهزاء بمشاعرهم حتى لا يؤدي ذلك إلى تحطيمهم نفسيا ، فليس من الرحمة

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٢٦٣٩، والبيهقي في السنن ٢٥٧/٥ - (زجا: فيزجي: أي يسوقه ليلحقه بالرفاق. النهاية [٢٩٧/٢].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٦٦/٢

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢٨/١، والبيهقي في السنن ٨٠/٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤١/٣.

(٤) أخرجه البخاري في النفقات (٥٣٥٣) ومسلم في الزهد (٢٩٨٢) والترمذي في السنن (١٩٦٩) والنسائي في السنن (٢٥٧٦) وابن ماجه في السنن (٢١٤٠) وأحمد في مسنده ٣٦١/٢.

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٤١/١.

إضافة أعباء نفسية فوق أعبائهم التي يشعرون بها نتيجة نقص الإمكانيات المادية أو العاهات الجسدية ؛ فقال ﷺ :"أربعة لعنهم الله من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة: مضل المساكين - قال خالد: الذي يهوي بيده إلى المسكين فيقول: هلم أعطيك، فإذا جاءه قال: ليس معي شيء، والذي يقول للمكفوف: اتق البئر، اتق الدابة، وليس بين يديه شيء، والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها، والرجل يضرب الوالدين حتى يستغيثا"(١)

- **ويبين ﷺ أن الولائم التي تعد للأغنياء ويمنع منها المساكين تعد من قبيل الآفات الاجتماعية التي تهتم بالاستهلاك التفاخري وليس الإيماني الذي يتسم بدوافع الرحمة والعطف على المسكين الذي لا يجد طعامه بسهولة فهو الأولى بالرعاية من الأغنياء** ؛ فقال ﷺ : "بئس الطعام طعام الوليمة يحضره الأغنياء ويمنعه المساكين"(٢)

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١١٧/٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥١/٤.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٣/٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٦٧/٨.

رابعا : رحمته ﷺ بالمرضى

إن المرض يعنى نوعا من العجز المؤقت عن ممارسة الحياة، وقد يكون في بعض الحالات عجزا كليا.. ولهذا يعتبر المريض من أصحاب الاحتياجات الخاصة، وتلك الاحتياجات تتمثل في عون معنوى وعون مادى.. وهذا مما قد يغفل عنه البعض في كثير من الأحيان لانشغالهم بالسعى في الحياة ودواماتها. لذلك فقد حرص نبي الرحمة ﷺ على تولية المريض عناية خاصة، بما يحقق للمريض الأمن النفسى في المقام الأول، وهذا تعجز عنه كل قوانين التأمين الصحى والرعاية الاجتماعية.

إن رعاية المرضى التي فرضها نبي الرحمة ﷺ كواجبات على الأصحاء، تبلغ في قوتها ومثاليتها ما تقف معه العقول حائرة من رحمة ذلك الرسول الذى لم يغفل أى احتياج عاطفي للإنسان في كل لحظات حياته، وفى كل ظروفه التي تدور بها عجلة الحياة مما يحقق للإنسان أعلى درجات الأمن النفسى والمعنوى، ويحقق السلام الاجتماعى والترابط ، وهذا ما يعجز عن تحقيقه أكثر القوانين التي تدعى الحضارة والرقى.

ونعرض فيما يلى مظاهر رحمة المرضى التي تساعدهم على اجتياز محنة المرض بسكينة واطمئنان، حتى يخرجوا من جديد للمشاركة في الحياة بإيجابية مما يشكل حقوقا لمواطنين آخرين.

- يحرص النبي الرحيم ﷺ على بعث الأمل في نفوس المرضى فيوجه الأصحاء إذا دخلوا على المريض أن يصافحوه ويضعوا يدهم على جبهته ويسألوا عن صحته ويطمئنوه بطول الأجل لترضية نفسه ؛ فقد روي أنه ﷺ قال :" إذا دخل أحدكم على مريض فليصافحه وليضع يده على جبهته وليسأله كيف هو، ولينسئ له في الأجل، ويسأله أن يدعو له فإن دعاء المريض كدعاء الملائكة".[١]

- كما يحرص نبي الرحمة ﷺ على حفز همم المؤمنين في عيادة المبتلين، فيخبرهم أن دعاءهم مستجاب كدعاء الملائكة، وذلك لمزيد من الاهتمام بالمريض ورعايته؛ لأن كل

---

[١] أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٣٢٢/٤، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٨٨) - (ولينسئ: النسء: التأخير يقال: نسأت الشيء نسأ، وأنسأته إنساء؛ إذا أخرته. النهاية [٤٤/٥] ب).

إنسان يتشوق إلى دعاء مستجاب فيسارع إلى زيارة المريض ؛ فقد روي أنه ﷺ قال : "إذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة" [١].

- ونظرا لانشغال معظم الناس في دوامات الحياة وأعبائها فإن السنة الشريفة أنبأت عن عطايا الله التي لا تنفذ لمن يزور المريض. وذلك حتى يسارع المسلمون في زيارة المريض، بما يحفظ له حقه في الأنس بالأحباب والأصدقاء.وذلك حدبا من نبي الرحمة على المريض في أزمته، ورفعا لروحه المعنوية بالإحساس بالمشاركة الوجدانية من الدائرة الاجتماعية التي يعيش فيها ؛ فزيارة المريض تباعد الزائر من نيران جهنم في الآخرة وتجعله يتبوأ منزلا من الجنة : قال ﷺ : "من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا" [٢].

- وقال ﷺ : "من زار مريضا أو عاد أخا في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا". [٣]

- وزيارة المريض تجعل رحمة الله تغمر الزائر فتجعله يشعر بالطمأنينة والسكينة وانشراح الصدر: فعن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول:"أيما رجل عاد مريضا فإنما يخوض في الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة" هذا للصحيح فما للمريض؟ قال: "تحط عنه ذنوبه" [٤] .

- إن الإسلام دين الرحمة و المحبة و العطاء، و تهدف الشريعة في أصولها و فروعها إلى التواصل النوراني و تحقيق الأخوة الإيمانية في أجلى صورها و أسمى معانيها.. لذلك يحثنا الرسول ﷺ على الدعاء للمريض، و يعلمنا كيفية الدعاء و صيغته حتى تتحقق الفاعلية المطلوبة منه؛ فقد قال ﷺ : "من عاد مريضا

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (١٤٤١) والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٢٢/٤، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٨٨).
(٢) أخرجه أبو داود في السنن (٣٠٨١).
(٣) أخرجه الترمذي في السنن (٢٠٠٨) وقال: حسن غريب.
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢٥٥/٣ والسيوطي في جمع الجوامع ٩٤٢٩.

لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض"[١].

- و يضرب لنا الرسول ﷺ بنفسه مثلاً في كيفية زيارة المريض و الدعاء له، حيث يفيض قلبه بالرحمة على المريض في أسمى صورها ؛ فعن علي قال: اشتكيت فدخل عليَّ النبي ﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني ، وإن كان متأخرا فاشفني ، وإن كان بلاء فصبرني، فضربني برجله وقال: كيف قلت؟ فقلت له، فمسحني بيده ثم قال: "اللهم اشفه أو قال عافه" فما اشتكيت ذلك الوجع بعد .

- وعن شريح بن عبيد عن أبي مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا عاد المريض قال: "اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت اللهم إنا نسألك شفاء لا يغادر سقما [٢].

- ويسجل الإسلام سبقه دائماً في كل التشريعات؛ حيث لم تكن تعرف البشرية القواعد الحديثة في آداب زيارة المريض، و التعليمات التي تضعها حالياً المستشفيات من رجاء الزائرين عدم إزعاج المريض.. فهي من نبع سنة نبي الرحمة ﷺ التي تظهر دائماً السبق في كل المجالات، حيث لم تكن الإنسانية تعرف شيئاً عن تخفيف الزيارة للمريض قبل بعثة خير الأنام ﷺ، فقد أثبت بحق أنه الرحمة المهداة للبشرية جمعاء ، قال ﷺ : "خير العيادة أخفها" [٣].

- وقال ﷺ : أفضل العيادة أجرا سرعة القيام من عند المريض[٤] .

---

[١] أخرجه أبو داود في السنن (٣٠٩٠) والحاكم في المستدرك ٣٤٢/١، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٢٢/٤.
[٢] أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤١/١٩، وأبو حنيفة في مسنده (١٥٨).
[٣] أخرجه البيهقي في الشعب (٩٢٢٥) والقضاعي في مسند الشهاب ١٢٢١/٢، والديلمي في مسند الفردوس (٢٧١٣).
[٤] أخرجه المنذري في إتحاف السادة المتقين ٢٩٨/٦، التبريزي في مشكاة المصابيح ١٥٩١.

خامسا : رحمته ﷺ بالأطفال

وغرس النبي ﷺ معانى الرحمة في الأطفال حتى يتشكل وجدانهم بتلك المعاني السامية الراقية فيترجمها الأطفال سلوكاً عملياً في حياتهم ، مما يشيع في الأمة مناخاً ملائماً ، لتبادل مشاعر الرحمة والحنان. وقد أظهر نبي الرحمة في حنانه على الأطفال ما تعجز عنه أرقى القوانين الحديثة في رعاية الطفل.

- **فنجد الرسول يواصل السجود ولا يقوم لتكملة الصلاة ؛ لأن حفيده اعتلى ظهره فخاف إن قام أن يزعجه** ؛ فعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: ثم خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي وهو حامل حسنا أو حسينا فتقدم النبي ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها، قال أبي" فرفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت إلى سجودي فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهري صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر وأنه يوحى إليك، قال: "كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته" (١).

- **ونجد نبي الرحمة يخفف من صلاته بالمسلمين لتفرغ أم الصبي إلى طفلها فتهدئ من روعه بحنانها** ، فقد قال صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر بأقصر سورتين، ثم قال: "إنما أسرعت لتفرغ أم الصبي إلى صبيها" (٢).

- **ونجده ﷺ يلاطف الأطفال ويمسح على رءوسهم ويقبلهم ، بما لم يكن سائدا في العرب قبل ذلك ، حيث كانت غلظة القلب والمعاملة الجافة للأطفال عنوان الرجولة** ؛ فقد كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم، ويمسح على رءوسهم ويدعو لهم (٣).

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٢٧) والحاكم في المستدرك (٣ / ١٨١) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٣٦٦/٨.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨٣٤٩) وابن حبان في صحيحه (٢ / ٢٠٦) ابن حجر في فتح الباري (١١ / ٣٣)

- وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ أنَّ الأقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أبْصَرَ النَّبِيَّ يُقَبِّلُ الحَسَنَ فقالَ: إنَّ لِي عَشْرَةً مِنْ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ" [١].

- وتشهد الأحداث برحمته وديمقراطيته مع الأطفال؛ حيث كان يحملهم معه على دابته ويداعبهم بالكلمات التي تروق لهم ويسلم عليهم ؛ فعن عبد الله بن جعفر قال: مر بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الصبيان فحملني، أنا وغلام من بني العباس على الدابة، فكنا ثلاثة[٢].

- وعن أنس: كان رسول الله ﷺ يخالطنا فيقول لأخ لي: "يا أبا عمير ما فعل النغير"، ونضع بساطا لنا فيصلي عليه[٣].

- وكان ﷺ يمر بالصبيان فيسلم عليهم[٤].

- ونرى رحمته البالغة بالأطفال أنه لم يصبر على تعثر حفيديه وهما يمشيان فنزل من على المنبر وقطع حديثه ورفعهما من على الأرض حنانا ورأفة بضعفهما ؛ فعن بريرة – رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام، وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويَعْثُرَان، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: "صدق الله ﴿إنَّمَا أمْوَالُكُمْ وَأوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ" (التغابن: ١٥) ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ، ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي، ورفعتهما" [٥] .

- ونجد رحمته تمتد إلى إعطاء الطفل حقه في اللعب والاستمتاع بالحنان ، قال ﷺ : "حزقة حزقة ترق عين بقة" [٦].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه (٥٦٥١) ومسلم في صحيحه (٢٣١٨) والترمذي في السنن (١٩١١) وأحمد في مسنده (٢ / ٢٢٨) .

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٨٠/٤، والبيهقي في السنن ١٩٢/٥.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب باب استحباب تحنيك المولود، رقم (٢١٥٠).

[٤] أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١٠١/٢.

[٥] أخرجه الترمذي (٣٧٧٤) ، والطبراني (٥٦٥٦) .

[٦] "حزقة، بضم الحاء والزاي، وفتح القاف المشددة)": الصغير الضعيف، المقارب الخطر من ضعفه (وهذا للخطاب، أي يا حزقة...). "ترق"، بفتح التاء والراء: أي اصعد ، "عين بقة"، بفتح الباء وفتح القاف المشددة: أي عين بعوضة (وهذا أيضا للخطاب)، والتشبيه إشارة إلى الصغر. التخريج (مفصلا): وكيع في الغرر وابن السني في عمل يوم وليلة - الخطيب في التاريخ وابن عساكر عن أبي هريرة ، تصحيح السيوطي: حسن.

وقد قال هذا الحديث عندما كان يرقص الحسن والحسين، ويقول لهما ذلك مداعبة وإيناسا، فترقى الغلام حتى وضع قدمه على صدره الشريف . فعن جابر قال: دخلت على النبي وهو يمشي على أربعة وعلى ظهره الحسن والحسين – رضي الله عنها - وهو يقول: "نِعْمَ الجمَلُ جَمَلُكما، وَنِعْمَ العِدْلان أنتما"[١].

- ومن تعليمات الرسول ﷺ للمؤمنين ضرورة مداعبة أطفالهم واللعب معهم والرفق بهم ؛ فعن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أن رسول الله قال:"مَنْ كَانَ لَهُ صَبِيَّ فَلْيَتَصَابَ لَه"[٢] .

- وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "عُـرَامَةُ الصَّبِيِّ فِي صِغَرِهِ زِيَادَةٌ فِيْ عَقْلِهِ فِيْ كِبَرِه" [٣] . والعُرَامَةُ: الحيوية والحركة والنشاط في اللعب.

- إن دستور نبي الرحمة بالأطفال يقوم على قاعدة أساس هي :"لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا.

فرحمة الصغير وتوقير الكبير هما مناخ عام يجب أن يسود الأمة ولا تستغني عنه كالماء والهواء ، وقد بدأ نبي الرحمة بنفسه فكان أرحم الناس على الأطفال، كما يروي في الأحاديث الصحيحة ؛ كان ﷺ أرحم الناس بالصبيان والعيال[٤].

- وكان ﷺ يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم ويدعو لهم[٥].

- وكان رسول الله ﷺ يقول لمن يقابله من الأطفال: "يَا غُلاَمُ اذْهَبْ الْعَبْ"[٦].

- وتظهر رحمة الرسول في منع الصغير من العمل الذى لا يتناسب مع سنه

فرغم احتياج الرسول ﷺ لكل من يتطوع للجهاد، إلا أنه كان يشفق على الأطفال رحمة بهم، واستحداثاً لقوانين مستقبلية تكون منهاجاً للمسلمين في حياتهم عندما تتعقد الحياة و تتشعب مسالكها.

فعن البراء قال: عرضت أنا وابن عمر على رسول الله ﷺ يوم بدر فاستصغرنا - وفي لفظ: فردنا يوم بدر - وشهدنا أحدا. [٧].

---

[١] أخرجه الطبراني في الكبير (٣ / ٥٢) والهيثمي في مسند الفردوس (٩ / ١٨٢) .
[٢] الديلمي في مسند الفردوس (٣ / ٥١٣) .
[٣] رواه أحمد والترمذي وهو حديث حسن.
[٤] أخلاق النبوة (٦٥) ومسلم في الفضائل (٦٣) بلفظ: "كان أرحم بالعيال".
[٥] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب بول الطفل رقم (٢٨٦).
[٦] أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٤٨٣) والورع (١ / ٧٤) .
[٧] أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٤٤/٣، وابن أبى شيبة في مصنفه ٥٤٢/٦.

سادسا : رحمته ﷺ بالمرأة

- إن الرحمة بالمرأة من أولي الأمر ضرورة واجبة تفرضها الشريعة حدبًا وحنوا على المرأة في لحظات ضعفها ؛ نبعًا من مشاعر الرحمة الإيمانية التي تفيض بها شريعتنا الغراء ، وينتهجها نبي الرحمة في كل المجالات ، وإن ما استجد من قوانين الرعاية الاجتماعية للمرأة في العالم أجمع، هي من قبس سنة الرسول محمد ﷺ الذي علم البشرية كيف تحنو على المرأة وتقدر دورها الاجتماعي قبل الوظيفي ؛ حيث قيام المرأة بالدورين معًا يحتاج عناية أكبر بالمرأة؛ قال ﷺ : "اتقوا الله في الضعيفين: المملوك والمرأة"(١) .

ونرى مظاهر الرحمة بالمرأة التي دعا إليها نبي الرحمة تظهر في حالات متعددة :

١ - في حالة فقد أحبائها :

- إن رحمة النبي للمرأة في تلك الظروف تبين شفافية المشاعر الإيمانية وحنو الشريعة على المرأة في أحلك لحظات ضعفها، فيفرض على المجتمع أن يتضامن مع أحزانها ويجعل في ذلك ثواباً أخروياً عظيما. وفي هذا أقصى رعاية للمرأة، حيث تجد بجانبها من يساندها ماديا ومعنويا، بما يخفف وطأة الأحزان. وهذا عكس الخواء الروحي الذي تعيشه المرأة في الغرب نتيجة الغلو في الأنانية، بما يؤدى إلى الانعزالية وحرمان الإنسانية من دفء المشاعر الغالية وقت المصائب والكوارث (٢) .ومن مظاهر هذه المواساة كما ورد في السنة النبوية :

- عن منية بنت عبيد بن أبي برزة عن جدها أبي برزة قال: قال رسول الله ﷺ : "من عزى ثكلى كسى بردا في الجنة"(٣).

وتبلغ ذروة العاطفة الإيمانية في قلب الرسول ﷺ في التفاعل مع أحزان المرأة في مواقف متعددة تجعل ذلك التفاعل فرضاً واجب الأداء على كل مؤمن بالله واليوم الآخر، وامتلأ قلبه بينابيع الرحمة المتجددة ؛ فعن أسامة بن زيد، قال: كنا عند النبى ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيا لها في الموت فقال ﷺ للرسول: "ارجع إليها

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٤/٣، والسيوطي في الدر المنثور ١٢٤/٢.
(٢) موسوعة تحرير المرأة فى عصر الرسالة. عبد الحليم أبو شقة، مرجع سابق.
(٣) أخرجه الترمذى فى السنن (١٠٧٦).

فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب!" فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينها، فقام النبى ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ورجال وانطلقت معهم، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبى ونفسه تقعقع كأنها في شن، ففاضت عيناه، فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء" [١].

وهناك مواقف متعددة للرسول ﷺ في مواساة المرأة والمشاركة الوجدانية معها لتخفيف لوعة الأحزان عليها. وهو بذلك يضرب المثل الأعلى للمسلمين في ضرورة رعاية المرأة والحدب عليها ومساندتها في أحداث الحياة وأقدارها اقتداءً بسنته الشريفة للوصول إلى تحقيق الأمن المعنوي للمرأة التي تتميز برقة المشاعر والأحاسيس :

وشارك نبي الرحمة ﷺ عمته صفية وقت الحزن الشديد على أخيها حمزة فوضع يده على صدرها ودعا لها لتثبت أمام وطأة الأحزان ؛ فعن جابر لما قتل حمزة يوم أحد أقبلت صفية تطلبه لا تدرى ما صنع، فلقيت عليا والزبير فقال على للزبير: اذكر لأمك، وقال الزبير لعلي: اذكر لعمتك، فقالت: ما فعل حمزة؟ فأرياها أنهما لا يدريان، فجاء النبى ﷺ فقال: إنى أخاف على عقلها، فوضع يده على صدرها ودعا لها، فاسترجعت وبكت، ثم جاء فقام عليه وهو قد مثل به فقال: لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع ، ثم أمر بالقتلى فجعل يصلى عليهم فيضع سبعة وحمزة فيكبر عليهم سبع تكبيرات ثم يرفعون ويترك حمزة ثم دعا سبعة فيكبر عليهم سبع تكبيرات حتى فرغ منهم[١]

وكان يشارك أية امرأة في أحزانها ويناقشها ليصحح لها المفاهيم التي تقلقها حتى تهون من أحزانها ؛ فعن بريدة قال: كنا مع النبى ﷺ، إذ بلغه وفاة ابن امرأة من الأنصار، فقام وقمنا معه، فلما رآها قال: "ما هذا الجزع؟ قالت: يا رسول الله وما لى لا أجزع؟ وأنا رقوب لا يعيش لى ولد، فقال رسول الله ﷺ: إنما الرقوب الذى لا يموت ولدها، أما تحبين أن تريه على باب الجنة، وهو يدعوك إليها؟ قالت: بلى، قال: فإنه كذلك"[٢] .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤٣١/١.

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢١٨/٣، وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، والبيهقى فى السنن الكبرى، باب من زعم أن النبى ﷺ صلى على شهداء أحد ٤ / ١٢، وابن أبى شيبة في مصنفه ٣٧٢/٧، والطبرانى فى الكبير ٣ / ١٤٢، والهيثمى فى مجمع الزوائد، باب مقتل حمزة رضى الله عنه ٦ / ١١٨ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه عبد الرحمن بن أبى الزناد وهو ضعيف وقد وثق.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١ / ٤٥٠، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه بذكر الرقوب، والهيثمى فى مجمع الزوائد باب فيمن مات له ابنان ٣ / ٨، وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

٢ - في حالة رعايتها لصغيرها :

ليس أدلّ على رحمة النبي بالمرأة أكثر من أن يصدر لها تشريعات خاصة في الصلاة يلتزم بها جميع المؤمنين رحمة بأمومة المرأة، وقلبها الذي يفيض حبا لصغارها؛ فعن أنس، أن نبى الله عليه السلام قال: "إنى لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز في صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه ببكائه"[١].

٣ - في حالة مرضها :

لا يوجد في أى تشريع حضارى أن رئيس الدولة يذهب لإزالة الأذى عن عجوز عمياء مقعدة.. وهذا الرئيس هو عمر بن الخطاب الذي استقى مبادئه من نبي الرحمة ؛ فعن الأوزاعى أن عمر خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا، يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى؛ فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة! أعثرات عمر تتبع[٢].

٤ - في حالة تعرضها للمخاطر والأذى المعنوي :

لم يكتف نبي الرحمة بالرعاية الاجتماعية للمرأة ذات المنصب أو الجاه، بل امتدت إلى الإماء تقديراً لإنسانية المرأة،ومراعاة لمشاعرها،وحبها لأبنائها، مهما كان المركز الاجتماعى لتلك المرأة ؛ فعن أبى جعفر أن أبا أسيد جاء النبى ﷺ بسبى من البحرين، فنظر النبى ﷺ إلى امرأة منهن تبكي، فقال:"ما شأنك؟" فقالت: باع ابني، فقال النبى ﷺ لأبى أسيد: "أبعت ابنها؟" قال: نعم، قال: "في من؟" قال: في بنى عبس، فقال النبى ﷺ :"اركب أنت بنفسك فأت به"[٣].

---

[١] أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الصلاة باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبى (١٨١/١).
[٢] ذكره أبو نعيم فى الحلية ٤٨/١، وابن الجوزى فى صفوة الصفوة ١ / ٢٨١.
[٣] أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ٨ / ٣٠٧ (ح ١٥٣١٧) والزيلعى فى نصب الراية ٢٤/٤.

٥ - في حالة وقوع الحد عليها نتيجة أخطائها :

إن من مظاهر رحمة النبي ﷺ بالمرأة مراعاة العدالة والرحمة في تطبيق قوانين الدولة عليها إذ قد تلجأ المرأة إلى الجريمة تحت ظروف خارجة عن إرادتها، فنجد الرسول الرحيم يعطي لها فرصة التراجع في اعترافها ورغبتها في إقامة الحد عليها. ويضاف لمظاهر رحمة النبي ﷺ ضرورة حفظ حياة الجنين من الهلاك؛ فإذا كانت الأم محكوم عليها بالموت وهى في شهور الحمل؛ فإن الرسول قد منع إقامة الحد عليها حتى تضع حملها، بل وصل الأمر لأبعد من هذا فجعل إقامة الحد عليها لا ينفذ إلا بعد نهاية فترة الرضاع واعتماد الصغير على نفسه في الأكل والشرب ؛ فعن عبيد بن عمير أن امرأة زنت فجاءت النبي ﷺ فقال لها: "أحامل أنت؟" قالت: نعم، فقال: "اذهبي فإذا وضعت فأتيني"، فلما وضعته جاءته فقال: "اذهبي فأرضعيه، وإذا فطمتيه فأتيني"، فلما فطمته جاءته، قال: "اذهبي فاستودعيه"، ثم أتيني فذهبت فاستودعته، ثم جاءته فأمر برجمها فرجمت فسبها بعض من كان عنده ، فقال النبي ﷺ : "أتسبون امرأة لم تزل مجاهدة نفسها حتى أدت الذي عليها ؟" [١] .

٦ - في حالة احتياجها العون المادي والمعنوي :

فإننا نرى أن الفاروق عمر بن الخطاب وهو في أوج خلافته ينفذ تعاليم نبي الرحمة ﷺ الخاصة برعاية النساء ورحمتهن ، فلا يكتفي بتوفير ماديات الحياة التي تحتاجها المرأة لرعاية أولادها، بل هو يسعى كذلك إلى إضافة الاحتياجات المعنوية للأطفال، فلا تطيب نفسه إلا بإضحاكهم بعدما تعذبت نفسه ببكائهم. و في ذلك قمة السعادة والتقدير للمرأة بما لا يوجد في أية ديموقراطيات حديثة؛ فعن أسلم أن عمر بن الخطاب طاف ليلة فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون، وإذا قدر على النار قد ملأتها ماء، فدنا عمر من الباب فقال: يا أمة الله! ما بكاء هؤلاء الصبيان؟ قالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذه القدر التي على النار؟ قالت: قد جعلت فيها ماء هو ذا أعللهم به حتى يناموا وأوهمهم أن فيها شيئا دقيقا، فبكى عمر ثم جاء إلى دار الصدقة وأخذ غرارة وجعل فيها شيئا من دقيق وشحم وسمن وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغرارة ثم قال: يا أسلم! احمل علي، فقلت: يا أمير المؤمنين! أنا أحمله عنك؟ فقال لي: لا أم لك يا أسلم! أنا أحمله

---

[١] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٧ / ٢٠٥ .

لأنى أنا المسؤول عنهم في الآخرة، فحمله حتى أتى به منزل المرأة، فأخذ القدر فجعل فيها دقيقا وشيئا من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر، فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا! ثم خرج وربض بحذائهم حتى كأنه سبع، وخفت أن أكلمه، فلم يزل كذلك حتى لعب الصبيان وضحكوا، ثم قام فقال: يا أسلم! تدرى لم ربضت بحذائهم؟ قلت لا، قال: رأيتهم يبكون فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي(1).

٧ - نبي الرحمة ﷺ والوفاء للمرأة :

يندر أن توجد قوانين تسن الوفاء للإنسان و لكن الرسول الرحيم يجعل الوفاء واجبًا دينيًا في عنق كل مسلم.. اتباعا لقول المولى ﷻ ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾البقرة: ١٧٧ونرى منهج الرسول ﷺ في الوفاء نحو المرأة ليكون سنة متبعة بين جميع المسلمين ، **وذلك في وفائه ﷺ لأخته في الرضاعة بنت حليمة السعدية كنموذج من أمثلة عديدة :**

-عن أبي بكر بن سبرة عن إبراهيم بن عبد الله عن عبيد بن عبد الله بن عتبة عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: جاءت أخت رسول الله ﷺ السعدية إليه مرجعه من حنين فلما رآها رحب بها وبسط لها رداءه، لكي تجلس عليه فأعظمت ذلك، فعزم عليها فجلست فذرفت عينا رسول الله ﷺ حتى بلت دموعه لحيته فقال رجل من القوم: أتبكي يا رسول الله ﷺ؟ قال: نعم لرحمها وما دخل عليها، لو كان لأحدكم أحد ذهبا ثم أعطاه في حق رضاعه ما أدى حقها، أما حقي الذي آخذ منك فلك، وأما ما للمسلمين فلست بآخذته إلا أن يطيبوا به نفسا، قال: فلم يبق أحد من المسلمين إلا أدى ما أخذ منها(2) .

---

(1) أخرجه الهندى فى كنز العمال (٣٥٩٧٨) و انظر تاريخ الطبرى ٣٣٤/٢ - غرارة: الغرارة - بالكسر - واحدة غرائر التبن، وأظنه معربا. المختار ٣٧١.
(2) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٤٧٩/٧، والتمهيد لابن عبد البر ٢٨/٢٤.

٨ – النبي ﷺ و الحفاظ على مشاعر المرأة :

إن الحفاظ على مشاعر المرأة يعني الارتقاء بإنسانيتها وتقدير مشاعرها الأنثوية التي تتسم بالرقة والحساسية مما يتطلب الرعاية والتقدير، ونرى نبي الرحمة ﷺ يحنو على المرأة ويحافظ على مشاعرها ليكون سلوكه منهاجاً تطبيقياً للأمة الإسلامية، ومن ذلك الحفاظ على مشاعر ابنته السيدة فاطمة الزهراء من أن تقاسى آلام الغيرة، فمنع علىّ رضي الله عنه أن يتزوج بأخرى حفاظاً على مشاعرها ؛ فعن عَلِي بْنُ حُسَيْنٍ: أنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ قالَ: إنَّ عَلِيًّا خَطبَ بنْتَ أبى جَهْل، فَسَمِعَتْ بذَلِكَ فاطِمَةَ، فأتَتْ رَسُولَ الله ﷺ فقالتْ: يَزْعُمُ قوْمُكَ أنَّكَ لا تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِى نَاكِحٌ بنْتَ أبى جَهْل، فقَامَ رَسُولُ الله ﷺ، فسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ يَقُولُ: أمَّا بَعْدُ: أنْكَحْتُ أبَا العَاص بْنَ الرَّبيع فحَدَّثَنى وَصَدَقَنِي، وَإنَّ فاطِمَةَ بَضْعَة مِنِّي، وَإنِّى أكْرَهُ أنْ يَسُوءَهَا، وَالله لا تَجْتَمِعُ بنْتُ رَسُول الله ﷺ وَبنْتُ عَدُوِّ الله عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فترَك عَلِيٌّ[1]. .

- وحافظ نبي الرحمة ﷺ على مشاعر أسماء بنت عميس عندما أحزنها عمر رضي الله عنه بقوله سبقناكم بالهجرة ، فواساها الرسول ﷺ بما يطمئن خاطرهاويعلى شأنها هىومن كان معها ؛ فعن الشعبى قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشة لقى عمر بن الخطاب أسماء بنت عميس فقال لها: سبقناكم بالهجرة ونحن أفضل منكم، قالت: لا أرجع حتى آتى رسول الله ﷺ، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله! لقيت عمر فزعم أنه أفضل منا وأنهم سبقونا بالهجرة، فقال النبى ﷺ: بل أنتم هاجرتم مرتين . قال إسماعيل: فحدثنى سعيد بن أبى بردة قال قالت يومئذ لعمر: ما هو كذلك، كنا مطرودين بأرض البعداء والبغضاء وأنتم عند رسول الله ﷺ يعظ جاهلكم ويطعم جائعكم [2].

٩ - رحمته ﷺ بالمرأة في حالة انتقالها إلى الرفيق الأعلى :

- نرى الرسول الرحيم ﷺ يضع لنا الأسوة الحسنة في إحاطة المرأة بالرعاية والحنان في موتها مثل حياتها امتدادا لينابيع الرحمة الإيمانية وتكريمًا للإنسانية، وبصفة خاصة

---

(١) أخرجه البخارى فى المناقب ١٦ باب ذكر أصهار النبى ﷺ منهم أبو العاص بن الربيع رضى الله عنه (٣٧٢٩) والترمذى كتاب المناقب باب فضل فاطمة... رقم ٣٨٦٩ وقال حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة في مصنفه ٣٨٠/٦، وأبو يعلى فى مسنده ٣٠٤/١٣، والقرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ٢٠٢/١١.

المرأة التي خرج من رحمها الإنسان ليكون خليفة الله في الأرض ينطلق في آفاقها ويستنطق أسرارها وهذا نراه فيما يلي :

- عن علي قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها النبي ﷺ في قميصه، وصلى عليها فكبر عليها سبعين تكبيرة ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ويسوي عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان، وحثا في قبرها، فلما ذهب، قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله! رأيتك فعلت في هذه المرأة شيئا لم تفعله على أحد! فقال: يا عمر! هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبا فأعود فيه، وإن جبريل أخبرني عن ربي أنها من أهل الجنة، وأخبرني جبريل أن الله تعالى أمر سبعين ألفا من الملائكة يصلون عليها[١].

- توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ ، فخرجنا معه، فرأينا رسول الله ﷺ مهما شديد الحزن، فجعلنا لا نكلم، حتى انتهينا إلى القبر، فإذا هو لم يفرغ من لحده، فقعد رسول الله ﷺ وقعدنا حوله، فحدث نفسه هنيهة وجعل ينظر إلى السماء، ثم فرغ من القبر، فنزل فيه فرأيته يزداد حزنا ثم إنه فرغ فخرج فرأيته سري عنه وتبسم، فقلنا: يا رسول الله! رأيناك مهما حزينا لم نستطع أن نكلمك ثم رأيناك سرى عنك فلم ذلك؟ قال: كنت أذكر ضيق القبر وغمه وضعف زينب مكان ذلك فشق علي فدعوت الله أن يخفف عنها ففعل، ولقد ضغطها ضغطة سمعها من بين الخافقين إلا الجن والإنس"[٢]

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك ١٠٨/٣.
[٢] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٣٠/١.

سابعًا : رحمته ﷺ مع الخدم

- لعله من المفاهيم الغريبة على الأذهان أن يكون هناك رحمة مع الخدم ، وذلك أنه جرى العرف أن العلاقة بين أصحاب البيت والخدم علاقة سيادية مادية.. كانوا عبيدا يتحملون من الأعمال ما لا يطيقون.. وإذا كان الخدم اليوم يتنفسون عبير الحرية، فهذا بفضل البعثة المحمدية الرحمة المهداة للإنسان في كل زمان ومكان ، حيث حول الرسول الرحيم تلك العلاقة إلى علاقة معنوية إيمانية، تدخل فيها نواحي الرحمة من أصحاب المنزل، والخوف من أمانة المسئولية عن نفس بشرية، ويدخل فيها نواحي الإخلاص وتقوى الله من الخادم.. وهكذا فإن رحمة الخدم لم تعد تفضلا من أهل المسكن، ولكنها شريعة تعبدية يقومون بها تحقيقا لنواحي الكمال الإيماني في قلوبهم أداء لأمانة دينهم، وتزداد تلك الأمانة إذا كان الخادم يقيم في المنزل بصفة دائمة.

وإن تشريعات السنة الشريفة في تحديد معالم حسن المعاملة والرحمة للخدم ، لتدل على سمو الشخصية المحمدية في إرساء معاني الرحمة في كل المجالات ومع كل الناس ، وهذا نراه فيما يلي :

- يحذر الرسول ﷺ من المعاملة المهينة للخادم بالإهمال لهم ونبذهم أو الضرب الشديد:

- قال ﷺ :"لا تضربوا الرقيق فإنكم لا تدرون ما توافقون"(١).

- وقال ﷺ : "ألا أنبئكم بشراركم من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده"(٢).

- ويخبرنا الرسول ﷺ أن أفضل الصدقات هى الصدقة على المملوك أو الخادم؛ لأنه لا يجد غير سيده ينفق عليه، ومنع الصدقة في هذه الحالة يعرض السيد لعذاب من الله يوم القيامة ؛ لأنه لم يرحم احتياج ذلك الخادم ؛ فقال ﷺ :"لا يأتي رجل مولاه فيسأله من فضل هو عنده فيمنعه إياه إلا دعي له يوم القيامة شجاع أقرع يتلمظ فضلة الذي منع منه"(٣).

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٨/٤، وعزاه الطبراني في الكبير.
(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٠/٨، ٨٣، والطبراني في الكبير ٣٨٧/١٠.
(٣) أخرجه النسائي في السنن ٨٢/٥، وأحمد في مسنده ٣/٥، والبيهقي في السنن ١٧٩/٤ - (يتلمظ أي يدير لسانه في فيه ويحركه. النهاية [٢٧١/٤] ب).

- وتحرص السنة الشريفة عل مشاعر الخدم فتنهى عن التفرقة بين الوالدة وولدها أو بين الأخ وأخيه رحمة بالروابط الإنسانية التي تربط بينهم ؛ قال ﷺ :" من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة" [١].

- وتنهى السنة الشريفة عن تعذيب خلق الله، وتبين أن الأمن على النفس حق من الحقوق الأساس لكل إنسان، فإذا تجاوز أحد تلك الحقوق تعرض للحساب الإلهي :

- قال ﷺ : "يا أبا ذر إنك امرء فيك جاهلية، إنهم إخوانكم فضلكم الله عليهم، فمن لم يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله".

- وعن عكرمة قال: مر النبي ﷺ بأبي مسعود الأنصاري وهو يضرب خادمه فناد النبي ﷺ فقال: "اعلم أبا مسعود" فلما سمع ألقى السوط، فقال له النبي ﷺ: "والله لله أقدر عليك منك على هذا"، قال: ونهى رسول الله أن يمثل الرجل بعبده فيعور أو يجدع وقال: "أشبعوهم ولا تجوعوهم، واكسوهم ولا تعروهم ولا تكثروا ضربهم فإنكم مسؤلون عنهم، ولا تقدحوهم بالعمل، فمن كره عبده فليبعه ولا يجعل رزق الله عليه عنا" [٢].

- وتفتح السنة الشريفة مجالات واسعة للعفو عن الخادم ؛ وذلك أنه إذا ذكر الله وقت الضرب ؛ فيجب على أهل المنزل أن يكفوا فورًا عن ضربه؛ لأنه استغاث بعظيم ؛ قال ﷺ : "إذا ضرب أحدكم خادمه، فذكر الله فارفعوا أيديكم"[٣].

- ومن مجالات العفو عن الخادم أيضا: أنه إذا حلف السيد على ملك يمينه بالضرب، فإن كفارة يمينه أن لا يضربه؛ لأن ذلك خير له؛ فعن ابن عباس قال: من حلف على ملك يمينه أن يضربه فإن كفارة يمينه أن لا يضربه، وهي مع الكفارة حسنة[٤].

- ونسجل من مواقف الرحمة بالخدم حديث يجمع قواعد حسن المعاملة من حسن المطعم والملبس وحسن القول ؛ فعن كعب بن مالك قال: عهد نبيكم ﷺ قبل وفاته بخمس

---

[١] أخرجه الترمذي في السنن (١٢٨٣) وقال: حسن غريب، والدارمي في السنن ٢٢٨/٢، والحاكم في المستدرك ٥٥/٢، وأحمد في مسنده ٤١٤/٥، والبيهقي في السنن ١٢٦/٩.

[٢] أخرجه مسلم في الإيمان (٣٤) وأبو داود في السنن (٥١٥٩) والترمذي في السنن (١٩٤٨) والبيهقي في السنن ١٠/٨.

[٣] أخرجه الترمذي في السنن (١٩٥٠).

[٤] أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن (١١٨٢).

ليال فسمعته يقول: "الله الله فيما ملكت أيمانكم أشبعوا بطونهم وأكسوا ظهورهم وألينوا القول لهم"[١].

- **ويوضح النبي ﷺ أن الرحمة تتحقق في المشاركة في الطعام مع الخادم** ؛ فيقول ﷺ : "إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه قد كفاه علاجه ودخانه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين".

- **والرحمة تتحقق في أن له حق الصلاة كما يريد، وحق تناول الطعام بدون إزعاج، وحق الشبع الذى يحقق له الإشباع النفسى** ؛ قال ﷺ : للمملوك على سيده ثلاث خصال، لا يعجله عن صلاته ولا يقيمه عن طعامه ويشبعه كل الإشباع"[٢].

- **ومن مظاهر رحمة النبي ﷺ بالخدم أيضًا : أن يكون العقاب أيضا على قدر عقول الخدم وهو ما يسمى في ساحة القضاء حاليا :" مراعاة ظروف ارتكاب الحادث** ؛ قال ﷺ: "عاقبوا أرقاءكم على قدر عقولهم"[٣].

- **إن قوانين السنة الشريفة في عدم تكليف الخدم ما لا يطيقون تنبع من رحمة الرسول وشريعة القرآن التي حفلت بقوانين الرحمة ، وتلك القوانين تعتبر من سبق الشريعة وانفرادها برعاية الإنسان رعاية قصوى لايوجد مثيل لها على مر الأزمان. فقد أمر الرسول ﷺ بعدم فرض أهل المنزل أعمال كثيرة على الخدم تشق عليهم** ؛ فقال ﷺ : "يا أبا كاهل ضع الطهور منك مواضعه وأبق فضل طهورك لأهلك لا تعطش أهلك ولا تشقن على خادمك"[٤].

- **وإذا أدى الأمر إلى أن أعمال المنزل تتطلب جهدا كبيرا فيجب أن يتم المشاركة مع الخدم في أداء تلك الأعمال ، أى يتم التعاون المشترك** ؛ قال ﷺ : "إخوانكم خَولكم جعلهم

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢١٥/٣، والطبراني في الكبير ٤٢/١٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٣/١.
(٢) أخرجه الطبراني في الصغير ١٢٧/٢.
(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٦٨/١٠، وابن عدي في الكامل ٢٤٢/٥.
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٦١/١٨.

الله فتنة تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه"[١].

- وقال ﷺ :أرقاءكم إخوانكم فأحسنوا إليهم،استعينوهم على ما غلبكم وأعينوهم على ما غلبهم [٢].

- وزيادة في إرساء حق الخدم في هذا المجال، فقد وضعت السنة الشريفة من الحوافز ما يجعل التخفيف عن الخادم في أعمال المنزل أجر في الموازين يوم القيامة ؛ فقد قال ﷺ : "ما خففت عن خادمك من عمله، فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة" .

وضرب لنا الرسول أروع الأمثلة في الرحمة والرفق بالخدم، حيث شهد أنس الذي خدم الرسول سنوات عديدة بأنه لم يتعرض لأي أذى مادي أو معنوي خلال تلك الفترة ؛ فعن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، لا والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي: أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله، لم لا فعلته[٣].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ٣٠/١، ومسلم في الإيمان (٣٨)، والترمذي في السنن (١٩٤٥)، وابن ماجه في السنن (٣٦٩١) - (خولكم: الخول: حشم الرجل وأتباعه، واحدهم خائل، وقد يكون واحدا، ويقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التخويل: التمليك. وقيل من الرعاية. النهاية [٨٨/٢] ب).

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ٣٧١/٥، والبخاري في الأدب المفرد (١٩٠).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٠٩)، والدارمي في السنن ٤٥/١، وعبد الرزاق في مصنفه ٤٤٣/٩، وأحمد في مسنده ١٩٧/٣، ٢٣١.

ثامنًا : رحمته ﷺ مع الحيوانات والطيور والكائنات عموما

إن المتعمق في مفهوم رحمة الرسول ﷺ بالحيوانات والطيور والكائنات عموما ليأخذه العجب من تلك الشريعة السامية رغم أن أصحابها ينظرون إلى الغرب بتعجب من قوانين الرأفة بالحيوان ، ليس هذا فقط ، بل إن أهل الغرب ينظرون إلينا على أننا شعوب متخلفة ولا يعرفون أننا نرى خليفة في أعظم مناصب السلطة وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :أخشى إن عثرت دابة في العراق يسألني الله عنها :لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق يا عمر ؟ وهذه الروح التي يتكلم بها مستمدة من روح الإسلام التي تشيع رحمة بالكائنات عموما، حتى إن نبي الرحمة ﷺ يجعل قتل عصفور عبثا جريمة سيقف العصفور يوم القيامة يحاجي قاتله بها عند ربه يوم القيامة؛ حيث قال ﷺ : "من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة منه يقول: يا رب! إن فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني لمنفعة"(١).

فهل هناك رحمة بعد ذلك ؟! إنها رحمة تجعل إراقة دم عصفور عبثا نوع من الظلم ٠٠ فما بال إذا كان الأمر يتعلق بإراقة دماء شعوب ظلما وعدوانا وطمعا في خيراتها وثرائها ؟!

إن رحمة الرسول ﷺ بالحيوان تتمثل في مظاهر متعددة :

- فهو يدعو إلى ركوب الحيوان الصحيح وليس المريض، وذلك رحمة بالحيوان فلا نضيف عليه عناء الركوب مع عناء المرض. كما أنه ينهى عن اتخاذ الدواب كراسي للأحاديث حتى لا تجهد، فهي خلقت لهدف استعمالها في المنافع الحيوية ؛ قال ﷺ :" اركبوا هذه الدواب سالمة، ولا تدعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرب مركوبة خير من راكبها، وأكثر ذكرا لله تبارك وتعالى منه(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٨٦٥١)، النسائي في السنن ٤٣٧٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/٤٤٠، ٤/٢٣٤)، المناوي في فيض القدير ١/٤٧٨، الحاكم في المستدرك ١/٤٤٤، ٢/١٠٠، البيهقي في السنن ٥/٢٥٥ - (واتدعوها: ومنه الحديث (اركبوا هذه الدواب سالمة وايتدعوها سالمة) أي اتركوها ورفهوا عنها إذا لم تحتاجوا إلى ركوبها، وهو افتعل، من ودع بالضم وداعة ودعة: أي سكن وترفه، وايتدع فهو متدع: أي صاحب دعة، أو من ودع إذا ترك. يقال: اتدع وايتدع، على القلب والإدغام والإظهار. النهاية [٥/١٦٦] ب).

- ويدعو نبي الرحمة إلى تخفيف العبء على الحيوان فلا يركبها أكثر من اثنين. ويبين أن الثالث تحل عليه اللعنة لقسوته على الحيوان الذي يئن ولا يستطيع الشكوى؛ قال ﷺ : الثالث ملعون يعني على الدابة[١].

- ويحدد نبي الرحمة قواعد السفر بالحيوان فإذا كان الطريق خصبا فيجب إعطاؤه حظه من الغذاء والترفيه .. وإن كان الطريق جدبا فيجب الإسراع لتخفيف وطأة الزمن وقلة الغذاء عليه؛ قال ﷺ: "إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض وإذا سافرتم في السنة فأسرعوا عليها السير، وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فإنها طرق، الدواب ومأوى الهوام بالليل"[٢].

- وبلغ من رحمة النبي بالحيوان ؛ أنه كان يمنع تعذيبه بأي شكل من الأشكال سواء الضرب أو الوسم ؛ فقد مر النبي ﷺ بحمار قد وسم في وجهه تدخن منخراه، فقال النبي ﷺ:" لعن الله من فعل هذا، لا يسمن أحدكم الوجه، ولا يضربن أحدكم الوجه"[٣].

- وقال رسول الله ﷺ : أما بلغكم أني لعنت من وسم البهيمة في وجهها أو ضربها في وجهها[٤] .

- وقال رسول الله ﷺ : لعن الله من مثل بالحيوان[٥] .

- ورحم الرسول ﷺ الحيوان عند ذبحه، فيدعو إلى رحمتها بكل الطرق سواء بسوقها سوقا إلى الذبح، أو عدم سن الشفرة أمامها أو ذبحها أمام مثيلاتها، ونرى هذا جليًا في تصرفه وأوامره ﷺ ؛ فعن العباس قال: مر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها قال: "أفلا قبل هذا أو تريد أن تميتها موتتين"[٦] .

---

[١] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٣/١.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٢٦، الترمذي في الأدب ٢٧٨٥، أبو داود في الجهاد ٢٢٠٦، أحمد في مسنده ٨٥٦٣.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ٢٩٧/٣، والحاكم في المستدرك ٢٩٠/٤.

[٤] أخرجه أبو داود في الجهاد ٢٥٤٧.

[٥] أخرجه البيهقي في السنن ٨٧/٩، البخاري في الكبير ٢٠٦/١.

[٦] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣/٤، والبيهقي في السنن ٢٨٠/٩، والمنذري في الترغيب والترهيب ١٥٦/٢.

- ومن رحمته ﷺ بالحيوانات : نهيه ﷺ عن استعمالها في غير وظائفها ؛ كاستخدامها وسيلة للتسلية كالمصارعة وغيرها ؛ فقد روي عن مجاهد : أن النبي ﷺ وسلم نهى عن التحريش بين البهائم[١] .

- كما اهتم الرسول ﷺ بتوفير الغذاء للدواب ؛ لأن من أبشع أنواع الظلم حرمان الدواب من الطعام ، ومسئولية ذلك الحرمان عظيمة أمام الله ؛ فعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ وسلم صلى الظهر فوجد ناقة معقولة فقال : " أين صاحب هذه الراحلة، ألا تتقي الله فيها إما أن تعلفها وإما أن ترسلها، حتى تبتغي لنفسها" .

- وقال رسول الله ﷺ : "دخلت امرأة النار في هرة، ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت" .

- قال رسول الله ﷺ : "بينما **رجل يمشي** بطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب منها ثم خرج، فإذا **هو** بكلب يلهث **يأكل** الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي فنزل **البئر فملأ** خفه ماء ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له **فقالوا: يا رسول الله وإنا لنا في** البهائم أجرا؟ فقال: "في كل ذات كبد رطبة أجر"[٢].

- عن معاوية بن قرة عن أبيه أن رجلا قال للنبي ﷺ وسلم : إني لأذبح الشاة وإني أرحمها - أو قال : إني لأرحم الشاة - إذا ذبحتها، فقال ﷺ : "الشاة إن رحمتها رحمك الله"[٣] .

- وقد سبق الرسول ﷺ كل قوانين العصر الحديث في الحرص على تقليم الأظفار وقت حلب المواشي ؛ فهي تحقق نظافة اللبن من الجراثيم من جهة ، ورحمة بالمواشي أن تخرج ضروعها فتتألم من تلك الجروح ، وهذا ما نراه جليًا في أمره ﷺ ؛ فعن سوادة بن الربيع قال : أتيت رسول الله ﷺ وسلم فأمر لي بذود وقال : "إذا رجعت إلى بيتك فمرهم - فليحسنوا غذاء رباعهم، ومرهم فليقلموا أظفارهم لا يخدشوا بها ضروع مواشيهم إذا حلبوا"[٤] .

- ووصلت رحمته ﷺ بالطيور أنه رفض أن تفجع أنثى طائر في صغيرها الذي أخذه أحد الصحابة فأمره أن يرده إليها لتهدأ مشاعرها الحزينة بغياب ولدها ؛ فعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة

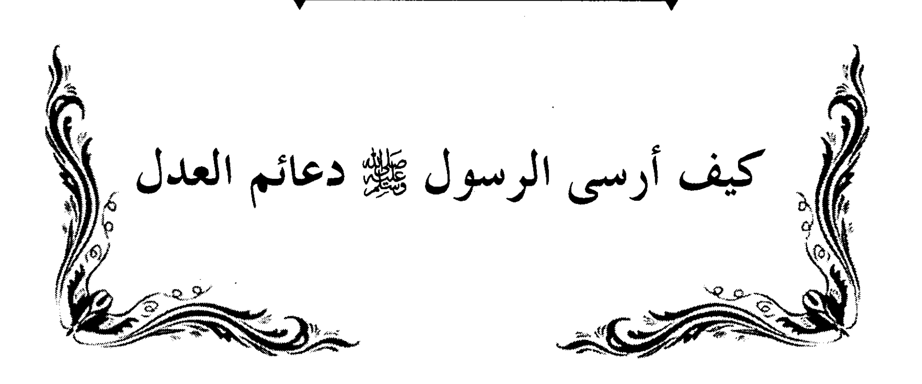
---

[١] أخرجه الترمذي في ١٧٠٨، ١٧٠٩، الطبراني في الكبير ٨٥/١١، البيهقي في السنن ٢٢/١٠.
[٢] أخرجه أحمد في مسنده ٨٥١٩، وأبو داود في الجهاد (٢١٨٧)، والبخاري في صحيحه ٢٢٨٦.
[٣] أخرجه أحمد في مسنده ٤٣٦/٣، ٣٤/٥، والطبراني في الكبير ٢٣/١٩، ٢٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣/٤.
[٤] أخرجه أحمد في مسنده (٤٨٤/٣).

معها فرخان ، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش ، فجاء النبي ﷺ وسلم فقال: "من فجع هذه" .

- بعد أن استعرضنا تلك النقاط السريعة يتبين لنا كيف سبقت رحمة الرسول ﷺكل سلوكيات الحضارات الحديثة في رعاية الحيوان بما لم يسبق له مثيل، فالرحمة التي أمرنا الرسول ﷺ بها أشمل وأعمق وأوسع من مفهوم (الرفق بالحيوان) الذي تنادي به الدول الغربية؛ لأن الرحمة التي يدعو إليها الدين الحنيف تفجر الطاقات الكامنة في الكون كله ، بما يؤدي إلى التناسق والتناغم بين الكائنات عموما وهذا يعني توحد الذرات وتزايد قوتها في ذلك التوحد وهذه هي الرحمة بكل أبعادها والتي يختلف الساعون إلى تحقيقها في تحديد معنى محدد لها.

الباب الثاني



كيف أرسى الرسول ﷺ دعائم العدل

عرضنا في الباب الأول معالم الرحمة الإيمانية التي تفيض بها الشخصية المحمدية، ونعرض في هذا الباب معالم العدل الذي أرسى الرسول ﷺ دعائمه ، وذلك لأن الرحمة مقدمة على العدل في منهاج الحق ، حيث قال رسول الله ﷺ : "إن الله عز وجل حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي غلبت غضبي"(١).

فالإسلام لا يقف بالمرصاد للمذنبين فيقيم عليهم موازين العدل ، ولكنه يفتح لهم أبواب الرحمة رفقا بضعفهم ، وهذا ما لا يرقى إليه أي قانون للعقوبات مهما تقدمت الحضارات.

القسم الأول : معالم العدل كما أرساها الرسول ﷺ

العدل من القيم التي تنبثق عن عقيدة الإسلام ، فهو الدعامة المتينة التي يجب أن تشيد الأمم بنيانها عليه حتى لا يتداعى ذلك البنيان؛ لأن الظلم هو أكبر معول لهدم بنيان أية أمة .. ففي ظل العدل يسعى المواطنون إلى العمل في الحياة بفاعلية وإيجابية ، وهم مطمئنون إلى ضمان حقوقهم ، مما يورق ثمار الحرية والمساواة والعزة والكرامة ، وتتحق التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بأجلى صورها.

ونقيض ذلك الظلم .. فهو يهدم النفوس ويكبلها ، ويهدم معها عرى ترابط الأمة ويمزقها أشتاتا ، ويعرقل عملية التنمية في جميع المجالات ، لانتشار الفساد في أرجاء البلاد (٢).

ويتميز منهاج الرسول ﷺ في تحقيق العدل بالشمول والسمو ، فعلّم البشرية لأول مرة في تاريخها كيف تتذوق معنى العدل الذي يشيد منهاج الحكم السياسي والمعاملات الاجتماعية ، ليس على أساس الهوى أو قواعد الحب والبغض

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٣٥٤٣، والسيوطي في جمع الجوامع ٤٨٠٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٧/٨.

(٢) النظريات السياسية الإسلامية د. محمد ضياء الدين الريس أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، دار التراث.

- الفساد السياسى فى المجتمعات العربية والإسلامية ، محمد الغزالى ، دار نهضة مصر.
- الإنسان وعدالة الله ، محمد سعيد رمضان البوطى، الفارابى ، سوريا.
- عوامل الهدم والبناء فى المجتمع الإسلامى، د.عبد الرحمن البر ، دار نور الإسلام المنصورة

والمصالح الشخصية ، أو القرابة أو الحسب والنسب ، أو العقيدة، بل أحكام العدل يجب أن تقوم على منطق الحق الذي يعلو على كل موازين الخلق.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء:١٣٥)

ونرى فيما يلي كيف أرسى الرسول ﷺ معالم العدل بالمفهوم الإيماني :

أولا: أهمية العدل ومكانته في السنة المحمدية :

بين الرسول ﷺ في سنته الشريفة أهمية العدل في الشريعة الإسلامية ، بمعان جديدة لم تعرفها الشعوب إلا بعد انتشار حضارة الإسلام ومبادئها العريقة ، لتخرج الناس من ظلمات الاستبداد إلى أنوار الحق والعدل(١).فالعدل هو أساس النجاة في الآخرة بالفوز بالجنان والنجاة من النيران؛ لأنه يؤدي إلى نجاة الأمة من مهاوي التهلكة في الدنيا .. ويقصد بالعدل **إقامة موازين الحق والتحلي بالنزاهة والشرف والبعد عن الرشوة والمحاباة التي تؤدي إلى ضياع المال العام في غير مقاصده الأساسية للارتقاء بالأمة وإعلاء شأنها** إن الحساب الأخروي العادل ينتظر كل من يتولى سلطة في الجهاز الإداري ، فلا ينجيه من العقاب الشديد إلا العدل؛ حيث قال ﷺ : "ما من أمير عشرة إلا يؤتي به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه لا يفكه من غله ذلك إلا العدل". (٢)

- و قال ﷺ : "من ولي على عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو كرهوا جيء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، فإن عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه، وإن حكم

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب . المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه . نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي – دار صادر – بيروت .

(٢) أخرجه : أحمد فى مسنده ٤٣١/٢ ، ٢٨٥/٥ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٠٥/٥ والدارمى فى السنن ٢٤٠/٢ ـ البيهقى فى السنن ١٢٩/٣ ، ٩٥/١٠ والطبرانى فى الكبير ٢٧/٦.

بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه شدت يساره إلى يمينه ثم رمي به في قعر جهنم، فلم يبلغ قعرها خمس مائة عام"(١).

- و قال ﷺ : "من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار"(٢).

- وقد بيَّن الرسول ﷺ كيف يحظى الحكام العادلون بمكانة رفيعة في الدنيا والآخرة؛ لأنهم أفضل عباد الله حيث يطبقون التعاليم السماوية التي تؤدي إلى سيادة العدل في الأمة، مما يحقق السلام الاجتماعي في الأمة ؛ فقال ﷺ : "إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا" (٣).

- وقال ﷺ : "الإمام العادل لا ترد دعوته" (٤).

- يجعل الرسول ﷺ تصرفات الإمام العادل وسيلة تحقق العزة والكرامة لكل أبناء الشعب ؛ حيث بها يتم نصرة المظلومين ، ومنع تجبر الأقوياء على الضعفاء ؛ كما يتحقق بها تحقق الرخاء للأمة كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف:٩٦) قال رسول الله ﷺ :"السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر، وإن جار أوخان أو ظلم، كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر، وإذا جارت الولاة قحطت السماء، وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي، وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة ، وإذا أخفرت، الذمة الذمة أديل"(٥).

---

(١) أخرجه : الحاكم فى المستدرك ١٠٣/٤ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٠٦/٥.

(٢) أخرجه : أبو داود فى السنن ٣٥٧٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ١٧٢/٣ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٣٧٣٦ وابن حجر فى فتح البارى ١٢٤/١٣.

(٣) أخرجه : أحمد فى مسنده ١٥٩/٢ والنسائى فى السنن ٢٢١/٨ ، ومسلم فى الإمارة (١٨) والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٦٠/٣.

(٤) أخرجه : احمد فى مسنده (٤٤٤/٢) .

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٦/٥ ، و المناوي في فيض القدير ١٤٣/٤. أخفرت (أخفرت: الخفارة بالكسر والضم: الذمام، وأخفرت الرجل إذا نقضت عهده وذمامه. والهمزة فيه الإزالة، أي أزلت خفارته، كأشكيته إذا أزلت شكايته النهاية (٢/ ٥٣) ب خفارته، كأشكيته إذا أزلت شكايته النهاية (٢/ ٥٣) ب.

- و قال ﷺ : "كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفها من قويها"[(١)].

- إن العدل يعني التفاعل الإيجابي مع أبناء الأمة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية التي تهدف إلى

توجيه مصادر الثروة الاقتصادية لإشباع الحاجات العامة ، وخاصة للفقراء والمساكين وغير القادرين؛ فقال ﷺ : "ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته"[(٢)].

ثانيا : نبي الرحمة يجاهد ضد الظلم :

لقد جاهد نبي الرحمة الظلم ؛ لأن الظلم ضد الرحمة ؛ فهو يعني القسوة التي تؤدي إلى سطوة الأقوياء على الضعفاء ، وضياع الحقوق والواجبات ؛ ولذا ترفض الشريعة الظلم رفضا قاطعا وتنهى عن التعامل مع الظالمين أو تأييدهم ..

ونرى فيما يلي كيف رسخ الرسول محمد ﷺ بشاعة الظلم في وجدان المؤمنين، ليحذرهم من ذلك الوباء الخطير الذي يقوض أركان المجتمعات.

يحذر الرسول ﷺ من الظلم؛ لأنه يؤدي إلى اختلال منظومة المعاملات في المجتمعات ، وتشتد مساوئ الظلم إذا كان من الحاكم ؛ لذلك يتعرض لأشد أنواع العذاب ، ولا ينال شفاعة نبي الرحمة ؛ فقال ﷺ : "لا تبغ ولا تكن باغيا، فإن الله تعالى يقول: {إنما بغيكم على أنفسكم}"[(٣)].

- وقال ﷺ : "أشد الناس عذابا إمام جائر"[(٤)].

- و قال ﷺ : "صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وغال في الدين يشهدون عليهم ويتبرؤون منهم" [(٥)].

ويبين الرسول ﷺ أن الظلم ممنوع، سواء ظلم المسلم أو غير المسلم؛ حيث دعوة المظلوم مستجابة حتى لو كانت من فاجر ، فالفجور حساب بينه وبين الله ، أما وحدة قوانين التعامل مع البشر فهي لا تختلف في الشريعة الإسلامية ، وهو ما

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (٤٠١٠).
(٢) أخرجه : الترمذى فى السنن ١٣٣٢ وقال : غريب ، أحمد فى مسنده (٢٣١/٤).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٣٨/٢ ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٠٣/٣.
(٤) أخرجه: الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٩٧/٥ ، ٢٣٦ والطبرانى فى الصغير ٢٣٨/١ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ١٦٧/٣.
(٥) أخرجه : الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٣٥/٥ والألبانى فى الصحيحة ٤٧١.

تتميز به عن غيرها من الشرائع ؛ فقال ﷺ : "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين"[١].

وأصعب موقف أمام الله هو وقت حصول المظلومين على حقوقهم من الظالمين؛ حيث يتم القصاص العادل بين الجميع حتى بين الحيوانات ؛ حيث تأخذ ثأرها بنفسها ؛ فقال ﷺ : "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها"[٢].

- **أما القصاص بين البشر ؛ فيتم عن طريق أخذ الحسنات من الظالم لصالح المظلوم ، فإذا نفدت حسنات الظالم ، وضع المظلوم سيئاته عليه** ؛ قال ﷺ : "يجيء الرجل يوم القيامة من الحسنات مما يظن أنه ينجو فلا يزال رجل يجيء قد ظلمه مظلمة، فيؤخذ من حسناته فيعطى المظلوم حتى لا تبقى له حسنة، ثم يجيء من يطلب ولم يبق من حسناته شيء، فيؤخذ من سيئات المظلوم فتوضع على سيئاته"[٣].

والقصاص يتم حتى في الكلمة التي تنطق ظلمًا وبهتانًا وتسبب الأذى لمن صدرت ضده تلك الكلمة؛ قال ﷺ : "من قال في امرئ مسلم ما ليس فيه ليؤذيه، حبسه الله في ردغة الخبال يوم القيامة حتى يقضى بين الناس"[٤].

وهناك عقاب خاص دنيوي وأخروي لرجال السلطة الذين يعذبون الناس بسياطهم تنفيذًا لأوامر الحكام وتملقا لهم ، وتوطيدًا لوجودهم في الحكم ؛ قال ﷺ :"يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله"[٥].

- و قال ﷺ : "من أسوء الناس منزلة، من أذهب آخرته بدنيا غيره"[٦].

---

[١] أخرجه : أحمد فى مسنده ٧٧٠٠ ـ الترمذى فى السنن ٢٤٤٩ ـ ابن ماجه فى السنن ١٧٤٢.

[٢] أخرجه : مسلم فى صحيحه ٢٥٨٢ ـ الترمذى فى السنن ٢٤٢٢ وقال : حديث حسن صحيح ـ أحمد فى مسنده(٢٣٥/٢ ، ٣٠١ ، ٣٧٢) ـ البخارى فى الأدب المفرد ١٨٢.

[٣] أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣١٦/٦ ـ الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٥٣/١٠.

[٤] أخرجه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ١١١/٢ . (ردغة بفتح الراء وسكون الدال وفتحها. قال ابن الأثير: إنها عصارة أهل النار...انتهى.الجزء الثاني. ح.

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه ٢٨٥٧

[٦] أخرجه: البيهقي في الشعب (٩٦٥٨) و المناوي في التيسير ٤٧/٦ وقال :حسن.

- و قال ﷺ : "يجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: يا رب! هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: أي رب! إن هذا قتلني، فيقول الله: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: فإنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه"[١].

- و قال ﷺ : "إن في النار حجرا يقال له ويل يصعد عليه العرفاء وينزلون فيه"[٢].

ثالثا : أنواع الظلم في نهج السنة المحمدية :

جاهد نبي الرحمة محمد ﷺ أنواع الظلم التي قد تتعرض لها المجتمعات بما يفوق تصور الشعوب وهي تعيش أرقى الديموقراطيات .. فالظلم ليس انتهاك الحقوق أو سيادة الأقوياء على الضعفاء ، أو الغش والخداع فقط ؛ بل الظلم في منهاج الرسول ﷺ يمتد ليشمل كل نواحي الحياة سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي ، أو حتى المجال الشخصي، حيث يظلم الإنسان نفسه بتعريضها لأشد أنواع البلاء .

ونعرض فيما يلي أنواع الظلم في السنة النبوية بما يحقق للمجتمع صورة مثالية للعدالة :

- **إشاعة الحكم الديكتاتوري في الأمة بما يؤدي إلى ترويع المواطنين وسيادة الأقوياء وحرمان الضعفاء من حق الأمن والكرامة والعزة المطلوبين في ظل سيادة قوانين العدالة الاجتماعية**، قال ﷺ :" من روع مؤمنا لم يؤمن الله روعته يوم القيامة، ومن سعى بمؤمن أقامه الله مقام ذل وخزي يوم القيامة"[٣].

- وقال ﷺ : " أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصيه بجماعة المسلمين أن يعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم، ويوقر عالمهم، وأن لا يضربهم فيذلهم، ولا يوحشهم فيكفرهم، وأن لا يخصيهم فيقطع نسلهم، وأن لا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم[٤].

---

(١) أخرجه : النسائي في السنن ٨٤/٧ –البيهقي في السنن ١٩١/٨ –الطبراني في الكبير ١١٩/١٠ – السيوطي في الدر المنثور ١٩٨/٢.

(٢) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٩/٣ –السيوطي في الدر المنثور ٨٢/١ –المنذري في الترغيب و الترهيب ٥٦٩/١.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب (١١١٧).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن ١٦١/٨.

- **الخروج عن كبح جماح النفس في حالة الغضب مما يستتبع إصدار أحكام جائرة فتختل موازين العدل في الأمة**؛ قال ﷺ: "إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان"(١).
- **قتل النفس بدون وجه حق وبدون محاكمات عادلة مما يستدعي غضب الله ومقته**؛ قال ﷺ: "ما من نفس تقتل ظلما إلا كان علي ابن آدم كفلان من الوزر؛ لأنه أول من سن القتل"(٢).

- وقال ﷺ: "أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه"(٣).

- و قال ﷺ: "من شرك في دم حرام بشطر كلمة، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله".

- **التعاون مع الظالمين وإعانتهم بأية صورة من الصور؛ لأن هذا يعني تشجيعهم على التمادي في ظلمهم، وغياب الرقابة الشعبية التي تمثل قوة ردع للظالمين**؛ قال ﷺ: "ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من عقد لواء من غير حق، أو عق والديه، أومشى مع ظالم لينصره"(٤).

- وقال ﷺ: "من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام"(٥).

- وقال ﷺ: "من أعان على خصومة بظلم أو يعين على ظلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع".

- **الدفاع عن راية عمية لنصرة العصبية لتحقيق مصالح دنيوية بعيدة عن إعلاء كلمة الحق والعدل**؛ قال ﷺ: "العصبية أن تعين قومك على الظلم".

---

(١) أخرجه: أحمد في مسنده ٢٢٦/٤ والطبراني في الكبير ١٦٨/١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧١/٨، ٢٣٥/٥، ١٩٤/٤. (استشاط: أي إذا تلهب وتحرق من شدة الغضب، وصار كأنه نار تسلط عليه الشيطان فأغراه بالإيقاع بمن غضب عليه. وهو استفعل، من شاط يشيط إذا كان يحترق. النهاية (٥١٩/٢).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٢٦٧٣) و أحمد في مسنده ٤٣٣/١، و الطبراني في الكبير ٢٣٧/١٠.

(٣) أخرجه :البخاري في الديات ٧/٧.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١١٢/٢، و الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٠/٧، و الديلمي في مسند الفردوس (٢٢٨١).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن ٢٣٤/١٠.

- و قال ﷺ : "مثل الذي يعين قومه على غير الحق، مثل البعير تردى و هو يجر بذنبه"[١].

- **استصدار فتاوى تحرم على المسلمين ما لم يحرم عليهم من أجل مصالح دنيوية** ؛ قال ﷺ : "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين، فحرم عليهم من أجل مسألته"[٢].

- **الاستيلاء على حقوق الغير بالغصب ظلما وعدوانا ويشمل ذلك الحصول على ضرائب باهظة ترهق كاهل الجمهور** ؛ قال ﷺ : "إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها، أو ليتركها"[٣].

- و قال ﷺ : "من غصب رجلا أرضا ظلما، لقي الله تعالى وهو عليه غضبان"[٤].

- و قال ﷺ : "إن صاحب المكس في النار"[٥].

- **ويدخل تبعا لما سبق المماطلة في أداء الديون وخاصة الغنى ؛ لأنه يحرم الدائن من الاستفادة من ماله ، ويوقف رافدا من روافد توفير السيولة المالية في الاستثمار وهو السلف** ؛ قال ﷺ : "مطل الغني ظلم، فإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع" [٦].

- و قال ﷺ : "المعك طرف من الظلم"[٧].

---

[١] أخرجه البيهقى فى السنن ٢٣٤/١٠ - المنذرى فى الترغيب والترهيب ١٩٨/٣ - أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٠٢/٧ - السيوطى فى الدر المنثور ٢٥٦/٣ ، ٦٥/٦.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه ١١٧/٩ ، و مسلم في الفضائل (١٣٢) و أبو داود في السنن (٤٦١٠).

[٣] أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٢/٩ ، ٨٦ - أبو داود فى السنن ٣٥٨٣ - البيهقى فى السنن ١٤٩/١٠ مالك فى الموطأ ٧١٩.

[٤] أخرجه : الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٤ ، المنذري في الترغيب و الترهيب ١٦/٣.

[٥] أخرجه أحمد في مسنده ١٠٩/٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨٨/٣ ، والمنذري في الترغيب و الترهيب ٥٦٨/١.

[٦] أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٣/٢ ، و مسلم في المساقاة (٣٣) و الترمذي في السنن (١٣٠٨) وابن ماجة في السنن (٢٤٠٤) و النسائي في السنن ٣١٧/٧، و أحمد في مسنده ٢٦٠/٢و البيهقي في السنن ٧٠/٦. (ملئ فليتبع: الملئ بالهمز: الثقة الغنى.انتهى.(٣٥٢/٤) النهاية ب. فليتبع: أي إذا أحيل على قادر فليحتل. قال الخطابي: أصحاب

[٧] أخرجه الطبراني في الكبير (٣٥١٦) وأبو نعيم في الحلية ٣٤٦/٤ والمناوى في التيسير ٣٣٨/٦ ، وقال : صحيح (المعك: الدلك، والمطل يقال معكه بدنيه وما عكه ومنه حديث شريح: المعك طرف من الظلم. النهاية (٣٤٣/٤).

- **المكر والخديعة في التعاملات الاجتماعية؛ لأنها تؤدي إلى الغش في عرض الحقائق مما يؤدي إلى التغرير بمن وقعوا ضحية المكر ؛ فقد يحرموا من خير كان يمكنهم الحصول عليه ، أو تمنعهم من أخذ حذرهم من شر ، ويجب أن يعدوا العدة له ؛** قال ﷺ : "المكر والخيانة والخديعة في النار، ومن الخيانة أن يكتم الرجل أخاه ما لو علم كان عسى أن يدرك به خيرا أو ينجو به من سوء، قيل: يا رسول الله! أيظهر أحدنا لأخيه ما في نفسه؟؟ قال: إلا مالا يضره ولا ينفعه"[١].

- و قال ﷺ : "كفى به خيانة أن تحدث أخاك حديثا وهو لك مصدق وأنت به كاذب" [٢].

- **معاقبة غير الجاني ، أوقتل غير القاتل : فهذا من أشد أنواع الظلم؛ لأنه يتنافى مع أساسيات الإسلام. قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر:٣٨).**

- وقال ﷺ : "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض! ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه"[٣].

- وقال ﷺ : "إن أشد الناس عتوا رجل ضرب غير ضاربه، ورجل قتل غير قاتله، ورجل تولى غير أهل نعمته، فمن فعل ذلك فقد كفر بالله ورسوله، لا يقبل منه صرف ولا عدل"[٤].

- **المحاباة في التعيين في الوظائف وفي إعطاء الهبات من المال العام ، فهذا يعني عدم مراعاة الكفاءة ، وعدم وصول الحقوق إلى أصحابها ، مما يؤدي إلى ضياع معالم العدالة وشيوع الظلم الاجتماعي؛** فقال ﷺ : "أول الإمارة ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب من الله يوم القيامة إلا من رحم وبذل وقال بيده هكذا وهكذا بالمال وكيف يعدل مع ذوي القربى"[٥].

- **التمادح الذي يؤدي للغرور ، وهو ما يسمى بالنفاق الاجتماعي، فهو يؤدي إلى اختلال منظومة القيم في المجتمعات لميل الشخصية الإنسانية إلى المديح مما**

---

[١] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٢٦٨) و القضاعي في مسند الشهاب ٢٥٣/١ ، و أبو داود في مراسيله (ص ٥٧١حديث ١٧٠).
[٢] أخرجه الطبراني في الكبير ٨١/٧.
[٣] أخرجه البخاري في صحيحه (٧٠٨٠)و النسائي في السنن (٤١٤٢)و ابن ماجه في السنن (٣٩٤٢) و أحمد في مسنده ٣٥٨/٤ ، و الترمذي في السنن (٢١٩٣).
[٤] أخرجه : البيهقي في السنن ٢٦/٨ – الحاكم في المستدرك ٣٤٩/٤-السيوطي في جمع الجوامع ٦١٩٨.
[٥] أخرجه الطبراني في الكبير ٣٥٥/٧

يؤدي إلى المحاباة التي لا تتفق مع الكفاءة ولا تحقق العدل ؛ قال ﷺ : "إياكم والتمادح، فإنه الذبح"(١).

- وعن أبي موسى، قال: سمع النبي ﷺ رجلا يثني على رجل، ويطريه في المدحة قال: "لقد أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل"(٢).

- **الشح الذي يتملك النفوس ويؤدي إلى الظلم والعدوان للحفاظ على الثروات ، ويؤدي إلى قطع الأرحام ، ويؤدي إلى حرمان الفقراء من حقهم في أموال الأغنياء .. وهذا كله يؤثر على السلام الاجتماعي في الأمة ؛** قال ﷺ : "إن الله تعالى يبغض الغني الظلوم، والشيخ الجهول، والعائل المختال"(٣).

- و قال ﷺ : "إياكم والظلم! فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش! فإن الله لا يحب الفحش ولا المتفحش، وإياكم والشح! فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بقطع الرحم فقطعوا"(٤).

- **التمادي في الخصام نوع من أنواع الظلم؛ لأنه يعني إشاعة الحقد والكراهية في المجتمعات، وحرمان الإنسانية من معاني الحب والسلام والرحمة ؛** قال ﷺ :"كفى بك ظلما أن لا تزال مخاصما"(٥).

- **ظلم النفس بأن يتحمل الإنسان من البلاء ما لا يطيق ، وهذا يتعارض مع توازنات العدل بأن تتوزع الأعباء على جميع أبناء الأمة، فلا تتحمل طائفة تضحيات ويعيش الآخرون في رفاهية ، مما يشبه عهد الرقيق الذي رفضه الإسلام بكل شدة ؛** فعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "ليس للمسلم أن يذل نفسه، قالوا: يا رسول الله وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق"(٦).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٩٢،٩٣/٤ ، و ابن ماجه في السنن (٣٧٤٣) و الطبراني في الكبير ٣٥٠/١٩.

(٢) أخرجه مسلم في الزهد (٦٧) و أحمد في مسنده ٤١٢/٤ ، و البيهقي في السنن ٢٤٢/١.

(٣) أخرجه : الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣١/٤-السيوطي في جمع الجوامع ١٨٥٢-المنذري في الترغيب و الترهيب ٦١٠/٢.

(٤) أخرجه: أحمد في مسنده ١٩١/٢، ١٩٥ ، والدارمي في السنن ٢٤٠/٢، و البيهقي في السنن ٢٤٣/١٠ ، و المنذري في الترغيب و الترهيب ١٨٤/٣، و الهيثمي في موارد الظمآن (١٥٦٦).

(٥) أخرجه الترمذى فى السنن ١٩٩٤ -وابن حجر فى فتح البارى ١٨١/١٣ السيوطى فى الدر المنثور ٢٣٩/١.

(٦) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٢٧٢، و ابن عساكر في تاريخه ٤/ ٣٩٣، و أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠٦/٨.

• **وهناك ظلم ناتج عن عدم مراعاة أمانة الكلمة ومسئوليتها في تحقيق العدل والأمن في المجتمعات وهو ما يتمثل فيما يلي :**

- فقد تصدر كلمة تؤدي إلى انتهاك حرمة النفس والمال والعرض ، مما يعرض صاحبه لحساب عسير من الله؛ لأن التهاون في حقوق العباد هو الظلم الذي لا يغتفر إلا بعد القصاص ؛ قال ﷺ : "الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، قال الله تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم}، وأما الظلم الذي يغفره الله تعالى فظلم العباد أنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين بعضهم من بعض"[1].

- وقد يؤدي قول الزور واليمين الكاذبة إلى عدم الثقة في التعاملات وضياع الحقوق والظلم في الأحكام ؛ قال ﷺ :"من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[2].

- وعن علي قال: لقد ضممت إلى سلاح رسول الله ﷺ فوجدت في قائم سيفه معلقة فيها ثلاثة أحرف: صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك[3].

- وقال ﷺ : "ما من شيء عصي الله به هو أعجل عقابا من البغي، وما من شيء أطيع الله فيه أسرع ثوابا من الصلة، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع" [4].

• **لعن المؤمن أو المؤمنة وقذفهما بالكفر فهذا ظلم يؤدي إلى شيوع فوضى تكفير الناس بعضهم بعضًا ؛ مما يعني القضاء على الروابط الإيمانية بين المسلمين؛ فينعدم التواصل النوراني ، وتنقطع أوصال الأمة** ؛ قال ﷺ : "لعن المؤمن كقتله، ومن قذف مؤمنا أو مؤمنة بكفر فهو كقتله"[5].

- و قال ﷺ : "إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فهو كقتله، ولعن المؤمن كقتله"[6].

---

(1) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ /٣٤٨ ، و أبو نعيم في حلية الأولياء ٣٠٩/٦.

(2) أخرجه أبو داود في السنن (٢٣٦٢) و الترمذي في السنن (٧٠٧) و ابن ماجه في السنن (١٦٨٩) و أحمد في مسنده ٤٥٢/٢

(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/٣، و العجلوني في كشف الخفاء ٤١/٢، و الألباني في الصحيحة (١٩١١).

(4) أخرجه السيوطي في الدرالمنثور ٤٥/٢ ، و أبو حنيفة في مسنده ١١٤/١ . (بلاقع: البلقع والبلقعة: الأرض القفر التي لا شيء بها. الصحاح ١١٨٨/٣. ب).(٥).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه ٣٢/٨ ، و مسلم في الإيمان (١٧٦) وأحمد في مسنده ٣٣/٤ ، والبيهقي في السنن ٣٢/٨.

(6) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩٤/١٨ ، و المنذري في الترغيب و الترهيب ٤٦٥/٣

- **الاستطالة في عرض المسلم ظلم ويؤدي إلى شيوع الفوضى الأخلاقية وعدم الأمن على النفس والعرض نتيجة الاتهامات الجزافية التي لا تقوم على أدلة وبراهين قطعية**؛ قال ﷺ : "يا عباد الله وضع الله الحرج إلا من اقترض عرض امرئ مسلم ظلما فذاك الذي حرج وهلك"[١].

- و قال ﷺ : "من ذكر امرءا بما ليس فيه ليعيبه حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال"[٢].

- و قال ﷺ : "أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم بغير حق"[٣].

- و قال ﷺ : "إن قذف المحصنة ليهدم عمل مائة سنة"[٤].

نبي الرحمة ﷺ يضع مواصفات الذي يظلم الناس حتّى البغي والطغيان :

لقد وضع الرسول ﷺ مواصفات جديدة في علم النفس للشخصية الإنسانية التي تميل إلى البغي والطغيان ، فيبين أن تلك الشخصية تعرضت للقهر والحرمان من حنان الأب؛ حيث تمت العلاقة بينه وبين أمه بدون إطار شرعي أو اجتماعي يحدد مسئوليته تجاه الثمرة التي تنتج من تلك العلاقة ، التي تسمى في الشريعة " الزنا " ؛ ولذلك فإن هذا الحرمان يترجم في مشاعر ظلم للآخرين لعلها تشفي أحقاده الدفينة ؛ فيقول ﷺ :

- "لا يبغي على الناس إلا ولد غية أو فيه شيء منه"[٥].

رابعًا : الرسول ﷺ يدرب الأمة على كيفية مواجهة الظلم :

اهتم الرسول ﷺ اهتماما كبيرًا بخلق الإنسان الإيجابي الذي يملك الإرادة الواعية والقدرة على التعبير عن الرأي بما يحقق التغيرات المطلوبة في الأمة ؛ لحمايتها من الانحراف عن مبادئ الحق والعدل وما يصحب ذلك من مهاوي الانحلال والتفكك في الأمة ؛ ولذلك فالتعبير عن الرأي في نهج الرسول ليس خيارًا أمام الأفراد ؛ بل هو

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى السنن ٣٤٢٧ ـ أحمد فى مسنده ١٧٧٢٦ . (الحرج: بفتح الحاء والراء أو بفتح الحاء والراء الإثم والضيق.انتهى.قاموس. ح.

(٢) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩٤/٨ ـ ابن عدى فى الكامل ٢٧٥٢/٧.

(٣) أخرجه : أحمد فى مسنده (١٥٦٤) ـ وأبو داود فى السنن ٤٢٣٣

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٧٣/٤ـ الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٩/٦.

(٥) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣٢١/٣ . (ولد غية: بفتح الغين وتشديد الياء المفتوحة هو ولد زنية.انتهى.قاموس.ح.

ضرورة حيوية لاستمرار قوتها المادية والمعنوية ، **ويتمثل الدور المنوط بالشعب لحماية الأمة من مخاطر الظلم فيما يلي :**

- مواجهة الظالم عن طريق التعبير عن الرأي العام في المجالس النيابية والإعلام وذلك أفضل أنواع الجهاد ، وإلا تعرض الشعب لعقاب من الله ؛ قال ﷺ : "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على أيدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم"(١).

- و قال ﷺ : "إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم، فقد تودع منهم"(٢).

- و قال ﷺ : "إن الناس إذا رأوا ظالما فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"(٣).

- وقال ﷺ :"أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر، أفضل الجهاد كلمة حكم عند إمام جائر "(٤).

- مواجهة ظلم الحكام بصفة خاصة حتى لا تنحدر الأمة إلى منعطف خطر من الانحدار المعنوي والتخلف في جميع المجالات. فالواجب عدم النفاق ، وعدم إعانة الحكام على ظلمهم حتى تسود قوانين الحق والعدل ويتحقق الإصلاح المنشود في الأمة :

- وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : "اسمعوا" قلنا: سمعنا قال: اسمعوا ثلاثا، إنه سيكون عليكم أمراء يكذبون ويظلمون، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على

---

(١) أخرجه : الترمذي في التفسير ٣٠٥١ –و أبو داود في السنن ٤٣٣٦– البيهقي في السنن ٩٣/١٠ –السيوطي في جمع الجوامع ٦٣٨٢.

(٢) أخرجه : أحمد في مسنده (١٩٠/٢) و الحاكم في المستدرك ٩٦/٤ – والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٢/٧.

(٣) أخرجه : الترمذي في التفسير ٣٠٥٩،و في الفتن ٢١٦٩ وأبو داود في السنن ٤٣٣٨- وأحمد في مسنده ٧/١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٥١/٤ ، و الحميدي في مسنده ٣٣١/٢ ، و أحمد في مسنده ١٩/٣.

ظلمهم فليس مني ولا أنا منه ولن يرد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد علي الحوض"(١).

- إن قوانين السمع والطاعة للحكام يجب أن تكون في إطار الدستور العام للدولة الذي يهدف إلى إعلاء كلمة الحق والعدل :

- قال ﷺ : "السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة"(٢).

- و قال ﷺ : "من أرضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله"(٣).

- يحرص الرسول في مواجهة الظلم على إحياء الضمير الإنساني في المقام الأول، ثم الوحدة السياسية للأمة : فلا يدعو إلى قتال الأمراء إلا في حالة التجاوز الشديد:

- قال ﷺ : "إنه سيكون عليكم أئمة تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قيل: يا رسول الله أفلا نقاتلهم قال: لا ما صلوا"(٤).

- و قال ﷺ : "سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم يحدثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدقوا كذبهم فأعطوهم الحق ما رضوا به، فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد"(٥).

- ويحث الرسول ﷺ أصحاب الضمير الحي بأنوار الإيمان ألا يتكالبوا على الوظائف العامة في حالة انتشار الفساد حتى لا يساهموا في ظلم عامة الشعب :

- قال ﷺ : "يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة فمن أدركهم فلا يكونن لهم عريفا ولا جابيا ولا خازنا ولا شرطيا"(٦).

- إعانة الظالمين على ظلمهم تعني سيادة الظلم في المجتمعات فيتجرع الجميع كئوس الظلم بعد ذلك؛ حيث يصبح منهاج عام في المعاملات ويتعارض مع موازين الحق في

---

(١) أخرجه : الهيثمي في موارد الظمآن ١٥٧٤.
(٢) أخرجه : البخاري في صحيحه ٧٨/٩ وأبو داود في السنن ٢٦٢٦ والترمذي في السنن ١٧/٧ وأحمد في مسنده ١٧/٢.
(٣) أخرجه : الحاكم في المستدرك ١٠٤/٤-المنذري في الترغيب و الترهيب ٢٠٠/٣.
(٤) أخرجه : الترمذي في السنن ٢٢٦٥-البخاري في التاريخ الكبير ٣٤٢/٤.
(٥) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٨/٥.
(٦) أخرجه : ابن ابي شيبة في مصنفه ٢٣٧/١٥ وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١٤٣/٢.

العدل مما يؤدي إلى انتشار الفوضى والفساد.

ولذلك يقول الرسول ﷺ : "من أعان ظالما سلطه الله عليه"(١).

- بيان مساوئ الفاجر والإعلان عنه لتحذير الناس منه يعتبر ضرورة لحماية الناس من متاهات الغدر والخديعة وما يصحبه من ضياع الأموال والوقت والجهد ؛ قال ﷺ : "أترعون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس؟ فاذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس"(٢).

- ويدعو الرسول ﷺ إلى عدم تقديم إنسان إلى السلطان بدون التأكد من جنايته، فالمتهم برئ حتى تثبت إدانته ، فالسعي إلى اتهام الناس بغير وجه حق معناه شيوع الظلم والفوضى في المجتمعات :

- قال ﷺ : "لا تطفأ ناره، ولا يموت ديدانه، ولا يخفف عذابه: الذي يشرك بالله عز وجل، ورجل جر رجلا إلى سلطان بغير ذنب فقتله، ورجل عق والديه"(٣).

- و قال ﷺ : "من سعى بالناس، فهو لغير رشدة أو فيه شيء منه"(٤).

ويعتبر الإدلاء بالشهادة لبيان وجه الحقيقة من الدواعي الأساسية لمنع الظلم ونشر راية العدل :

- قال ﷺ : "من كتم شهادة إذا دعي إليها، كان كمن شهد بالزور"(٥).

ويبين الرسول ﷺ أن نصرة المظلوم تتمثل في إعانته على التحرر من هذا الظلم ، ونصرة الظالم تتمثل في رده عن ظلمه ، وهذا يتفق مع إيجابيات الإسلام الفعالة وتوازناته العادلة ؛ قال ﷺ : "انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قيل: كيف أنصره ظالما؟ قال: تحجزه عن الظلم، فإن ذلك نصره"(٦).

---

(١) أخرجه : ابن كثير فى التفسير ٣٣٢/٣ ـ القرطبى فى تفسيره ٨٥/٧ ـ العجلونى فى كشف الخفاء ٣١٥/١ ـ الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٣٤/٦.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن ٢١٠/١٠، و الطبراني في الكبير ٤١٨/١٩ ، و ابن عدي في الكامل ٥٩٥/٢ ، و الخطيب البغدادي في تاريخه ٣٨٢،٣/١/١٨٨٨.

(٣) أخرجه : الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٥/١.

(٤) أخرجه : الحاكم فى المستدرك ١٠٣/٤ .

(٥) أخرجه الترمذي في السنن (٢٢٩٥) و مسلم في الأقضية (١٩) و عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٥٧) و البيهقي في السنن ١٥٦/١٠ ، و الطبراني في الكبير ٢٦٥/٥.

(٦) أخرجه : البخارى فى صحيحه ٦٤٣٨ ـ الترمذى فى السنن ٢١٨١ ـ أحمد فى مسنده ١١٥١١.

- كما يبين الرسول ﷺ أن نصرة المظلوم سواء في حضوره أو غيابه ضرورة من ضرورات العدل ، ونهي الظالمين عن ظلمهم بزجرهم واعتزالهم نوع من أنواع الردع لهؤلاء الظلمة ؛ قال ﷺ : "إذا وقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصراً، وللقوم زاجراً، وقم عنهم"[١] .

وبين نبي الرحمة أن نصرة المظلوم واجبة للحفاظ على كرامة المسلمين وعزتهم؛ وذلك للحفاظ على هيبة الأمة ؛ فسيادة معاني الحق والعدل تستوجب عدم التفرقة بين الضعفاء والأقوياء سواء في الأحكام أو المعاملات ؛ فقال ﷺ : "لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ويأخذ الضعيف حقه من القوي غير مضطهد" [٢].

وعدم نصرة المؤمنين في حالة تعرضهم لمواقف الذل والاضطهاد والاعتداء على الحرمات يعرض هؤلاء المتخاذلين لذل وخذلان من الله في مواقف يكونون في أشد الاحتياج فيها إلى نصرة الله سواء في الدنيا أو الآخرة :

- قال ﷺ : "من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره، أذله الله على رءوس الأشهاد يوم القيامة"[٣].

- وقال ﷺ : "ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته"[٤].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٩٦/٦.

(٢) أخرجه : الطبراني في الكبير ٣٨٥/١٩ –ابن أبي شيبة في مصنفه٢١/٣ –المنذري في الترغيب و الترهيب ١٧١/٣.

(٣) أخرجه : أحمد في مسنده ٤٨٧/٣ –الطبراني في الكبير ٨٩/٦ –الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٧/٧.

(٤) أخرجه : أحمد في مسنده ٣٠/٤-البغوي في شرح السنة ١٠٨/١٣.

القسم الثاني : مجالات العدل التي أرساها الرسول ﷺ

إن تلك المجالات تشمل جميع المعاملات؛ لأنها تعني روح الشريعة التي تسري في أرجاء الأمة، ولقد استطاع نبي الرحمة بصفته قائدًا للأمة، وهو ما انفرد به عن جميع الأنبياء؛ أن يرسي قواعد العدل بطريقة تفوق كل الحضارات، وتسمو على كل الديموقراطيات؛ لأنه جعله نسيجًا واحدًا يربط كل أرجاء الأمة بين السادة والعبيد، أو بين الأقوياء والضعفاء، أو بين الرجال والنساء ؛ فالعدل هو الأساس الذي يحكم كل العلاقات، ومن الصعوبة بمكان حصر اتجاهاتها ، ولكن يمكن اختصارها فيما يلي:

أولاً - عدل الحاكم مع الرعية :

إن الحاكم هو الذي يقوم بحمل الناس كافة على الالتزام بالضوابط والقواعد التي تضمن تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع ، وهو الذي ينظم حركة الجهاز الإداري والسلطات القضائية والمجالس النيابية والشعبية ، وهو المسئول الأول عن صنع القرار الذي يختص بالمصلحة العليا للبلاد ؛ سواء القرارات الداخلية ، أو المفاوضات الخارجية ، وهو الذي يتولى قيادة الدفاع عن الوطن ، وينظم أمور الجيش ؛ بما يحقق الأهداف المطلوبة للحفاظ على سيادة الوطن وأمنه . من أجل كل تلك المسئوليات الخطيرة ؛ فقد اهتم الرسول ﷺ في موقع القيادة بتطبيق أسمى مبادئ العدل ؛ ليكون قدوة لكل المؤمنين من بعده لتحقيق الأمن والكرامة للمواطنين ، وتحقيق التقدم المنشود ، وإعلاء كلمة الحق في كل الميادين ، ونرى فيما يلي عدل الرسول مع الرعية ؛ يستوي في ذلك المسلم أو غير المسلم ؛ بل على العكس ؛ فإن غير المسلمين لهم رعاية خاصة ؛ لإزالة ما يحيط بالنفوس من قلق نتيجة اختلاف الأديان[١] .

أ - نماذج من عدل الرسول ﷺ مع غير المسلمين في الدولة الإسلامية :

حرص الرسول ﷺ على ترسيخ معاني العدل وسلوكياته في نفوس المؤمنين ، وحرم الظلم بجميع أشكاله على جميع الناس من مسلمين أو ذميين .. ويقول ابن عابدين في

---

[١] سنلقي في الباب السادس مزيدًا من الضوء على عدل القائد مع الرعية .

حاشيته : بل قالوا : " إن ظلم الذمي أشد ". ويضرب لنا الرسول ﷺ بنفسه أروع الأمثال في كيفية حماية أهل الذمة من الظلم مهما تحمل في سبيل ذلك من مشقة :

- فعن علي أن يهوديا كان يقال له جريجرة وكان له على النبي ﷺ دنانير فتقاضى النبي ﷺ ، فقال له: "يا يهودي! ما عندي ما أعطيك" قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني، فقال رسول الله ﷺ : "إذا أجلس معك، فجلس معه فصلى رسول الله ﷺ في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب النبي ﷺ يهددونه ويتوعدونه، ففطن رسول الله ﷺ فقال:"ما الذي تصنعون به؟" فقالوا، يا رسول الله! يهودي يحبسك! فقال رسول الله ﷺ : "منعني ربي أن أظلم معاهدا ولا غيره؛ فلما ترجل النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله! ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا متزي بالفحش، ولا قول الخنا. أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، هذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله؛ وكان اليهودي كثير المال[1].

و **يحرّم الرسول ﷺ ظلم أهل الذمة في أى حق من الحقوق** ؛ قال ﷺ : "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة[2].

ب - نماذج من عدل الرسول ﷺ مع عامة الشعب :

تبين تصرفات الرسول ﷺ مع عامة الشعب نموذجًا فريدًا من العدل ؛ فهو يرفض رد أصحابه على من أغلظ القول في طلب حقه من الرسول بغلظة ، ويبين أن العدالة تقتضي سعة الصدر من صاحب الحق ، وتطلب حسن الأداء إليه ؛ فعن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ فتقاضاه فأغلظ له فهم به أصحابه فقال ﷺ: "دعوه فإن لصاحب الحق مقالا"[3].

---

(١) أخرجه : الحاكم في المستدرك ٦٢٢/٢ ، البيهقي في دلائل النبوة ٢٨٠/٦.
(٢) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة (٢٦٥٤).
(٣) أخرجه البخارى فى الوكالة (٢١٤١) والترمذى فى البيوع (١٢٣٨) وأحمد فى مسنده (٩٠٢١).

- وعن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عبد الله بن سلام قال : عن النبي ﷺ:" يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا؛ أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان مرعته"[١].

ثانيًا : العدل في أحكام القضاء :

تعتبر السلطة القضائية هى النافذة التى يستنشق منها الشعب عبير العدالة ، وهى الواجهة الحضارية للأمة في مضمار الديموقراطية ، وهى التى تدل على مدى الوعى والبصيرة والنزاهة والشرف الذي يسود الأمة .

لذلك فقد اهتم الرسول اهتماماً بالغاً بتنظيم القضاء بين الناس ، ولم يتركه لهوى البشر أو قوانينهم التى قد يشوبها القصور .. فالأحكام التى وضعتها السنة الشريفة للفصل بين المتنازعين ، هى أحكام تتفق مع المناخ العام لعقيدة الأمة ، والمبادئ التى تعتنقها ، وبالتالى يكون القضاء بهذا المفهوم هو محض العدل؛ لأنه قضاء يحكمه الرقابة على الضمير بين القاضى وبين المتخاصمين ، فيكون الحكم فيه جانب كبير من الرضا ؛ لأنه قضاء رب العالمين يراعى العدالة في جميع جوانبها .

وإن المطلع على القوانين التى نظمها الرسول ﷺ للحكم بين الناس ليذهله دقتها وعدالتها وقدرتها على المرونة والتطور والاجتهاد لمواجهة تغير الأحوال ونرى تلك المرونة فيما يلي :

- يسمح الرسول صلي الله عليه وسلم للقضاة بأن يجمعوا العلماء للشورى واستخلاص محصلة الآراء في حالة القضايا المستحدثة، وذلك حتى يتوافق الحكم مع أصول الشرع ومستجدات العصر؛ فعن علي قال: قلت يا رسول الله إن عرض لي أمر لم ينزل فيه قضاء في أمره ولا سنة كيف تأمرني؟ قال: تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقضي فيه برأي خاصة[٢].

---

[١] أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢٨٣٢ ،والبيهقى فى السنن ٥٢/٦ ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٣٩/٨ .

(رعته: الروع بالفتح، الفزع، وراعه من باب قال فارتاع أي: أفزعه ففزع وروعه ترويعا. المختار (٢٠٩).

[٢] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٨/١ ، ١٨٠ ، و السيوطي في الجامع الكبير ٤٧/٢.

- كما وضح النبي ﷺ أن الحكم يجب أن يتسم بالمرونة وليس بقواعد جامدة ؛ حيث أثبتت التجارب أن الذي يشاهد الأحداث يستنبط منها أحكامًا خاصة تتفق مع واقع الحال ؛ فعن علي قال: قلت: يا رسول الله إذا بعثتني في شيء أكون كالسكة المحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: "بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب"(١).

وهناك آداب يجب أن يلتزم بها القاضي ، ومنها :

- أن يجلس الخصمان بين يديه حتى يحقق العدالة في الاستماع إلى كل منهما ؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ :"أمر إذا جلس الحاكم فلا يجلس خصمان إلا بين يديه ومضت السنة بذلك من رسول الله ﷺ ومن أئمة الهدى أبي بكر وعمر(٢).

- و قال ﷺ : "إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء"(٣).

- أن يعدل بينهما في كلماته وابتساماته ومعاملاته بصفة عامة ؛ فلا يرفع صوته على أحدهما دون الآخر؛ قال ﷺ : "من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعده ومجلسه"(٤).

- وقال ﷺ : "من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لم يرفع على الآخر"(٥).

- أن يوجه لهما النصح والإرشاد قبل صدور الحكم : عن أم سلمة قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث قد درست ليس لهما بينة، فقال النبي ﷺ : "إنكم تختصمون إلي وإنما أقضى برأي فيما لم ينزل علي فيه فمن قضيت له فيه بحجته يقتطع بها شيئا من حق أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي يوم القيامة انتظاما في عنقه" فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما: يا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٩٤).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٤٠/٣.

(٣) أخرجه أبو داود فى السنن (٣١١١) وأحمد فى مسنده (١٢٧٢) والترمذى فى السنن (١٢٥٢).

(٤) أخرجه الدارقطنى فى السنن ٢٠٥/٤ ، والبيهقى فى السنن ٢٨٨/١٠ ، والطبرانى فى الكبير ٦٢٢/٢٣.

(٥) أخرجه البيهقى فى السنن ٢٩٩/١٠ والطبرانى فى الكبير ٦٢٢/٢٣.

رسول الله حقي له؛ فقال النبي ﷺ : "أما إذا فعلتما ما فعلتما فاذهبا وتوخيا الحق واقتسما واستهما [١] وليحلل كل واحد منكما صاحبه"[٢].

– يجب على القاضي ألا يصدر الحكم وهو غضبان ؛ لأنه قد يجافي العدل ، أو يتبع الهوى تحت تأثير الغضب ؛ قال ﷺ : "لا يقضين أحد في قضاء بقضائين ولا يقضي أحد بين خصمين وهو غضبان"[٣].

وهناك آداب يجب أن يلتزم بها الشهود لتحقيق العدالة في إصدار الأحكام منها :

– ضرورة الإدلاء بالشهادة حتى ولو لم يسأل عنها ؛ لأنها قد تنقذ مظلومًا من جريمة وهو بريء منها ، ويقاسي بسبب ذلك معاناة رهيبة بغير ذنب ؛ قال ﷺ :" ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها"[٤].

– إن كتم الشهادة يعدل شهادة الزور ، وكلاهما في سخط الله ؛ لأنه يمنع أنوار العدالة أن تشيع في النفوس ؛ فقال ﷺ : "من كتم شهادة إذا دعي إليها كان كمن شهد بالزور"[٥].

- ومن ادعى الشهادة ، وهو لم يشهد الوقائع فهو شاهد زور ، فالشهادة تستلزم الرؤية والعلم اليقيني : قال ﷺ : "من مشى مع قوم يرى أنه شاهد وليس بشاهد، فهو شاهد زور، ومن أعان على خصومة بغير علم، كان في سخط الله حتى ينزع، وقتال المؤمن كفر وسبابه فسوق"[٦].

---

[١] (واستهما: أي اقترعا. يعني ليظهر سهم كل واحد منكما. النهاية (٤٢٩/٢). وليحلل: يقال: تحللته واستحللته: إذا سألته أن يجعلك في حل من قبله. النهاية (٤٣٠/٢) ب)

[٢] أخرجه أحمد فى مسنده ٢٠٣/٦ ، والدارقطنى فى السنن ٢٣٩/٤ ، والبغوى فى شرح السنة ٣٦٤/١٢.

[٣] أخرجه النسائى فى السنن (٥٣٢٦).

[٤] أخرجه مالك في الموطأ (الزكاة ٢٨).

[٥] أخرجه الترمذي في السنن (٢٢٩٥) و مسلم في الأقضية (١٩) و عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٥٧) و البيهقي في السنن ١٥٦/١٠ ، و الطبراني في الكبير ٢٦٥/٥.

[٦] أخرجه البيهقي في السنن ٨٢/٦ ، و الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠١/٤ ، و السيوطي في الدر المنثور ٢٥٦/٢.

ثالثًا : العدل في إقامة الحدود :

إن إقامة الحدود تعني سيادة القانون والأمن العام في الأمة ، بما يحقق الحفاظ على حياة الأفراد وأعراضهم وممتلكاتهم. وهذه الحقوق كفلها الإسلام للإنسان بصرف النظر عن دينه أو جنسه مما يجعل إقامة الحدود في الإسلام تتميز بالعدالة والرحمة التي ترتقي بقانون العقوبات ، مما لا يرقى إليه أي قانون مهما تقدمت الحضارات.
وقد أرسى الرسول ﷺ معالم العدل في إقامة الحدود بما لا يدع مجالاً للظلم ، أو سيادة الطبقية في الأمة ؛ فالكل أمام القانون سواء ، لا فرق بين ذوي النفوذ والجاه ، أو بين البسطاء[١]؛ فعن عائشة قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة فكلموه، فكلم أسامة النبي ﷺ فيها، فقال: يا أسامة لا أراك تكلم في حد من حدود الله، ثم قام النبي ﷺ خطيبا فقال: "إنما هلك الذين ممن كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، والذي نفسي بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها - فقطع يد المخزومية"[٢].

وبين الرسول ﷺ أن إقامة الحدود يجب ألا تخضع للمجاملات ؛ لأن هذا يعرض الأمة للهلاك ؛ فعنه ﷺ أنه قال : "أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم"[٣].

والحدود يجب أن تطبق على ذوي النفوذ والجاه مثل الضعفاء تماما حتى لا يشيع الظلم في الأمة :

- و قال ﷺ : "إنما هلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"[٤].

يمكن مجاملة ذوي النفوذ في مصائبهم ، ولكن لا يمكن مجاملتهم في قضايا تمس الشرف وتتعلق بحقوق المواطنين :

---

(١) أحكام تشريعات الحدود. د. سامي النبراوي – جامعة بنغازي – ليبيا.
(٢) أخرجه : أحمد في مسنده ١٦٢/٢.
(٣) أخرجه : أحمد في مسنده (٣٣٠/٥) –ابن ماجه في السنن ٢٥٤٠–البيهقي في السنن ٢١/٩ –ابن كثير في تفسيره ١٣٤/٢، ٥/٤.
(٤) أخرجه : البخاري في صحيحه ١٩٩/٨ –مسلم في صحيحه ١٦٨٨ أبو داود في الحدود ٤٣٥١ –الترمذي في الحدود ١٤٣٠.

- قال ﷺ : "أقيلوا ذوي الهيئة عثراتهم إلا حدا من حدود الله"(١).

كما بين الرسول ﷺ أن العفو عن الحدود يجب أن يكون بين الناس بعضهم البعض، أما إذا وصل الأمر إلى الحاكم فلا بد من إقامته حفاظًا على هيبة القانون العام للدولة ؛ فقال ﷺ : "تعافوا(٢) الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب"(٣).

- وعن معمر عن الزهري أن صفوان أتى النبي ﷺ بسارق بردة فأمر به النبي ﷺ أن تقطع يده فقال: لم أرد هذا يا رسول الله هي عليه صدقة، قال: فهلا قبل أن تأتيني به(٤).

- وقال ﷺ : "ادرؤا الحدود ولا ينبغي للإمام أن يعطل الحدود"(٥).

ومن مظاهر العدل في إقامة الحدود : أنها ليست غاية بل وسيلة للتأديب ؛ بدليل أن الرسول ﷺ يدعوهم للتستر ، ويرحم في العقاب فيكون عقابه حزما في غير شدة ولينا في غير ضعف :

- فعن يحيى بن أبي كثير أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أصبت حدا فأقمه علي، فدعا رسول الله ﷺ بسوط، فأتي بسوط جديد عليه ثمرته فقال: لا سوط دون هذا، فأتي بسوط مكسور العجز ، فقال: لا سوط فوق هذا، فأتي بسوط دون السوطين فأمر به فجلد، ثم صعد المنبر، والغضب يعرف في وجهه فقال: "أيها الناس، إن الله حرم عليكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فمن أصاب منها شيئا فليستتر بستر الله، فإنه من يرفع إلينا من ذلك شيئا نقمه عليه"(٦).

ومن جوانب العدل والرحمة في شخصية الرسول ﷺ أنه أظهر الجانب المشرق في إقامة الحدود ؛ حيث بين أنها تكفير عن السيئات ، ويتلقى المذنب بعدها رضاء ونعيم من الله ؛ لأنه اعترف بذنبه وتاقت نفسه إلى تطبيق قوانين الحق للتطهر من

---

(١) أخرجه : أبوداود في السنن (٤٣٧٥) و أحمد في مسنده ١٨١/٦، والبيهقي في السنن ٢٦٧/٨، و الدارقطني في السنن ٢٠٧/٣ ، و البغوي في شرح السنة ٣٣٠/١٠.

(٢) (تعافوا الحدود: أي تجاوزو عنها ولا ترفعوها إلي، فإني متى علمتها أقمتها النهاية (٢٦٥/٣) ب).

(٣) أخرجه أبوداود في السنن (٤٣٧٦) و النسائي في قطع السارق (باب ٥) والدارقطني في السنن ١١٣/٣، و الحاكم في المستدرك ٣٨٣/٤ ،و قال: صحيح.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٨٩٢٦).

(٥) أخرجه الدارقطني في السنن ٨٤/٣.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٣٥١٥) . (ثمرته: أي طرفه الذي يكون في أسفله. (٢٢١/١) نهاية. ب) (العجز: هو مؤخر الشيء.انتهى.(١٨٥/٣) النهاية. ب).

ذلك الذنب ؛ فقد روي عن محمد بن المنكدر أن النبي ﷺ رجم امرأة، فقال بعض المسلمين: حبط عمل هذه، فقال النبي ﷺ : "هذه كفارة لما عملت وتحاسب أنت بما عملت"[١].

- وعن أبي هريرة أن رجلا أتي النبي ﷺ فأقر عنده بالزنا فأمر به فرجم، فقال النبي ﷺ : "والذي بعث محمدا بالنبوة لقد رأيته في أنهار الجنة يتقمص قلت: ما يتقمص؟ قال: يتنعم"[٢].

- وقال رسول الله ﷺ : "أيما عبد أصاب مما نهى الله عنه، ثم أقيم عليه حده كفر عنه ذلك الذنب"[٣].

رابعًا : مجالات العدل مع المرأة :

إن مجالات العدل مع المرأة كثيرة مما يبين عظمة الشخصية المحمدية في الرحمة والرعاية لها ، وخاصة أنها مربية الأجيال ، والمدرسة الأولى لتشكيل شخصية الإنسان ؛ ولذلك لابد أن تعيش في مناخ من الرحمة والعدل لتحقق الهدف من رسالتها ، وقد أصدر الرسول توصية عامة للمرأة في قوله ﷺ: "اتقوا الله في الضعيفين: المملوك والمرأة"[٤].

ونعرض مجالات العدل مع المرأة كما أرساها الرسول فيما يلي :

١ - العدل في الحفاظ على حقوق النساء المالية :

إن الإسلام الذي يتهمونه ظلمًا وعدوانًا بأنه انتقص حق المرأة هو الذي دق أجراس الحرية في سمع التاريخ ليحقق للمرأة العزة والكرامة التي سلبت منها ، ويحقق لها الأمن المعنوي والمادي على أموالها وممتلكاتها ؛ مما يعد سبقًا حضاريًا للمرأة بكل المقاييس .
ونجد القرآن الكريم قد وقف أمام ظلمات الجاهلية بالمرصاد، يزيل ما ران من غشاوة على نفوسهم، ويحرر المرأة من أسرهم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير ١/١٧٠.
(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير ١/٦٩٦ ، والهيثمي في موارد الظمآن (٣٣٦٤٧).
(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن (٢٦٠٤)و الترمذي في السنن (٢٦٢٦)و الحاكم في المستدرك ١/٧.
(٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢/١٢٤ ، و ابن عساكر في تاريخه (١٩/٢٢ مختصر).

كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء ١٩)

- وقال ابن عباس في تفسير تلك الآية : كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها . فنزلت هذه الآية[١].

- وعن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسيرها : كان الرجل إذا مات وترك زوجته ألقى عليها حميمه ثوباً، فمنعها من الناس، فإن كانت جميلة تزوجها، وإن كانت دميمة حبسها، حتى تموت فيرثها[٢].

ثم أعطى القرآن مزيداً من الحرية المالية للمرأة : فلا يحق لزوجها إذا كرهها وطلقها، أن يأخذ منها شيئاً من صداقها، الذي أعطاه لها، أو أية هدايا قدمها لها، حتى لو بلغت قنطاراً من المال قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء ٢٠)

فالصداق فريضة على الرجل المُقدم على الزواج، حق خالص للمرأة، يبرهن على صدق الرجل وعزيمته، على إقامة علاقة زوجية قائمة على منهاج الله ورسوله. وللمرأة وحدها الحرية أن تعفيه من هذا الصداق، راضية بذلك نفسها، قال تعالى ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةًۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (النساء ٤).

ويبين الرسول ﷺ أهمية حق المرأة في الصداق أو العطية قبل الزواج ، وإلا اعتبر الزوج زانيا؛ لأنه استحل فرج المرأة بالباطل ؛ قال ﷺ : " أيما رجل أصدق امرأة صداقا - والله عز وجل يعلم منه لا يريد أداءه إليها - فغرها بالله واستحل فرجها بالباطل، لقي الله يوم يلقاه وهو زان، وأيما رجل أدان من رجل دينا - لقي الله يوم يلقاه وهو سارق"[٣] .

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن (٤٥٧٩) .
[٢] تفسير ابن كثير الجزء الأول، ص٤٦٥.
[٣] أخرجه ابن ماجه في السنن ٨٠٥/٢.

و نهى رسول الله ﷺ عن الشغار حفاظًا على حقوق المرأة المالية :فعَنْ عِمْرَانَ بْن حُصَيْنٍ ، عَن النَّبِى ﷺ قالَ : "لا جَلَبَ، وَلا جَنَبَ، وَلا شِغَارَ في الإِسْلامِ، وَمَن انْتَهَبَ نُهْبَةً فَلَيْسَ مِنَّا"[١] .

و الشغار أن يقول الرجل للرجل: زوجني ابنتك أو أختك على أن أزوجك ابنتي أو أختي وليس بينهما صداق[٢] .

واستدل جمهور العلماء بهذين الحديثين على أن عقد الشغار لا ينعقد أصلا وأنه باطل . وذهب أبو حنيفة إلى أنه يقع صحيحاً ، ويجب لكل واحدة من البنتين مهر مثلها على زوجها ، إذ إن الرجلين سميا ما لم تصلح تسميته مهراً ، إذ جعل المرأة مقابل المرأة ليس بمال[٣] .

٢ - العدل في الإنفاق عليها :

من ضمن ما تتميز به الشريعة الإسلامية على الحضارة الغربية أنها تجعل حق المرأة في إنفاق زوجها عليها واجبا شرعيا يثاب الرجل عليه، مما يحمى المرأة من الصراع المادى على متطلبات الحياة، فتتفرغ لوظيفتها في تربية الأجيال، وإضفاء مشاعر الحنان على الأسرة، ذلك على النقيض من الحضارة الغربية التى تجعل من حقوق المرأة المساواة بالرجل في الوظائف، وهذا يعنى إلقائها في صراعات الحياة، لتدفع ضريبة الأنانية ، وحب الظهور غالية من وقتها وجهدها[٤].

ويوضح الرسول ﷺ أن الإنفاق على الزوجة ليس تطوعا بل هو واجب شرعي تفرضه موازين الحق؛ حيث إن الزوجة أمانة عند الزوج، عليها واجبات ولها حقوق، ومن أولويات تلك الحقوق الإنفاق عليها إنفاقا يلائم مكانتها الاجتماعية ويلبى متطلبات العصر المعروفة بين الناس، وهذا يظهر من قوله ﷺ "بالمعروف" ؛ قال ﷺ :"أيها الناس! إن النساء عندكم عوان، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، ومن حقكم عليهن

---

[١] أخرجه مسلم فى النكاح، باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه (١٤١٥)، والترمذى فى النكاح، باب ما جاء فى النهى عن نكاح الشغار (١١٢٣).

[٢] **أخرجه مسلم في النكاح ، باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه** (١٤١٥)، والترمذي في النكاح ، **باب ما جاء في النهى عن نكاح الشغار (١١٢٣).**

[٣] **فقه السنة (الزواج-الحدود-الجنايات) المجلد الثانى، السيد** سابق، دار الريان للتراث.

[٤] **نفقة المرأة وقضية المساواة ، د.صلاح الدين سلطان** ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

أن لا يوطئن فرشكم أحدا، ولا يعصينكم في معروف، فإذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف"(١).

- وقال ﷺ :"إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"(٢) .

تبين السنة الشريفة كيف أن الإنفاق على الزوجة من أهم أوجه الإنفاق في سبيل الله، وأن كل ما ينفقه الزوج على زوجته هو من سبيل الصدقات التى تقرب إلى الله تعالى ؛ فعن أم معقل أن زوجها جعل ناضحا له في سبيل الله، وأنها أرادت العمرة، فسألته الناضح، فأبى أن يعطيها إياه، فأتت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: "أعطها إياها فإن الحج والعمرة من سبيل الله، وقال لها: اعتمري في رمضان، فإن عمرة رمضان تعدل حجة أو تجزئ بحجة"(٣).

- قال ﷺ :"أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني إلى من تدعني"(٤).

ويبين المنهاج النبوى الشريف الأهمية الشرعية للإنفاق على الزوجة، حيث يحتل الأولوية الأولى في موازين العدل الإلهى:

- عن جابر عن النبي ﷺ :"أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله"(٥).

- قال ﷺ :"دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك"(٦).

---

(١) أخرجه بلفظه الطبرى فى تفسيره ٣١١/٤ وعبد بن حميد فى مسنده ١/ ٢٧٠ عن ابن عمر – رضي الله عنهما - وأخرجه الترمذى فى (الرضاع، باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها /١١٦٣) عن عمرو بن الأخوص.

(٢) أخرجه النسائى فى الكبرى ٣٧٧٤/٥ وابن حبان فى صحيحه ٣٤٤/١٠ ، وأخرجه مختصرا الترمذى فى (الجهاد، باب ماجاء فى الإمام /١٧٠٥) كلهم عن أنس ﷺ.

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ بمعناه (كتاب الحج باب جامع ما جاء فى العمرة رقم ٦٧)

(٤) أخرجه البخارى فى (النفقات، باب وجوب النفقه على الأهل /٥٣٥٥) عن أبى هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ١٨٤/٦ عن جابر ﷺ.

(٦) أخرجه مسلم فى (الزكاة، باب فضل النفقة على العيال /٩٩٥) عن أبى هريرة ﷺ.

ويبين الرسول ﷺ أن العطية للزوجة زيادة عن النفقة الشرعية من قبيل الصدقة التى يثاب عليها، وذلك تحفيزا للزوج أن يكرم زوجته إكراما يليق بما يربط بينهما من رباط مقدس ؛ قال ﷺ :"من أعطى امرأة عطية فهى له صدقة"[١].

ونجد في منهاج السنة المباركة أن واجب الإنفاق على الزوجة لا يقتصر على وجود الزوج في الحياة الدنيا ، بل على الرجل أن يجاهد في توفير متطلبات الحياة لها بعد انتقاله إلى الدار الآخرة ، حتى لا تعانى الزوجة مشقة الحياة ومعاناتها أو يلجئها إلى العوز والاحتياج ؛ فقد روي أن سعد بن أبى وقاص قال للرسول ﷺ : أفأوصي بمالي كله قال ﷺ :" الثلث والثلث كثير، إن صدقتك من مالك صدقة، وإن نفقتك على عيالك صدقة، وإن ما تأكل امرأتك من مالك صدقة، وإنك أن تدع أهلك بخير خير من أن تدعهم يتكففون الناس"[٢] .

- وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: "لا يعطف عليكن بعدي إلا الصابرون الصادقون"[٣] .

٣ - العدل في رعايتها بما يتناسب مع تضحياتها :

إن احتياج المرأة الأم إلى بر الأبناء يفوق كل الاحتياجات المعنوية والمادية؛ لأنه يعني شهادة التقدير التي تعطى للأم بعد رحلة جهاد ومعاناة طويلة في تربية الأبناء، ويعني وسام شرف تضعه الأم على صدرها؛ لأنها نجحت في مشوار كفاحها، ويعني الوفاء الإيماني في أسمى صوره ، ويعني دفء الحياة في خريف العمر . . إنه يعني كل هذا وأكثر من هذا؛ ولذلك فقد جعلت له الشريعة قدسية خاصة ومكانة عالية، والتقصير فيه يعتبر من الكبائر التي لا تغتفر .

ويوضح الرسول ﷺ أولوية الأم بالبر في أحاديث متعددة ، منها :

- قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يوصيكم بأمهاتكم - ثلاثا، إن الله تعالى يوصيكم بآبائكم - مرتين، إن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب"[٤].

---

(١) ذكره أبو نعيم فى الحلية ١٥٩/٩ عن أمية الضمرى.
(٢) أخرجه مسلم فى (الوصية ، باب الوصية بالثلث / رقم ٨ فى الباب) وبنحوه البخارى فى (النفقات، باب أفضل النفقة على الأهل) عن سعد بن أبى وقاص ﷺ.
(٣) أخرجه البزار ٢٥٢/٣ عن ابن عوف ، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ١٢١/٦ عن السيدة عائشة - رضى الله عنها.
(٤) أخرجه ابن ماجه في سنن ٣٦٦١، والإمام أحمد في مسنده ١٣٢/٤.

- وقال رسول الله ﷺ: "علموا أولادكم السباحة والرماية، ونعم لهو المؤمنة في بيتها الغزل! وإذا دعاك أبواك فأجب أمك"[١].

- وعن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله! من أحق الناس بالصحبة؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال أمك، قال: ثم من؟ قال : أبوك؟ (فيرون أن لأمك الثلثين ولأبيك الثلث. قال سفيان: لأبيك في الحديث؟ قال: نعم) [٢]

ومن العدالة رعاية الأم في شيخوختها ؛ حيث تضعف قواها وتحتاج السند والمعين ، وهذه الرعاية ، مقدمة على أعلى ذروة في الشريعة وهو الجهاد ؛ فرعاية الأم أسمى أنواع الجهاد ؛ لأنه يعني إعلاء كلمة الحق في أشرف ميادين الوفاء؛ فعن الفضل بن عباس قال: كنت ردف النبي ﷺ فجاء رجل فقال: يا رسول الله إن أمي عجوز كبيرة إن حملتها لم تستمسك، وإن ربطتها خشيت أن أقتلها؟ فقال رسول الله ﷺ:"أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيا عنها؟ قال: نعم قال: فاحجج عن أمك[٣].

- قال رسول الله ﷺ : "لا تبرح من أمك حتى تأذن لك أو يتوفاها الموت لأنه أعظم لأجرك"[٤].

- عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:" إني لأشتهي الجهاد وإني لأقدر عليه! قال: أبقي واحد من والديك؟" قال: أمي، قال: "فأبل الله عذرا، فإنك إذا فعلت ذلك كنت حاجا ومعتمرا ومجاهدا إن رضيت عنك أمك، فاتق الله وبرها"[٥].

كما يوضح نهج السنة الشريفة ضرورة الوفاء للأم ومن في مكانها ؛ سواء الأم بالرضاع أو الأم بالتربية :

- فعن أبي الطفيل قال: كنت غلاما أحمل عضو البعير ورأيت رسول الله ﷺ يقسم لحما بالجعرانة فأقبلت امرأة بدوية، فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداءه فجلست عليه، فسألت: من هذه؟ فقالوا: أمه التي أرضعته[٦].

---

[١] **أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ٨٨/٢، والسيوطي في الدر المنثور ١٩٤/٣.**
[٢] **انظر الزهد لهناد ٤٧٥/٢.**
[٣] **أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٣٤٣/٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٢٣/٢.**
[٤] **أخرجه الطبراني في الكبير ٤١١/١١.**
[٥] **أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٧٢/٤.**
[٦] **أخرجه الحاكم في المستدرك ٧١٧/٣.**

ويبين الرسول ﷺ المكانة العالية لبر الأم في الأحاديث التالية :

- وعن عائشة قالت: "قال رسول الله ﷺ: "بينا أنا في الجنة إذ سمعت قارئا، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كذلك البر، كذلك البر، وكان أبر الناس بأمه"[١].

- وقال رسول الله ﷺ : "الزم رجلها، فإن الجنة تحت أقدامها - يعني الوالدة"[٢].

وتبين السنة الشريفة كيف أن الصلة بين الأم وأبنائها لا تنقطع حتى بعد وفاتها ؛ فهي تحتاج إلى البر الذي يرفع درجاتها ويعلي ذكرها سواء في الدنيا أو في الآخرة؛ وتحتاج إلى الوفاء بديونها سواء مع الناس أو مع الله .

- فعن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ رجل بجارية سوداء فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها رقبة مؤمنة فهل تجزي هذه عنها؟ فقال لها رسول الله ﷺ: أين الله؟ فأومأت برأسها إلى السماء، **فقال**: من أنا؟ قالت: "رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة"[٣].

٤ - العدل في أولوية الأم بحضانة طفلها :

يهدف الشرع في جميع أحكامه إلى استقرار الأسرة، حتى يشب الطفل في أحضان والديه، ينال من رعايتهما، وحسن قيامهما عليه، ما يبني جسمه، وينمي عقله، ويزكي نفسه، ويعده للحياة إعداداً سليماً، يساهم في نهضة أمته ورقيها.

فإذا حدث أن افترق الوالدان وبينهما طفل، فالشرع جعل الأم أحق من الأب في حضانة الطفل، ما لم يقم بالأم مانع يمنع تقديمها (مثل زواجها من آخر، أو عدم توفر الشروط التي يجب توافرها في الحاضنة) أو بالولد وصف يقتضي تخييره (وهو الاستغناء عن خدمة النساء).

وسبب تقديم الأم : أن لها ولاية الحضانة والرضاع؛ لأنها أعرف بالتربية وأقدر عليها، ولها من الصبر في هذه الناحية ما ليس للرجل، وعندها من الوقت ما ليس عنده. لهذا قدمت الأم رعاية لمصلحة الطفل[٤].

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥١/٦، والحاكم في المستدرك ١٥١/٤.
[٢] أخرجهما ابن ماجه في السنن (٢٧٨١)، والطبراني في الكبير ٣٧٢/٨.
[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٢٨/٥، والدارمي في السنن ٢٤٩/٢.
[٤] فقه السنة – دار الريان للتراث . مجلد (٢) جزء (٧) ص٤٨٢ "باب الحضانة".

- وعن عبد الله بن عمرو أن امرأة قالت : يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وزعم أبوه أنه ينزعه منى فقال : "أنت أحق به ما لم تنكحي"[١] .

- وعن أبي هريرة قال: جاء أم وأب يختصمان إلى النبي ﷺ في ابن لهما، فقالت للنبي ﷺ : فداك أبي وأمي يريد أن يذهب بابني، وقد سقاني من بئر أبي عنبة ونفعني، فقال النبي ﷺ : استهما عليه، فقال زوجها: من يحاقني في ولدي يا رسول الله، فقال النبي ﷺ : "يا غلام هذا أبوك وهذه أمك، فأخذ بيد أمه فانطلقت به"[٢].

٥ - العدل في تحمل أعباء المنزل :

كثير من الرجال يأنفون من التعاون مع الزوجة في أعباء المنزل، ويعتبرون أن هذا من واجبات المرأة، وليس على الرجال مسئولية في هذا المجال. ، ويعتبر هذا الموضوع من المواضيع الحساسة، التي يكثر الخلاف عليها، حيث أوجب طائفة من السلف والخلف، خدمتها له في مصالح البيت وقال أبو ثور : عليها أن تخدم زوجها في كل شيء. ومنعت طائفة وجوب خدمته عليها في شيء، وممن ذهب إلى ذلك مالك والشافعي وأبو حنيفة، رحمهم الله، وأهل الظاهر قالوا : لأن عقد النكاح إنما اقتضى الاستمتاع، لا الاستخدام، وبذل المنافع. قالوا : والأحاديث المذكورة على خدمة فاطمة لزوجها على، وخدمة أسماء لزوجها الزبير، إنما تدل على التطوع، ومكارم الأخلاق منهما[٣].

ولنا في رسول الله قدوة حسنة؛ حيث يضرب المثل في قواعد العدل والرحمة التي يجب أن تسود الأسرة المسلمة في مساعدة المرأة على أعباء المنزل فيما يلي :

- كان ﷺ : يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[٤] .

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطلاق ، باب من أحق بالولد (٢٢٧٦) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو أن امرأة قالت : .. به .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٥٨/٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٨/٤ - (بئر أبي عنبة: بكسر العين وفتح النون: بئر معروفة بالمدينة، عندها عرض رسول الله ﷺ أصحابه لما سار إلى بدر. النهاية (٣٠٦/٣) - (يحاقني: وفي حديث الحضانة: "فجاء رجلان يحتقان في ولد" أي يختصمان ويطلب كل واحد منهما حقه.انتهى.النهاية (٤١٤/١).

(٣) زاد المعاد فى هدى خير العباد. للإمام ابن القيم. الجزء الرابع. باب حكمه ﷺ فى خدمة المرأة لزوجها، ص ٣٢.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن مسند ١٢١/٦.

- وكان ﷺ : يعمل عمل البيت، وأكثر ما يعمل الخياطة[١] .
- وكان ﷺ :يغسل ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه[٢].

٦ - العدل في الحرص على مشاعر المرأة :

حرص الرسول ﷺ على مشاعر زوجاته أشد الحرص: فكان يسمح بالقصاص لمن تشعر أنها تلقت تصرفًا يسيء إلى نفسيتها ؛ فعن عائشة قالت: كان عندى رسول الله ﷺ وسودة ، فصنعت خزيرا، فجئت به، فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت: والله لتأكلين أو لألطخن وجهك! فقالت: ما أنا بذائقة، فأخذت من الصحفة شيئا فلطخت به وجهها، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها ركبته لتستقيد مني، فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك[٣].

وحرص على مشاعر السيدة صفية عندما حزنت من كلمة السيدة حفصة أنها بنت يهودي ودافع عنها تحقيقا لمبدأ إرساء العدل ؛ فعن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت ، فقال النبي ﷺ: "إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ اتقى الله يا حفصة"[٤].

٧ - العدل في الإشباع الجنسي :

نلحظ من خلال منهاج السنة الشريفة حرص الرسول ﷺعلى حق المرأة في المعاشرة الزوجية لإشباع الغريزة الجنسية ؛ فعن عروة قال: دخلت خولة ابنة حكيم امرأة عثمان بن مظعون على عائشة وهى بادية الهيئة، فسألتها: ما شأنك؟ فقالت: "زوجى يقوم الليل ويصوم النهار! فدخل النبى ﷺ على عائشة فذكرت ذلك له، فلقى النبى ﷺ عثمانَ فقال: يا عثمان! إن الرهبانية لم تكتب علينا، أفمالك في أسوة حسنة ! فوالله إن أخشاكم وأحفظكم لحدوده لأنا"[٥].

---

[١] أخرجه ابن سعد في الطبقات ٩١/٢/١، و انظر إتحاف السادة المتقين ٣٨٣/٨.
[٢] ذكره أبو نعيم في الحلية ٣٣١/٨.
[٣] أخرجه أبو يعلى فى مسنده ٤٤٩/٧ وابن عساكر فى تاريخه ٤٢/٤ والنسائى فى الكبرى ٢٩١/٥. والخزير هو العصيدة ، وهو الحساء المطبوخ من الدقيق والدسم والماء.
[٤] أخرجه الترمذى فى (المناقب ، باب فضل أزواج النبى ﷺ /٣٨٩٤) عن أنس بن مالك ﷺ.
[٥] أخرجه عبد الرزاق ١٦٨/٦ عن عروة ، والطبرانى فى الكبير ٣٨/٩.

وضرب الرسول ﷺ بنفسه المثل في إعطاء المرأة حقها في الملاطفة الزوجية بالحدود الشرعية، وخاصة في أيام الحيض حيث كان الاعتقاد السائد ألا يقرب الرجل زوجته نهائيا في تلك الأيام ؛ فقد كان ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه، وهى حائض أمرها أن تتزر، ثم يباشرها(١).

وعلم الرسول ﷺ المسلمين كيف يتحررون من الخجل في معاشرة نسائهم ؛ فقد روي أن عثمان بن مظعون قال للنبي ﷺ : إني أستحي أن يرى أهلي عورتي؟ فقال ﷺ:إن الله تعالى جعلها لك لباساً وجعلك لها لباسا، وأهلي يرون عورتي وأنا أرى ذلك منهم(٢).

وعلم الرسول ﷺ المسلمين كيف يجددون نشاطهم لتجديد علاقاتهم مع نسائهم ؛ فقال ﷺ :"إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعاود فليتوضأ، فإنه أنشط للعود"(٣).

ودعا الرسول ﷺإلى أن تكون المعاشرة فيها لطف ومراعاة لمشاعر المرأة ؛ فقال ﷺ :"إذا أتيت أهلك فاعمل عملا كيسا"(٤).

وحدد الرسول ﷺآداب للجماع حتى يحقق الأهداف الإيمانية التى يعيش في رحابها المسلمون، ومن أهم تلك الآداب البعد عن الجماع في الدبر، لما يسببه من آلام وأمراض أثبتها العصر الحديث وفي مقدمتها مرض الإيدز ؛ فعن خزيمة بن ثابت أن رجلا أتى إلى النبى ﷺ فقال: إنى آتى امرأتى من دبرها، فقال رسول الله ﷺ: نعم، فقالها مرتين أو ثلاثا، ثم فطن رسول الله ﷺ فقال: "أمن دبرها في قبلها فنعم، فأما في دبرها فإن الله نهاكم أن تأتوا النساء في أدبارهن"(٥) .

---

(١) أخرجه البخارى فى (الحيض، باب مباشرة الحائض) ومسلم فى (الحيض ، باب مباشرة الحائض فوق الإزار /٢٩٣) عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٣٧/٩ وعبد الرزاق ١٩٥/٦ وابن سعد فى الطبقات ٢٨٧/٣ عن سعيد بن مسعود الليثى .

(٣) أخرجه بلفظه الحاكم ٢٥٤/١ وابن حبان ١٢/٤ وأخرجه بنحوه مسلم فى (الحيض ، باب جواز نوم الجنب/٣٠٨) كلهم من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺ.

(٤) أخرجه البغدادى فى تاريخ بغداد ٢٩٢/١٢ عن جابرﷺ.

(٥) أخرجه ابن أبى عاصم في الآحاد والمثانى ١١٦/٤ عن خزيمة بن ثابت.

٨ - عدل الرسول ﷺ مع نسائه :

إن عدل الرسول مع نسائه يعتبر منهاجًا لجميع الرجال المؤمنين في العدل مع النساء . فالأسرة هي نواة المجتمع ، وأولى الناس بالعدل والرعاية هي الزوجة التي تقوم بخدمة الأسرة ورعايتها، ومن حقها الشعور بالأمن والعدل ليسود الانشراح النفسي في الأسرة جميعها. ومن مظاهر عدل الرسول مع نسائه :

- أنه كان يقسم بينهن في النفقات المعيشية ليتحقق التوازن المادي بين النساء ، أما الميل القلبي فهي أمور باطنية ليس في مقدور الإنسان أن يتحكم فيها ؛ فكان ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ، ويقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك" [١] .

- وقال ﷺ :"إني لا أنقصك شيئا مما أعطيت فلانة: رحاتين وجرتين ومرفقة حشوها ليف، إن سبعت لك سبعت لنسائي"[٢] .

- وكان ﷺ يعدل بينهن في اختيار واحدة منهن للسفر معه حيث كان يتم ذلك عن طريق القرعة: فقد روي عنه ﷺ أنه كان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها ، خرج بها معه[٣]

- وكان ﷺ يعدل بينهم في تخصيص أيام المبيت أو الجلوس معهن حتى لا تكتئب النفوس وتشعر القلوب بالحزن والانعزالية ، ويبدأ هذا العدل منذ اليوم الأول للزواج حيث الأيام الأولى التي يقضيها مع كل زوجة تتساوى مع جميع الزوجات ؛ فقد قال ﷺ : "ليس بك هوان على أهلك، إن شئت سبعت عندك، وإن سبعت لك سبعت لنسائي، وإن شئت ثلثت ثم درت"[٤] .

- وعن سعيد بن المسيب قال: أعطي رسول الله ﷺ قوة بضع خمسة وأربعين رجلا، وإنه لم يكن يقيم عند امرأته يوما تاما، كان يأتي هذه الساعة ويأتي هذه الساعة، ينتقل بينهن كذلك اليوم، حتى إذا كان الليل قسم لكل امرأة منهن ليلتها[٥] .

---

[١] أخرجه الترمذي في السنن (١١٤٠) و ابن ماجه في السنن (١٩٧١) و أبو داود في السنن (٢١٣٤) و النسائي في السنن (٣٩٤٣) و أحمد في مسنده ١٤٤/٦.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك ١٩٥/٢.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا، وذلك من حديث طويل (٢٢٧/٣).

[٤] أخرجه مسلم كتاب الرضاع باب قدر ما تستحقه رقم ٤٨.

[٥] أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥٠٧/٧.

- وحتى في مرض موته كان يهدف إلى الحرص على تحقيق العدل في المبيت عند الزوجات ؛ فعن جعفر عن أبيه قال: لما ثقل النبي ﷺ قال: أين أكون غدا؟ قالوا: عند فلانة، قال: أين أكون بعد غد؟ قالوا:عند فلانة، فعرفن أزواجه أنه إنما يريد عائشة، فقلن: يا رسول الله قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة[١]

- إن حرص الرسول على العدل مع نسائه ينبع من النهج الرباني في إشاعة روح العدل في الأمة ، حتى تنتظم موازين المعاملات .. والرجل الذي له امرأتان فمال إلى إحداهما ، يسبب اختلال تلك الموازين الدنيوية ويظهر ذلك واضحا على منظره في لقاء الله في الآخرة : قال ﷺ : "إن كانت عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط"[٢] .

العدل في تحقيق التوازن النفسي بينهن :

حرص الرسول ﷺ على مشاعر زوجاته أشد الحرص: فكان يسمح بالقصاص لمن تشعر أنها تلقت تصرفا يسيء إلى نفسيتها ؛ فعن عائشة قالت: كان عندى رسول الله ﷺ وسودة ، فصنعت خزيرا، فجئت به، فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت: والله لتأكلين أو لألطخن وجهك! فقالت: ما أنا بذائقة، فأخذت من الصحفة شيئا فلطخت به وجهها، ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها، فخفض لها ركبته لتستقيد مني، فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي، ورسول الله ﷺ يضحك[٣].

وحرص على مشاعر السيدة صفية عندما حزنت من كلمة السيدة حفصة أنها بنت يهودي ودافع عنها تحقيقا لمبدأ إرساء العدل ؛ فعن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت ، فقال النبي ﷺ: "إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ اتقى الله يا حفصة"[٤].

---

[١] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٣٠/٧.

[٢] أخرجه الترمذي في السنن ٤٤٧/٣، والحاكم في المستدرك ٢٠٣/٢.

[٣] أخرجه أبو يعلى فى مسنده ٤٤٩/٧ وابن عساكر فى تاريخه ٤٢/٤ والنسائى فى الكبرى ٢٩١/٥. والخزير هو العصيدة ، وهو الحساء المطبوخ من الدقيق والدسم والماء.

[٤] أخرجه الترمذى فى (المناقب ، باب فضل أزواج النبى ﷺ /٣٨٩٤) عن أنس بن مالك ﷺ.

- وقالت عائشة : ما علمت حتى علي زينب بغير اذن و هي غضبي ، ثم قالت : يارسول الله أحبك إذا غلبت بنية أبي بكر ذريعتها ثم أقبلت علي عنها حتى قال النبي ﷺ :"دونك فانتصري"[١].

خامسًا : العدل مع الأبناء :

قد يجمح هوى النفس عند بعض الآباء إلى تفضيل أحد الأبناء على الآخرين، أو تفضيل الذكور على الإناث، أو إيثار بعضهم ببعض الامتيازات المادية أو المعنوية مما يسبب الشقاق والعداوة بين الإخوة أو يسبب الصراعات النفسية للابن المضطهد، والإفساد للابن المدلل ... وكل هذا مما يأباه الإسلام ويرفضه بكل شدة؛ لأنه دين الحق والعدل والمساواة، ودين المحبة بين الناس، ودين الفطرة السوية، فهو يريد مجتمعا متماسكا لا تناحر فيه ولا خلاف، ويريد نفوسا مطمئنة ارتوت من ينابيع الحق والعدالة الاجتماعية فأصبحت شموعا تضئ للحيارى والمضطهدين فكل إناء ينضح بما فيه، والمسلم الحق يشيع مبادئ الخير كلها ويرسي دعائم المبادئ النبيلة التي تنشدها البشرية قاطبة في وهج الصراعات الدنيوية التي تعيشها.

و نعرض فيما يلى التوجيهات النبوية التي تسدد خطانا في تحقيق العدل بين الأبناء حتى نبني نفوسا سوية تعرف كيف تقوم بحقوق ربها ، وكيف تبر آبائها وكيف تشيد المجتمعات على قواعد متينة من العدل ؛ لأنها تشربته منهاجًا وسلوكًا منذ نعومة أظفارها .

أ - العدل في الحب والعطاء :

لا يوجد قانون أرضي يطالب بالعدل في المشاعر القلبية ، ولكن نبي الرحمة وضع ذلك القانون؛ لأن شريعته تهدف إلى استكمال رقي الإنسان ماديا ومعنويا والعدل في الحب والملاطفة الذي يناله الابن في طفولته من أكبر العوامل في استقرار الإنسان نفسيا طوال عمره.

- وعن أنس أن رجلا كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه فقال رسول الله ﷺ : " ألا سويت بينهما؟ "[٢] .

---

[١] أخرجه ابن ماجه في السنن (١٩٨١) وقال في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٢] أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٨ / ٨٨) .

ب - العدل في توزيع الثروات :

إن الثروات المادية هي عماد الحياة في جميع المجالات؛ لذلك حرص الرسول ﷺ على إرساء مبدأ العدالة في توزيع الثروات :

- قال ﷺ : "اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف"[١].

- وعن عامر قال : سمعت النعمان بن بشير وهو على المنبر يقول : أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن ابنى من عمرة ابنة رواحة أعطيته فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال : " أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ " قال : لا ، قال : " فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " قال : فرجع فرد عطيته[٢] .

- وقال المغيرة في حديثه : " أليس يسرك أن يكونوا في البر واللطف سواء ؟ " قال: نعم ، قال : فأشهد على هذا غيري [٣].

وذكر مجالد في حديثه:إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم ، كما أن لك عليهم من الحق أن يبروك .

- وبين الرسول أنه لو آثر أحدا ببعض الامتيازات المادية لآثر النساء على الرجال ، وذلك ليعدل الموازين النفسية المختلفة منذ عهود الجاهلية في تفضيل الرجال في امتلاك الثروات ، وحرمان الإناث من ذلك .. وتلك من مآثر الإسلام في نهضة المرأة وتحريرها من الظلم الذي كانت تعانيه قبل البعثة المحمدية ، ليس بين العرب فقط ولكن في العالم أجمع :

- و قال ﷺ : "سووا بين أولادكم في العطية، فإني لو كنت مؤثرا أحدا على أحد لآثرت النساء على الرجال"[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٦/٣، ومسلم في الهبات (١٣) - (النحل: العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. أ ه. النهاية ٢٩/٥.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٤٧) .

[٣] أخرجه أبو داود في السنن (٣٥٤٢) والنسائي في السنن (٦٥٠٧) .

[٤] أخرجه الطبراني في الكبير ٣٥٤/١١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٣/٤.

سادسًا : العدل مع الخدم :

إن العدل مع الخدم يعني سمو الشريعة الإسلامية على كل القوانين الوضعية في كل مجالات العدل ، ويعني كيف جاهد الرسول ﷺ ضد التمييز العنصري ، والتفريق بين الأجناس وسيادة الطبقات العليا بدون مراعاة لقوانين العدالة الاجتماعية.

- **إن العدل الذي أرساه الرسول مع الخدم يرفض إلقاء التهم جزافًا ؛** وقد عبر النبي ﷺ عن ذلك فقال : "أيما عبد أو امرأة قالت لوليدتها: يا زانية ولم تطلع منها على زنا جلدتها وليدتها يوم القيامة لأنه لا حد لهن في الدنيا"(١).
- **كما وضح النبي ﷺ أن العدل يتطلب القصاص العادل ؛** فقال ﷺ :" اغفر فإن عاقبت فعاقب بقدر الذنب واتق الوجه"(٢).
- **كما وضح النبي ﷺ أن العدل يتطلب العتق إذا كان أقيم عليه الحد ظلمًا ؛** فقال ﷺ : "من ضرب غلاما له حدا لم يأته أو لطمه قال: كفارته أن يعتقه"(٣).

- وعن سويد بن مقرن قال : كنا بني مقرن سبعة على عهد رسول الله ﷺ ولنا خادمة ليس لنا غيرها فلطمها أحدنا فقال النبي ﷺ : "أعتقوها" فقلنا: ليس لنا خادم غيرها يا رسول الله، فقال النبي ﷺ : "تخدمكم حتى تستغنوا عنها، ثم خلوا سبيلها"(٤).

- **كما وضح النبي ﷺ أن العدل يتطلب تكليف الخادم بالأعمال في حدود قدراته، وأن يتحقق له إشباع الحاجات الأساسية ؛** فقال ﷺ : "ما خففت عن خادمك من عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة"(٥).

- و قال ﷺ : "أخوك في الإسلام لا تكلفه من العمل إلا ما أطاق، وأطعمه من طعامك وألبسه من لباسك فإن كرهته فبعه يعني العبد"(٦).

---

(١) أخرجه : الحاكم فى المستدرك ٣٧٠/٤ والسيوطى فى جمع الجوامع ٩٥٢٣ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٧٦/٣.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢١٣٠).
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١٦٥٧)وأحمد في مسنده ٤٥/٢، والبخارى فى الأدب المفرد (١٨٠).
(٤) أخرجه مسلم في الإيمان (٣١)و أحمد في مسنده ٤٤٤/٥ ، و البيهقي في السنن ١٢/٨ ، و الطبراني في الكبير ١٠٠/٧.
(٥) أخرجه البيهقى فى الشعب (٨٥٨٩) وابن حبان فى صحيحه (٤٣١٤) وأبو يعلى فى مسنده (١٤٧٢/٣).
(٦) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٣٧/٤ وعزاه إلى الطبرنى فى الأوسط.

- **كما وضح النبي ﷺ أن العدل يتطلب البعد عن التعذيب بأي شكل من الأشكال ؛**

فعن عكرمة قال: مر النبي ﷺ بأبي مسعود الأنصاري وهو يضرب خادمه فناداه النبي ﷺ فقال: "اعلم أبا مسعود فلما سمع ألقى السوط فقال له النبي ﷺ : "والله لله أقدر عليك منك على هذا، قال: ونهى رسول الله أن يمثل الرجل بعبده فيعور أو يجدع وقال: أشبعوهم ولا تجوعوهم، واكسوهم ولا تعروهم ولا تكثروا ضربهم فإنكم مسئولون عنهم، ولا تقدحوهم بالعمل فمن كره عبده فليبيعه ولا يجعل رزق الله عليه عنا" [١].

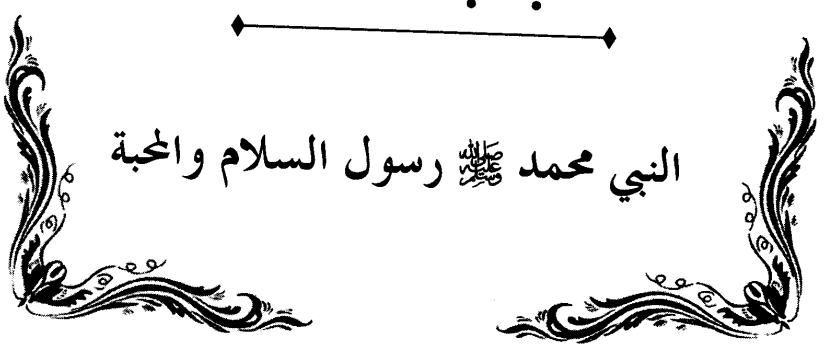
وهكذا فقد غير الرسول أساسيات العلاقة بين السيد والخادم تغييرا جذريا لا يمكن تفهم أبعاده إلا إذا درسنا نظام العبيد في عصر الجاهلية قبل البعثة المحمدية .. حيث لم يكن للعبيد أي اعتبار في نظر السادة الأغنياء. فحول الرسول ﷺ تلك العلاقة إلى مسئولية إيمانية تقوم على العدل والرحمة والخوف من الحساب الإلهي.

وبذلك ساد العدل الأمة الإسلامية ، وأصبح كالماء والهواء الضروريان لدفع حركة الحياة .. وهذا ما حقق لتلك الأمة أرقى الحضارات عندما التزمت بتعاليم السماء.

---

[١] أخرجه مسلم في الإيمان (٣٤، ٣٥) و أبو داود في السنن (٥١٥٩) و الترمذي في السنن (١٩٤٨) و البيهقي في السنن ١٠/٨.

الباب الثالث



النبي محمد ﷺ رسول السلام والمحبة

إن معاني السلام التي جاء بها النبي محمد ﷺ وطبقها واقعاً حياً تعيشه الأمة الإسلامية ، تعتبر من المعاني النادرة التي تعجز البشرية عن التفكير فيها لولا البعثة المحمدية ٠٠ وإن ما ينادي به البعض في عصرنا الحالي من محاولات تحقيق السلام بين الشعوب ، هو قبس من نور الإسلام الذي علمنا رسوله أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى يعتبر تحية لأهل الإسلام ، وأماناً لغير المسلمين في الدولة الإسلامية ، قال ﷺ : "إن الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ذمتنا"[(١)].

ولن نكون مبالغين إذا قلنا: إن السلام والحب يعتبران من أساسيات بناء الفكر الإسلامي، حيث تهتم الشريعة بالسلام الاجتماعي والسلام العالمي ، فكل منهما عامل فعال في تحقيق الاستقرار اللازم لازدهار مبادئ الحق والعدل والحب بين شعوب العالم بأسره ٠

ونعرض فيما يلي كيف أرسى نبي الرحمة معاني السلام في الأمة بدوائرها المتعددة ؛ فبدأ بالإنسان الذي هو المحرك الفعال لحركة الحياة ، وبدون أن يحقق ذلك الإنسان السلام مع نفسه ويتشكل به وجدانه ، فلن يستطيع أن يحقق السلام مع الآخرين ٠

[(١)] أخرجه الطبراني في الكبير ١٢٩/٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩/٨، والسيوطي في الدر المنثور ١٨٩/٢، وجمع الجوامع (٤٧٥٩).

أولاً : كيف يحقق المؤمن السلام مع نفسه :

إن تحقيق سلام الإنسان مع نفسه يعنى انطلاقة حقيقية نحو تحقيق السلام الاجتماعي، فالإنسان لا يعيش بمعزل عن المجتمع، والأمة ما هي إلا مجموع الشعب. فالسلام يجب أولاً أن ينبع من ضمير الشعب، وليس بقوانين تفرض على المواطنين. ولا شك أن قيادة ألف من المؤمنين أسهل بكثير على الحاكم من قيادة عشرة من الإرهابيين؛ لأن المؤمن خاضع لتعاليم الجندية الإلهية، ملتزم بقوانين الشريعة المعنوية، يعرف كيف يحقق السلام مع نفسه، ويطهرها من أدران الصراعات المعنوية المتمثلة فى شراهة النفس والحقد والحسد وحب الدنيا وشهواتها و ... وكل هذا يتحول إلى صراعات مادية على المناصب الرئاسية والمكاسب الدنيوية، مما يؤدى إلى تفكك الروابط بين أفراد المجتمع، وبالتالي انفراط العقد الاجتماعي للأمة،وظهور نظريات سياسية متعددة تؤدى إلى حالة التيه وضياع معالم الأمة[١].

لذلك فمن الأهمية بمكان أن يولى الإسلام عناية فائقة للإنسان فى صقل وجدانه بدوافع الإيمان ، حتى ينطلق فى الحياة بخطى وطيدة محررة من قيود الأوهام والأحزان والشهوات، فيضع لبنات بناء الشعوب والأمم بتوجيهات الإيمان، فيصير البنيان راسخاً معلناً عن حرية الإنسان فى أسمى صورها ، لارتباط ماديات الأرض بروحانيات السماء وهو ما يحوى فى طياته دوافع خيرية الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم.

ونرى تعاليم الرسول ﷺ في تحقيق سلام الإنسان مع نفسه فيما يلي :

١ - أثر الإيمان في سلام النفس :

- إن الإيمان بالله يعني إحياء النفوس بالتعاليم النورانية ، قال ﷺ : "يا حمزة؟ نفس تحييها أحب إليك أو نفس تميتها؟ قال: نفس أحييها، قال: عليك بنفسك"[٢].

- إن الإيمان بالله يعلم الإنسان الطمأنينة والسكينة في مواجهة الأحداث؛ لأنه يدربه على الصبر والتسليم لأمر الله والرضا بقضائه والشكر على نعمائه ، والسماحة

---

[١] كليات رسائل النور – بديع الزمان سعيد النورسي – دار سوزلر للنشر.
[٢] أخرجه أحمد في مسنده ١٧٥/٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ١٥٩/٣.

مع من يخطئ في حقه ؛ قال ﷺ : "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا"[١].

- وقال ﷺ : "ذروة الإيمان أربع خصال: الصبر للحكم ،والرضاء بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب"[٢].

- ووضع الرسول ﷺ مواصفات النجاح للمؤمن : وهي إخلاص القلب لله ، والصدق في القول ، والاستقامة في السلوكيات؛ حيث يتفق الظاهر مع الباطن وإرهاف الحواس لتحصيل المعلومات:

- قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة، وحيقته مستقيمة، وأذنه مستمعة، وعينه ناظرة[٣].

- وبين الرسول ﷺ أن المؤمن القوي الثابت في خطواته وكلماته ، الواثق في وعد ربه ، أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ؛ فقال ﷺ : "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"[٤].

- كما علم الرسول الشباب خطوات السلام مع النفس : وهي حفظ تعاليم الله ، فيحفظه الله من شياطين الجن والإنس ، ويتعرف إلى الله في الرخاء ، فيعاونه وقت الشدة ، ويوقن بأن النفع والضر قدر الله ، وأن الخلائق ليس بيدها القدرة على تغيير ذلك القدر ، وتلك التعليمات تحقق سلام النفس؛ لأنه لن يستعين إلا بالله ، ولا تذهب نفسه حسرات على ما ضاع منه ، وأن الشدائد مهما اشتدت فلا بد أنها ستفرج ؛ قال ﷺ : "يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن

---

[١] أخرجه مسلم في الإيمان (٥٦) والترمذي في السنن (٢٦٢٣) وأحمد في مسنده ١/ ٢٠٨، والبغوي في شرح السنة ١/ ٥٢.

[٢] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢٠٢/١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢١٦/١، وهو حديث صحيح.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ١٤٧/٥، والمنذري في الترغيب والترهيب ٥٦/١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٢/١٠، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٠٠).

[٤] أخرجه مسلم في القدر (٣٤) وابن ماجه في السنن (٤١٦٨) وأحمد في مسنده ٣٧٠/٢، والبيهقي في السنن ٨٩/١٠.

ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد أن يعطيكه، لم يقدروا على ذلك، أو أن يصرفوا عنك شيئا أراد الله أن يعطيكه لم يقدروا على ذلك، وأن قد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وإذا اعتصمت فاعتصم بالله، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا"[١].

- كذلك الإيمان يعلّم الإنسان عفة اللسان والأدب في التخاطب مما يحقق السلام بين الناس :

- قال ﷺ : "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذيء"[٢].

٢ - الذكر وصفاء النفوس :

- إن ذكر الله يحقق صفاء النفس إلى أبعد الحدود؛ لأنه يعني لحظات يعيش فيها الإنسان وهو على الأرض مع أنوار السماء التي تمده بطاقات متجددة ، يصعب عليه أن يستمدها من أي مصدر آخر، تلك الطاقات تُعينه على مواجهة كل التحديات؛ قال ﷺ : "قال الله تعالى: لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي، ولا يذكرني في ملأ إلا ذكرته في الرفيق الأعلى"[٣].

- إن ذكر الله شفاء من الأمراض النفسية ، أما الانشغال بذكر الناس وما فيهم من عيوب أو ما سببوه للإنسان من أذى فإنه يسبب انقباض النفوس ، قال ﷺ : "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله "فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي"[٤].

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده ٣٠٧/١، والعجلوني في كشف الخفاء ٤٣٨/٢.

[٢] أخرجه الترمذي في السنن (١٩٧٧) والبيهقي في السنن ١٠/ ٢٤٣، والحاكم في المستدرك ١٢/١.

[٣] أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠/ ٣٩١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٧٨، والسيوطي في الدر المنثور ١م ١٤٩.

[٤] أخرجه الترمذي في السنن (٢٤١١) ، وقال : أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٥٣٨.

- **وهناك عطاءات ربانية لمن يشتغل بالذكر حتى يشغله ذلك من المتطلبات الدنيوية** ؛ قال ﷺ : "يقول الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين"[١].

- و قال ﷺ : "إن للمساجد أوتادا، والملائكة جلساؤهم، فإن غابوا افتقدوهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم، جليس المسجد على ثلاث خصال: أخ مستفاد، وكلمة محكمة أو رحمة منتظرة".

- **الذكر يدفع عن الإنسان أبواباً كثيرة من الضر ويحقق له سعة الرزق الدنيوي والأخروي**؛ قال ﷺ : "إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة".

- وقال ﷺ : "من ألبسه الله نعمة فليكثر من الحمد لله، ومن كثرت همومه فليستغفر الله، ومن أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، ومن نزل مع قوم فلا يصم إلا بإذنهم، ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه، فإن القوم أعلم بعورة دارهم وإن من الذنب المسخوط به على صاحبه الحقد والحسد والكسل في العبادة والضنك في المعيشة"[٢].

- **قراءة القرآن تحقق صفاء القلوب وجلائها ، وتحمي الإنسان من الأذى ، وتسبب محبة الله** ؛ قال ﷺ: "إذا أحب الله عز وجل عبدا نادى جبرئيل: أني قد أحببت فلانا فأحبه، فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ (مريم: ٩٦)

وإذا أبغض الله عبدا نادى جبرئيل: أني قد أبغضت فلانا فينادي في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض"[٣].

---

[١] أخرجه ابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٣٤، والبخاري في التاريخ ٢/ ١١٥، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٢٨، وابن عبد البر في التمهيد ٦/ ٤٦.

[٢] أخرجه الطبراني في الصغير ٢/ ٧٢ ، الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٠١ ، ٨/ ١٧٩، ١٠/ ١٤٠.

[٣] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٦٧٣) وأحمد في مسنده ٥/ ٢٦٣.

٣ - أثر الدعاء في فتح أبواب الرحمة للإنسان :

- وضَّح النبي ﷺ أن الدعاء يفتح أبواب الرحمة وينجي في أوقات الشدة ، قال ﷺ : "من فتح له منكم باب في الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء"(١).

- و قال ﷺ : "من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء"(٢).

- كما بين ﷺ أن الدعاء يطمئن النفس البشرية وقت الخوف أو الكرب ؛ لأنه يعني الاستعانة بالله وهو ركن ركين وعروة وثقى ؛ قال ﷺ : "ألا أخبركم بشيء إذا نزل بأحدكم كرب أو بلاء من أمر الدنيا دعا به فيفرج عنه، دعاء ذي النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"(٣).

- وعن علي أن رسول الله ﷺ علمه كلمات يقولها عند السلطان، وعند كل شيء هاله : "لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين، ويقول عندهن: إني أعوذ بك من شر عبادك"(٤).

- وأرشد النبي ﷺ إلى أن الدعاء ينجي الإنسان من الهم والحزن ؛ قال ﷺ : "ما أصاب مسلما هم قط، أو حزن، فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله تعالى همه وأبدل مكان حزنه فرحا، قالوا يا رسول الله أفلا نتعلم هذه الكلمات؟ قال: بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن"(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣٥٤٢) والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٨.
(٢) أخرجه الترمذي في السنن (٣٣٨٢) ، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٤٤ وقال: صحيح، ووافقه الذهبي.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٥، والألباني في الصحيحة (١٧٤٤).
(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن (١٤٤٦، ٣٨٨٣).
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٩، والطبراني في الكبير ١٠/ ٢١٠، وأحمد في مسنده ٦٥/ ٢٠٣.

٤ - التخلق بالأخلاق الإيمانية طريق الأمن النفسي :

- إن حسن الخلق يحقق سلام الإنسان مع نفسه ومع مجتمعه ، أما سوء الخلق فهو يعني انعكاسه على النفس بالقلق وعلى المجتمع بالشرور؛ قال ﷺ :"سوء الخلق شؤم، وشراركم أسوؤكم خلقا"(١).

ويحذر الرسول من الحسد؛ لأنه يؤدي إلى إشعال نار الحقد التي تأكل الحسنات ويدعو إلى الصدقة والصلاة والصيام؛ لأنها نور ووقاية من النيران.

- فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جنة من النار"(٢)

- إن الاهتمام برضا الناس قد يؤدي إلى النفاق والقلق النفسي، أما الاهتمام برضا الله فهو يحقق الاطمئنان الكامل ؛ قال ﷺ : "من التمس رضا الله عنه بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس"(٣).

- إن الزهد في الدنيا يحقق راحة نفسية كبيرة ، أما الانشغال بها والصراع على مادياتها يسبب العناء النفسي؛ لأن الإنسان لن يشبع مهما توفر له من ثروات ؛ قال ﷺ : "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥٠٢/٣، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢١/٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ١١٠/٣، والخطيب البغدادي في تاريخه ٢٧٦/٤.

(٢) أخرجه ابن ماجة في السنن (٤٢١٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب ٥٤٧/٣.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن (٢٤١٤) والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٢٠٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٥/١٠.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن (٢٤٦٥) والمنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ١٢١، والطبراني في الكبير ١١/ ٢٦٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٨، والألباني في الصحيحة (٩٤٩).

- وقال ﷺ : "من أصبح والدنيا أكبر همه، ألزم الله عز وجل قلبه أربع خصال لا ينفك من واحد حتى يأتيه الموت، هم لا ينقطع أبدا، وشغل لا يتفرغ أبدا، وفقر لا يبلغ غنى أبدا، وأمل لا يبلغ منتهاه أبدا"[١].

- إن التطلع إلى من هو أعلى من الإنسان في المستوى المادي يجهد النفس البشرية ، أما التأمل في أحوال المبتلين والمحتاجين يحقق رضا النفس وأمنها وسكينتها ؛ قال ﷺ : "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم"[٢].

- ولا يحارب الرسول ﷺ الغنى على إطلاقه، بل يبين أن الغنى مع التقوى، وقناعة النفس تحقق النعيم للإنسان؛ قال ﷺ : "لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خير من الغنى، وطيب النفس من النعيم"[٣].

- ويبين الرسول ﷺ أن الرضا بالرزق القليل يحقق سلام مع النفس؛ لأن كثرة الرزق تشغل الإنسان وتسبب له القلق ؛ قال ﷺ :"ما قل وكفى خير مما كثر وألهى"[٤].

- إن الصبر على الابتلاءات يحقق الاطمئنان النفسي للإنسان؛ لإيمانه أن الله سيعوضه في الحياة الأخرى بدرجات عليا في الجنان ؛ قال ﷺ : "من يتصبر يصبره الله، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، وما أعطي عبد عطاء هو خير وأوسع من الصبر"[٥].

- و قال ﷺ : "إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد"[٦].

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٧، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٣١٥.
[٢] أخرجه أحمد في مسنده ٢٥٤/٢، ومسلم في الزهد (٩) والترمذى في السنن (٢٥١٣) وابن ماجه في السنن (٤١٤٢).
[٣] أخرجه ابن ماجه في السنن (١٢٤١) وأحمد في مسنده ٣٧٢/٥، والحاكم في المستدرك ٣/٢، والألباني في الصحيحة (١٧٤).
[٤] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٥/١٠، والألباني في الصحيحة (٩٢٧).
[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٢/٨، والترمذى في السنن (٢٠٢٤) وأحمد في مسنده ٩٣/٣
[٦] أخرجه الترمذي في السنن (١٠٢١) وقال: هذا حديث حسن غريب والبغوي في شرح السنة ٤٥٦/٥، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٣٧/٤، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٧٣٦).

- و قال ﷺ : "يا فلان أيما كان أحب إليك؟ أن تمتع به عمرك؟ أو لا تأتي غدا إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه إليك"؟ [١].

- وفي الفتن يحتاج الإنسان إلى مزيد من الصبر والعزلة عن الدخول في تلك الفتن حتى يتحقق الأمن النفسي له ؛ قال ﷺ : "خير الناس في الفتن رجل معتزل في ماله يعبد ربه ويؤدي حقه، ورجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه"[٢].

- وقال ﷺ : "تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الراكب، والراكب فيها خير من المجري، قتلاها كلها في النار! قيل: ومتى ذلك؟ قال: ذلك أيام الهرج حين لا يأمن الرجل جليسه، قيل: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: اكفف يدك ونفسك وادخل دارك! قيل: أرأيت إن دخل علي داري؟ قال: فادخل بيتك! قيل: أرأيت إن دخل علي بيتي! قال : فادخل مسجدك واصنع هكذا- وقبض بيمينه على الكوع - وقل: ربي الله، حتى تموت على ذلك"[٣].

- إن كظم الغيظ عند الغضب يعتبر عنوان الرجولة والقوة الحقيقية، ومن أهم عوامل تحقيق السلام مع النفس ؛ عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "ما تعدون الصرعة فيكم؟" قالوا: الذي لا يصرعه الرجال قال: "بل الذي يملك نفسه عند الغضب"[٤].

- وعن معاذ قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ، فغضب أحدهما غضبا شديدا، حتى إني لأخيل أن أنفه يتمزع، فقال رسول الله ﷺ: "إني لأعرف كلمة لو قالها هذا الغضبان لذهب غضبه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"[٥].

- و قال ﷺ : "إنما الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ"[٦].

---

[١] أخرجه الترمذي في السنن ١١٨/٤، والبيهقي في السنن ٦٠/٤، والنووي في الأذكار (١٣٧).

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ٤١٩/٦، والحاكم في المستدرك ٤٤٦/٤، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٧٦٠) والألباني في الصحيحة (٦٩٨).

[٣] أخرجه مسلم في الفتن (٢٢١٢) وأحمد في مسنده ٤٤٨/١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٢/٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢٠/١٥.

[٤] أخرجه البخاري في الأدب ٣٤/٨، ومسلم في البر والصلة (١٠٦) وأبو داود في السنن (٤٧٧٩) والبيهقي في السنن ٦٨/٤.

[٥] أخرجه أبو داود في السنن (٤٧٨١) وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٤٦/٨، ٦٥٠/١٠.

[٦] أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٦/٤، وأبو داود في السنن (٤٧٨٤) والطبراني في الكبير ١٦٧/١٧، والبغوي في شرح السنة ١٦١/١٣، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٥١/٣.

- **إن أعمال البر كلها تحقق سلام النفس واطمئنان القلب** ؛ قال ﷺ : "البر ما سكنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس، ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون"[١].

- و قال ﷺ :"الحلال بين، والحرام بين، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك"[٢].

- **إن الشح من أعم الآفات التي تسبب الأمراض النفسية؛ لأنه يؤدي إلى الحرص على المال الذي يقطع العلاقات الإنسانية ويؤدي إلى الظلم وارتكاب الجرائم** ؛ قال ﷺ : "إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا"[٣].

- **تحرم الشريعة الانتحار؛ لأن هذا معناه اليأس من رحمة الله ، ولذلك بين الرسول ﷺ عقاب المنتحر حتى لا يقدم المسلم على تلك الخطوة الجنونية ويتحلى بالصبر وهدوء النفس** ؛ قال ﷺ : "إن رجلا ممن كان قبلكم خرجت به قرحة فلما آذاته انتزع سهما من كنانته فنكأها فلم يرقأ الدم حتى مات، قال الله: عبدي بادرني بنفسه، حرمت عليه الجنة"[٤].

- و قال ﷺ : من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا[٥].

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده ١٩٤/٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ٥٥٨/٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٥/١.

[٢] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٤/٤.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ١٩١/٢، والحاكم في المستدرك ٤١٥/١، والبيهقي في السنن ٢٤٣/١٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ٥٢٣٥، وأبو داود في السنن (١٦٩٨).

[٤] أخرجه مسلم في الإيمان (١٨٠) والطبراني في الكبير ٢٧٣/١٧، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٣/٢ - (فنكأها: يقال: نكأت القرحة أنكأها، إذا قشرتها. النهاية ١١٧/٥ ب).

[٥] أخرجه مسلم في الإيمان (١٧٥) والترمذي في السنن (٢٠٤٤) والدارمي في السنن ١٩٢/٢، والبيهقي في السنن ٢٤/٨، والبغوي في شرح السنة ١٥٣/١٠ - (يتوجأ: يقال: وجأته بالسكين وغيرها وجأ، إذا ضربته بها. النهاية ١٥٢/٥. ب).

- إن ذكر الموت والتفكر فيه يخفف كثيراً مما تعانيه النفس من وطأة الحرمان ، أو تحديات الحياة ، وبذلك يحقق الإنسان السلام مع نفسه وخاصة إذا كان ذكر الموت لا يعني الهروب من الأحزان ولكن يعني الشوق إلى لقاء الرحمن ؛ عن ابن عمر أن رجلا قال: يا رسول الله! أى المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا قبل نزول الموت أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة"[١].

- و قال ﷺ : "لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا، ولكن ليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي وأفضل"[٢].

---

[١] أخرجه ابن ماجة في السنن (٤٢٥٩) والحاكم في المستدرك ٥٤٠/٤ والطبراني في الكبير ٤١٧/١٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٣٨/٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣١٣/١.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ١٩٥/٣، والطبراني في الصغير ٧٧/٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٩/٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٥٩٨) وابن ماجة في السنن (٤٢٦٥) وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٣٧/١٠.

ثانياً : السلام داخل الأسرة

- إن السلام الذي يحققه نهج الرسول ﷺ داخل الأسرة يعني إقامة المجتمع على دعائم متينة؛ لأن الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع مما يحقق السلام الاجتماعي في الأمة بأسرها، وهذا السلام يشمل عدة اتجاهات :

١ – دور المؤمن نحو أهل بيته عموما :

لقد بين النبي ﷺ أنه **يجب أن يبدأ الرجل دخول بيته بالسلام وإذا خرج يودعهم بسلام لإشاعة معاني الحب والود بين أهل المنزل ؛** قال ﷺ : "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم وتحج، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتسليمك على أهل بيتك، فمن انتقص شيئا منهن، فهو سهم من الإسلام يدعه، ومن تركهن فقد ولى الإسلام ظهره"[١] .

- و قال ﷺ : "إذا دخلتم بيتا فسلموا على أهله وإذا خرجتم فأودعوا أهله بسلام"[٢].

- كما وضح النبي ﷺ أن على الرجل أن يحفظ أسرته بالدعاء مما يخاف منه ، ولا يدعو على نفسه ولا على أولاده ولا خدمه ولا ممتلكاته حتى لا توافق ساعة إجابة من الله فيجني ثمار ذلك شقاء لا قبل له به ؛ قال ﷺ : "لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجاب لكم"[٣].

- كما بين النبي ﷺ أنه يجب أن يسود حسن الخلق واللطف مع أهل البيت ليتحقق الأمن والسلام في الأسرة ؛ قال ﷺ : "إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وألطفهم بأهله"[٤].

---

[١] أخرجه الحاكم فى المستدرك ٧٠/١ و البيهقى فى الشعب ٤٤٧/٦ و الطبرانى فى مسند الشاميين ٢٤١/١ عن أبى هريرة ﷺ و حسنه محقق الترغيب و الترهيب (برقم ٣٤٢٥).

[٢] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٩٤٥٠) والبغوي في شرح السنة ٢٩٤/١٢، والتبريزى في مشكا المصابيح (٤٦٥١).

[٣] أخرجه مسلم في الزهد (٧٤) وأبو داود في السنن (١٥٣٢) والهيثمي في موارد الظمآن (٢٤١١) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢٢٩).

[٤] أخرجه الترمذى في السنن (٢٦١٥) وقال حسن صحيح، وأحمد في مسنده ٤٧/٦، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٠٣/٣، والتبريزى في نكاة المصابيح (٣٢٦٣).

- وبين النبي ﷺ أنه يجب أن يسود الصدق في المعاملات حتى ينشأ الأولاد على الحب والوفاء ؛ فعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: دعتني أمي يوما، فقالت تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: "وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمرا قال: "أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة"[١].

- كما بين النبي ﷺ أن الإنفاق على أهل البيت يحقق السلام والأمن في ظل حياة كريمة؛ لذلك فقد بين الرسول عظم أجر هذا الإنفاق ؛ قال ﷺ : "أربعة دنانير: دينار أعطيته مسكينا، ودينار أعطيته في رقبة، ودينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته على أهلك، أفضلها الذي أنفقته على أهلك"[٢].

- وقال ﷺ : "ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة، وما أطعمت نفسك فهو لك صدقة"[٣].

٢- دور الرجل في تحقيق السلام مع زوجته :

إن الدارس لمنهاج الرسول ﷺ في كيفية تحقيق الرجل السلام مع زوجته ، دراسة متأنية بعيدة التعصب عن والهوى، ليبهره عظمة الرسول ﷺ في إرساء قوانين السلام بما لم تحققه أية قوانين حضارية، فمن حق الزوجة على زوجها إشاعة جو المحبة والسلام فى البيت لتحقيق الأمن والطمأنينة لكل أفراد الأسرة.. وتهدف الشريعة بذلك إلى تحقيق السلام والحب فى أرجاء الأمة؛ لأن الأسرة هى النواة الأساسية للأمة[٤].

وتتخذ السنة الشريفة لتحقيق هذا الهدف خطوات متعددة منها:

- ملاطفة الرجل لامرأته ، ومن ذلك إطعامها الطعام فى فمها بنفسه، وذلك فيه أجر إيمانى من الله؛ قال ﷺ : "عجبت من قضاء الله للمؤمن، إن أصابه خير حمد ربه وشكر،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤٧/٣، والبيهقي في السنن ١٩٨/١٠، والبخارى في التاريخ الكبير ١١/٥، والمنذرى في الترغيب والترهيب ٥٩٨/٣

(٢) أخرجه البخارى في الأدب المفرد (٧٥١)، والبغوي في شرح السنة ١٨٤/٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٣١/٤، والطبراني في الكبير ٦٣٤/٢٠، والبخاري في الأدب المفرد (٨٢).

(٤) المرأة فى التصور الإسلامى، د. عبد المتعال محمد الجبرى، الناشر مكتبة وهبة-قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالى، دار الشروق- تحرير المرأة فى عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة ، دار القلم ،الكويت (عدة أجزاء).

وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر، ويؤجر المؤمن في كل شيء، حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته"[١].

- **وبين الرسول ﷺ أن حسن الخلق مع الزوجة علامة من علامات اكتمال الإيمان، وكان قدوة في ذلك لكل المؤمنين حرصا على دعائم المحبة في الأسرة المسلمة** ؛ قال ﷺ : "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم" [٢] .

- وعن أبي عبد الله الجدلي قال: قلت لعائشة: كيف كان خلق رسول الله ﷺ في أهله؟ قالت: كان أحسن الناس خلقا، لم يكن فاحشا ولا متفحشا، ولا سخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح[٣].

- وقال ﷺ :"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" .

- **وحذر الرسول ﷺ الرجال من ضرب النساء تحذيرا شديدا؛ لأن ذلك يقطع أواصر المحبة والروابط الزوجية ويؤدي إلى انهيار الحياة العائلية التي يجب أن تقوم على المودة والرحمة** ؛ قال ﷺ : "لقد طاف الليلة بآل محمد نساء كثير، كلهن تشكو زوجها من الضرب، وأيم الله لا تجدون أولئك خياركم"[٤].

- و قال ﷺ :"أما يستحيي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد! يضربها أول النهار، ثم يُضاجعها آخره، أما يستحيي"[٥].

- **وبين الرسول ﷺ أن الضرب لا يجدي في الإصلاح، ولكنه يؤدي إلى تحطيم النفوس، فيجب على الرجال أن يبتعدوا عن ذلك، حتى تستقيم الحياة الزوجية وتستمر** ؛

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٧٠/١ والبيهقي في الشعب ٤٤٧/٦ والطبراني في مسند الشاميين ٢٤١/١ عن أبي هريرة ﷺ، وحسنه محقق الترغيب والترهيب (رقم ٣٤٢٥).

(٢) أخرجه بلفظه الترمذي في كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها /١١٦٢) وأخرجه مختصراً أبو داود في (السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه / ٤٦٨٢) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد ١٧٤/٦ وابن حبان ٣٥٤/١٤ و الترمذي في الشمائل (ص٢٨٧) وابن راهويه في مسنده ٩٢٠/٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه في الموضع السالف ذكره (رقم ١٩٨٥) والحاكم وصححه في المستدرك ٢٠٨/٢والبيهقي في الكبرى ٣٠٤/٧ وابن حبان ٤٣٣/٩ عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٤٤٢/٩عن عروة عن أبيه.

قال ﷺ لرجل يشكو طول لسان زوجته:"مرها، فإن يك منها خير فستفعل، ولا تضرب ظعينتك كضرب أمتك"[١].

- قال ﷺ :"لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضى منها غيره"[٢].

- **وبين الرسول ﷺكيف أن قبلة الرجل لامرأته لا تفطر الصائم، فهى كالأريج العطر الذى يعبر عن المعانى السامية التى جمعت بينهما** ؛ فعن عمر قال: هششت إلى المرأة يوماً فقبلتها وأنا صائم، فأتيت النبى ﷺ فقلت: صنعت اليوم أمرا عظيما، قبلت وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم؟ قلت: لا بأس بذلك، فقال رسول الله ﷺ: ففيم؟" [٣].

- **وبين النبي ﷺ أهمية المشاعر اللطيفة بين الزوجين ، ووضح الرسول فى أحاديث متعددة ضرورة تلك المداعبة، لإشاعة جو السلام في البيت** ؛ عن جابر قال: قال لى رسول الله ﷺ: "تزوجت بكرا أم ثيبا؟ قلت: ثيبا، قال: فهلا بكرا! تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك"[٤].

- **وضرب لنا الرسول ﷺ المثل بنفسه فى معاملة زوجاته بكل الحب والحنان حيث تعرض السيدة عائشة رضى الله عنها كيف كان الرسول يشيع السلام والحب في البيت** ؛ فعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يتوضأ ثم يخرج إلى الصلاة فيُقبلنى، ثم يمضى إلى الصلاة فما يحدث وضوءا [٥].

*وعنها رضي الله عنها قالت: كنت أشرب فى الإناء وأنا حائض، فيأخذه النبى ﷺ فيضع فاه على موضع، فيشرب فى، وكنت آخذ العرق فأنتهش منه، ثم يأخذه منى فيضع فاه على موضع فى فينهش منه[٦].

---

[١] أخرجه أبو داود مطولاً (الطهارة ، باب فى الإستنثار /١٤٠) والحاكم وصححه ١١٠/٤ وعبد الرزاق فى المصنف ٢٧/١ وابن حبان ٣٣٣/٣ عن لقيط بن صبرة.

[٢] أخرجه مسلم فى (الرضاع ، باب الوصية بالنساء /١٤٤٦٩) عن أبى هريرة ﷺ.

[٣] أخرجه أبو داود فى (الصوم ، باب القبلة للصائم /٢٣٨٥) والدارمى فى (الصوم. بالرخصة فى القبلة للصائم /١٧٢٤) والحاكم فى المستدرك (٤٣١/١) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

[٤] أخرجه البخارى فى (المغازى ، باب" إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا" رقم ٤٠٥٢) وبنحوه مسلم في(الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر/ رقم ٥٦ فى الباب).

[٥] أخرجه أبو يعلى فى مسنده ٢٤٣/٨ وعبد الرزاق فى المصنف ١٢٥/١.

[٦] أخرجه مسلم فى (الحيض ، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها/٣٠٠).

* وعنها – أيضاً - قالت:"كان النبى ﷺ يضع رأسه فى حجرى وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن"[١] .

- **كما أنه ﷺ استشار السيدة عائشة فى ملابسه التى يرتديها لتوطيد معانى المودة والألفة** ؛ فعنها قالت: "أهدى للنبى ﷺ شملة سوداء فلبسها وقال: "كيف ترينها على يا عائشة؟" قلت: ما أحسنها عليك يا رسول الله، تشرب سوادها ببياضك وبياضك بسوادها، قالت: فخرج فيها إلى الناس[٢].

- **كما كان ﷺ يمزح مع نسائه بما يناسب الأدب الإيمانى وروح العصر السائدة وقتها** ؛ عن ابن عباس أن رجلا سأله فقال: أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ قال: نعم، فقال رجل: ما كان مزاحه؟ فقال ابن عباس: كسا النبى ﷺ بعض نسائه ثوباً واسعا، قال:"البسيه، واحمدى الله، وجرى من ذيلك هذا كذيل العروس" [٣] .

- **وكان ﷺ يلاطف السيدة عائشة في الحوار ويمكنها من رؤية المغنيات ويتسابق معها وذلك لصغر سنها** ؛ ويقول ﷺ لعائشة :"إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية ، وإذا كنت على غضبى، أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين لا ورب محمدا! وإذا كنت على غضبى قلت: لا ورب إبراهيم"[٤].

*وعن عائشة: أن النبى ﷺ كان جالساً فسمع ضوضاء الناس والصبيان، فإذا حبشية تزفن والناس حولها، فقال: يا عائشة! تعالى فانظري، فوضعت خدى على منكبيه فجعلت أنظر ما بين المنكبين إلى رأسه، فجعل يقول: يا عائشة! ما شبعت؟ فأقول: لا – لأنظر منزلتى عنده، فلقد رأيته يراوح بين قدميه: فطلع عمر، فتفرق الناس عنها والصبيان ، وقال النبى ﷺ: رأيت شياطين الإنس والجن فروا من عمر، فرجعت"[٥] .

---

[١] أخرجه البخارى فى (التوحيد ، باب قول النبى الماهر بالقرآن مع السفرة /٧٩٥٤) ومسلم فى (الحيض ، باب الاضطجاع مع الحائض فى لحاف واحد/٣٠١).

[٢] عزاه فى كنز العمال (١٨٥٢٨) لابن عساكر فى تاريخه، وانظر تهذيب تاريخ دمشق ٣٢٥/١.

[٣] أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٦٧/٢٩ وضعفه.

[٤] أخرجه البخارى فى (النكاح، باب غيرة النساء /٥٢٢٨) ومسلم فى (فضائل الصحابة ، باب فى فضل عائشة /٢٤٣٩).

[٥] أخرجه الترمذى فى (المناقب ، باب مناقب عمر /٣٦٩١) والنسائى فى الكبرى (عشرة النساء، باب إباحة الرجل لزوجته النظر إلى اللعب) والبيهقى فى الكبرى ٣٠٩/٥.

*وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقال: "يا عائشة ! أتعرفين هذه؟ قالت: لا يا نبى الله ، فقال: هذه قينة بنى فلان، أتحبين أن تغنيك؟ قالت: نعم، فغنتها، فقالت: لقد نفخ الشيطان فى منخريها"(١).

*وكانت عائشة مع رسول الله ﷺ فى سفر فسابقته فسبقته ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقها ، فقال ﷺ:" هذه بتلك السبقة"(٢).

وفى هذا دليل واضح على ما كان عليه رسول الله ﷺ من كرم الأخلاق وحسن المعاشرة مع الزوجة وتطييب قلبها.

-ورغم أن الرسول يرفض أن يكذب المسلم إلا أنه أباح كذب الرجل على امرأته ليرضيها ويرفع معنوياتها لتحقيق السلام في الأسرة ؛ قال ﷺ : "كل الكذب يُكتب على ابن آدم، إلا ثلاثا: الرجل يكذب فى الحرب، فإن الحرب خدعة، والرجل يكذب المرأة فيرضيها، والرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما"(٣).

- وبين ﷺ أن السلام مع أهل البيت يتضمن عدم إدخال الرجال الغرباء واختلاطهم مع النساء حتى لا تحدث فتن زوجية ، قال ﷺ : "إن الله تعالى لا يقبل يوم القيامة من الصقور صرفاً ولا عدلاً، قيل: ما الصقور يا رسول الله؟ قال: "الذي يدخل على أهله الرجال"(٤).

- وكذلك وضح ﷺ أنه يجب ألا ينغمس الرجل في علاقات عاطفية حتى لا يشعل نار الغيرة عند زوجته ؛ قال ﷺ : "عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن آتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك منه محقا كان أو مبطلا فإن لم يفعل لم يرد علي الحوض"(٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٤٤٩/٣، والطبرانى فى الكبير ١٥٨/٧ قال الهيثمى فى المجمع (١٣٠/٨): رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أخرجه أبو داود فى (الجهاد ، باب فى السبق على الرجل /٢٥٧٨) وابن ماجه فى (النكاح ، باب حسن معاشرة النساء /١٩٧٩) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٤٥٤/٦ والطبرانى فى المعجم الكبير ١٦٥/٢٤ عن أسماء بنت يزيد.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٤٩٤/١٩، والبخارى في التاريخ الكبير ٣٠٤/٧. (الصقور: قال في القاموس كتنور وهو الديوث. ح).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٥٤/٤. (متنصلا: أي انتفى من ذنبه واعتذر إليه. النهاية (٦٧/٥). ب).

- ولتحقيق السلام العائلي فقد وضعت السنة للغيرة ضوابط، حتى لا تؤدى إلى القلق والتنافر، ومنها ألا يطرق الرجل زوجته فجأة حتى لا يقع صريع الأوهام ؛ فقال ﷺ :"إذا قدم أحدكم ليلا فلا يأتين أهله طروقا ، حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة"[١].

- وعن عبد الرحمن بن حرملة قال: لما نزل رسول الله ﷺ بالمعرس، أمر مناديا ينادى لا تطرقوا النساء، فتعجل رجلان، فكلاهما وجد مع امرأته رجلا، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال:"قد نهيتكم أن تطرقوا النساء"[٢].

- وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن رواحة قال: كنت فى غزاة فتعجلت فانتهيت إلى الباب، فإذا المصباح يتأجج، وإذا أنا بشيء أبيض، فاخترطت سيفى ثم حركتها، فانتبهت المرأة، فقالت: إليك إليك فلانة كانت عندى تمشطني، فأتيت النبى ﷺ فأخبرته، فنهى أن يطرق الرجل أهله ليلا[٣].

٣ - دور المرأة في تحقيق السلام مع زوجها :

إن السنة المباركة قد سنت من التشريعات والضوابط ما يجعل طاعة الزوجة للزوج هو عن طيب خاطر من كل امرأة تؤمن بالله ورسوله مما يمنع الاحتكاكات نتيجة تعارض الآراء ؛ قال ﷺ:"أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة"[٤].

- ويبين الرسول ﷺ مكانة المرأة التى تسارع إلى مرضاة زوجها، وإزالة الجفوة بينهما بدون تعنت أو كبرياء : قال ﷺ:"ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ! النبى فى الجنة، والشهيد فى الجنة، والصديق فى الجنة، والمولود فى الجنة، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر فى الله فى الجنة ، ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة ! الودود الولود والعوود، التى إذا ظلمت قالت: هذه يدى فى يدك لا أذوق غُمضا حتى ترضى"[٥].

---

[١] أخرجه مسلم فى (الإمارة ، باب كراهية الطروق لمن ورد من سفر ، رقم١٨٢ فى الباب) عن جابر ﷺ.

[٢] أخرجه عبد الرزاق فى المصنف ٤٩٥/٧، وابن أبى شيبة فى المصنف ٥٣٧/٦ — وقوله:"بالمعرس" التعريس: نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة، يقال منه: عرس يعرس تعريسا. ويقال فيه: أعرس، والمعرس: موضع التعريس، وبه سمى معرس ذى الحليفة، عرس به النبى ﷺ وصلى فيه الصبح ثم رحل. (النهاية ٢٠٦/٣).

[٣] أخرجه الحاكم فى المستدرك ٨٧/٤ وابن أبى شيبة ٥٣٧/٦ ، وله شواهد كثيرة.

[٤] **أخرجه الترمذى فى (الرضاع ، باب ماجاء فى حق الزوج /١١٦١) وابن ماجه فى (النكاح ، باب حق الزوج على المرأة /١٨٥٤) والحاكم فى المستدرك١٩١/٤عن أم سلمة - رضى الله عنها-.**

[٥] **أخرجه البيهقى فى الكبرى ٣٦١/٥ وفى الشعب ٦/ ٤١٨ عن ابن عباس - رضى الله عنهما ، والطبرانى فى الكبير ١٩/ ١٤٠ والأوسط ١١/٦ عن كعب بن عجرة**

- ويوضح الرسول ﷺ أن الشريعة لم تعرض المرأة لمشقة الجهاد وما فيه من مخاطر، ولكنها تأخذ أجر المجاهدين بطاعته وتوفية حقوقه : قال ﷺ:"إنما تكون الصنيعة إلى ذى دين أو حسب، وجهاد الضعفاء الحج، وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها، والتودد نصف الدين، وما عال امرؤ اقتصد، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وأبى الله أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون"[١].

- نهج زوجات الرسول ﷺ في رعاية الزوج لتحقيق الانسجام الجسدي والنفسي :

أ- دورها في طاعة زوجها لإزالة الصراعات الزوجية :

- حذر الرسول ﷺ المرأة من عدم قبول المولى عز وجل عبادتها، إذا تمادت فى عصيان زوجها وهجره حفاظا على تحقيق السلام والحب بينها وبين زوجها ؛ فقال ﷺ:" ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى الله حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو"[٢].

- وبين الرسول ﷺ مواصفات المرأة الصالحة ومكانتها وهى التى تطيع زوجها، وتحفظه فى غيبته بما يحقق السلام والأمن في الأسرة المسلمة ؛ فقال ﷺ:"إنه ليس من امرأة أطاعت وأدت حق زوجها، وتذكر حسنته، ولا تخونه فى نفسها وماله، إلا كان بينها وبين الشهداء درجة واحدة فى الجنة، فإن كان زوجها مؤمناً حسن الخلق، فهى زوجته فى الجنة، وإلا زوجها الله من الشهداء"[٣].

- وحدد الرسول ﷺ الدستور العام الذى يجب أن تدور فى إطاره طاعة الزوجة لزوجها، حتى يتحقق السلام داخل الأسرة ويحفظ الأمة من الاختلال الهيكلى فى المنظومة القيمية للمجتمعات الذى قد يعرضها للهلاك ؛ فقال ﷺ:"لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تأذن فى بيت زوجها إلا بإذنه، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحدا، ولا تخشن بصدره، ولا تعتزل فراشه، ولا تضربه، وإن كان هو أظلم منها فلتأته حتى ترضيه، فإن كان هو رضى عنها وقبل منها، فبها ونعمت، وقبل الله عذرها وأفلج حجتها ولا إثم عليها، وإن هو أبى يرضى عنها، فقد أبلغت عند الله عذرها"[٤].

---

[١] أخرجه البيهقى فى الشعب ٧٤/٢، وابن عبد البر فى التمهيد٢٠/٢١ عن على ﷺ.
[٢] أخرجه ابن خزيمة ٩٤٠ و ابن حبان ٥٣٣١ و ذكره المنذرى فى الترغيب و الترهيب ٢٨/٣، ٢٦١.
[٣] أخرجه الطبرانى فى الكبير ٢٤/ ١٦ عن ميمونة ـ رضى الله عنها ـ
[٤] أخرجه الطبرانى فى الكبير ٦٢/٢ عن معاذ بن جبل ﷺ.

- وقال ﷺ:"لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه غير رمضان ، ولا تأذن في بيته وهو شاهد إلا بإذنه، وما أنفقت من كسبه من غير أمره فإن نصف أجره له"(١).

ب- دورها في الرعاية الجسدية للزوج:

يتوافق هذا الدور مع مهارات المرأة وفطرتها مما يحقق توطيد أركان الحياة الزوجية على دعائم الحب والسلام ؛ فعن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يغتسل من الجنابة ثم يستدفئ بي قبل أن أغتسل (٢).

وعنها – رضي الله عنها - قالت: كان النبي ﷺ يُدني رأسه إلي وأنا حائض وهو مجاور-يعني معتكفا- فيضعه في حجري فأغسله وأرجله وأنا حائض (٣).

وعنها قالت: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جنبان ، وكنت أفلي رأس رسول الله ﷺ وهو معتكف في المسجد وأنا حائض، وكان يأمرني إذا كنت حائضا أن أتزر، ثم يباشرني(٤).

- ويبين لنا النهج الشريف كيف أوصى الرسول ﷺ ابنته برعاية زوجها وإكرامه ؛ فعن عبد الرحمن بن عثمان القرشي أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان قال: "يا بنية! أحسني إلى أبي عبد الله، فإنه أشبه أصحابي بي خلقا"(٥)

ج- دورها في الرعاية النفسية للزوج :

لا توجد قوانين حضارية مهما ارتقت ، تحقق للرجل تلك الرعاية النفسية التي يتلقاها الرجل المسلم من المرأة المسلمة وذلك بفضل التعاليم الإيمانية التي أرساها الرسول ﷺ وحققت الحب والسلام في أرجاء الأسرة.

- ونجد المنهاج التطبيقي لرعاية الزوج نفسيا في أسمى صوره في نهج زوجات الرسول ﷺ معه ؛ فقد ساندته السيدة خديجة رضي الله عنها في أول الدعوة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في (النكاح ، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوعا /٥١٩٢) ومسلم في (الزكاة ، ثبوت أجر المتصدق / ١٠٢٦)عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في (الطهارة / باب في الجنب يستدفئ بامرأته/٥٨٠) والترمذي في (أبواب الطهارة ، باب ٩١ رقم ١٢٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (الطهارة ، باب الحائض تتناول الشئ من المسجد ، رقم ٦٣٣) وابن أبي شيبة في المصنف ١/ ١٨٤.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١/ ٢٦٨، وأحمد ١٩١/٦.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٧٦/١، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨١/٩: رجاله ثقات.

مساندة معنوية ومادية إلى أقصى الحدود، وكانت ترقيه من العين قبل بعثة النبوة[١]؛ قال ﷺ فى حق السيدة خديجة:"ما أبدلنى الله خيرا منها، قد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء"[٢].

- **وكانت السيدة عائشة تسرى عن الرسول ﷺ فى أوقات غضبه أو حزنه ؛** فعن عائشة أنها رأت النبى ﷺ حزيناً، فقالت: يا رسول الله، وما الذى يحزنك؟ قال:"شيئا تخوفت على أمتى أن يعملوا بعدى بعمل قوم لوط"[٣].

- **وكانت أيضا تقف بجانبه أوقات الشدة والمرض، تخفف عنه بالدعاء والمشاركة الوجدانية معه؛** فقد كان ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها[٤].

- وعنها – رضي الله عنها - قالت: إن من نعم الله عليَّ، أن الله تبارك وتعالى أمات رسول الله ﷺ فى بيتي، وفى يومي، وبين سحرى ونحري، وأن الله جمع بين ريقى وريقه، دخل عليَّ عبد الرحمن بن أبى بكر ومعه سواك يستن به، فرأيت رسول الله ﷺ ولم ينظر إليه، فقلت: يا عبد الرحمن! السواك ناولنيه، فقضمه ثم ناولنيه، فمضغته حتى إذا لان ناولته النبى ﷺ فاستن به، فذهب يرفعه فلم تصل إليه يده، وشخص بصره وقال: "اللهم! ألحقنى بالرفيق الأعلى"[٥].

٤ - دور الأولاد في تحقيق السلام مع الوالدين :

إن الوالدين هما مصدر حياة الإنسان الدنيوية، ولذلك فقد جعل المولى سبحانه وتعالى أمر الإحسان إليهما بعد أمره المؤمنين بإفراده جل شأنه بالعبودية، وهذا يحقق كل معاني السلام مع الوالدين : بالتأدب معهما في الكلام والتواضع لهما ووجوب طاعتهما والدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما ،

---

(١) أم المؤمنين خديجة بنت خويلد المثل الأعلى لنساء العالمين – إبراهيم محمد حسن الجمل – دار الفضيلة.
(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٦/ ١١٨عن مسروق عن عائشة ، قال فى المجمع ٢٢٤/٩: إسناده حسن.
(٣) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف ٣٦٥/٧ ، عن عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضى الله عنها ، وعزاه فى كنز العمال ٤٧١/٥ للطبرانى.
(٤) أخرجه البخارى فى (فضائل القرآن ، باب فضائل المعوذات) ومسلم فى (السلام ، باب رقية المريض م٥١ فى الباب) عن عروة عن السيدة عائشة.
(٥) أخرجه بنحوه البخارى فى (المغازى ، باب مرض النبى ﷺ ، رقم ٤٤٤٩).

قـال تعـالى فـي كتابـه الكـريم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء ٢٣، ٢٤).

- ومن نبع تلك الوصية الإلهية المقدسة، فقد وضع الرسول ﷺ السنن الواجبة التى ترسي حق الوالدين فى برهما والعطف عليهما، حيث جعل الرسول ﷺعقوق الوالدين من أكبر الكبائر، التي توجب دخول النار وتحرم دخول الجنة ؛ قال ﷺ: "ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء[١].

- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِى ﷺ قَالَ: "الْكَبَائِرُ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ"[٢] .

- إن احترام الأبوين والحفاظ على هيبتهما هو واجب مقدس تفرضه الشريعة على كل المسلمين والمسلمات، وهو حق أصيل للأبوين، تقديرا لمكانتهما، ولما بذلوه من جهد فى تربية أبنائهما. ولذلك فإن نهج السنة الشريفة يجعل سب الوالدين سواء بطريق مباشر أو غير مباشر من أكبر الكبائر وتنزل عليه اللعنة ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ النَّبِى ﷺ :"مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ، مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ، مَلْعُونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنْ طَرِيقٍ، مَلْعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ، مَلْعُونٌ مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ" [٣].

* وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ، قَالَ: يَلْعَنُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَلْعَنُ أَبَاهُ وَيَلْعَنُ أُمَّهُ فَيَلْعَنُ أُمَّهُ" [٤].

---

(١) أخرجه النسائى فى الزكاة (باب ٨٦)، والإمام أحمد فى مسنده ٣٩٩/٤.

(٢) أخرجه صحيح البخارى كتاب تحريم الدم باب الإيمان والنذور (٦١٨٢)، باب الديات (٦٣٦٢)، باب استتابة المرتد (٦٤٠٩)، الترمذى تفسير القرآن (٢٩٤٧).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل كتاب بنى هاشم ١٧٧٩، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣٩٦/٤، وعبد الرزاق فى المصنف ٣٦٥/٧.

(٤) سنن أبو داود كتاب الأدب (٤٤٧٥)، سنن صحيح البخارى كتاب الأدب(٥٥١٦)، صحيح مسلم كتاب الإيمان (١٣٠)

- ويخبرنا الرسول ﷺ بأن الله عز وجل لعن من فوق عرشه الذى يضرب والديه حتى يستغيثا، وقد أمنت الملائكة على هذا الدعاء ؛ قال ﷺ:"أربعة لعنهم الله من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة: مضل المساكين - قال خالد: الذى يهوى بيده إلى المسكين فيقول: هلم أعطيك، فإذا جاءه قال: ليس معى شيء، والذى يقول للمكفوف: اتق البئر، اتق الدابة، وليس بين يديه شيء، والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها، والرجل يضرب الوالدين حتى يستغيثا[١].

- وأرشد النبي ﷺ أن من العباد الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يطهرهم ولا ينظر إليهم، الذى يتبرأ من والديه احتقارا لهما، وهذا ما أنبأنا به الرسول الأمين ﷺ ؛ فعن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: "من العباد عباد لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يطهرهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم، قالوا: من أولئك يا رسول الله؟ قال: المتبريء من والديه رغبة عنهما، والمتبرئ من ولده، ورجل أنعم عليه قوم فكفر نعمتهم"[٢].

- ومن دلائل عظمته ﷺ أنه أرشد إلى أن إدخال السرور على الوالدين سنة محمدية، حيث يضع لهما الرسول حقا شرعيا فى ضرورة إدخال السرور عليهما، فجعل إضحاك الوالدين يفضل الجهاد فى سبيل الله : فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا نظر الوالد إلى ولده فسره؛ كان للولد عتق نسمة " قيل: يا رسول الله، وإن نظر ثلثمائة وستين نظرة " قال: " الله أكبر "[٣].

- كما جعل الرسول ﷺ النظر إلى الوالدين نظرة رحمة من العبادات التى ترفع الدرجات: قال ﷺ: "ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله بكل نظرة حجة مبرورة، قالوا: وإن نظر كل يوم مائة مرة؟ قال: نعم، الله أكثر وأطيب"[٤].

---

[١] ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣/٢٤٠. يراجع فى السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢٦٦.
[٢] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٠ / ١٩٥ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٦ / ١٩٦.
[٣] أخرجه الطبرانى فى الكبير ١١ / ٢٣٩، والأوسط ٨ / ٢٨٣ ، الهيثمى فى مجمع الزوائد باب ما جاء فى الأولاد ٨ / ١٦٥ وقال: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وقال فيه لا يروى عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد وإسناده حسن فيه إبراهيم بن أعين وثقه ابن حبان وضعفه غيره.
[٤] أخرجه البيهقى فى الشعب ٦/ ١٨٦ عن ابن عباس – رضي الله عنهما -.

- وبين ﷺ أن فرح الوالدين وسرورهما لهما الأولوية على المبايعة على الهجرة :

أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبِ بْنِ عَرَبِى قَالَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِى ﷺ فَقَالَ: "إِنِّى جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَوَى يَبْكِيَانِ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا" [١].

- كما بين لنا الرسول ﷺ أن إدخال الحزن على الوالدين نوع من أنواع العقوق؛ قال ﷺ:"من أحزن والديه فقد عقهما"[٢] .

وبذلك حقق الرسول ﷺ للوالدين أسمى أنواع السلام؛ لأنه يقوم على سمو الأخلاق ونبل التعاملات ودفء المشاعر القلبية مع الأبناء .

---

[١] سنن النسائى كتاب البيعة ٤٠٩٣، وسنن أبى داود ٢١٦٦.

[٢] أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١٩٥/٣ عن جعفر بن محمد موقوفا عليه. وعزاه فى الكنز (٤٥٥٣٧) للخطيب فى الجامع عن على ﷺ.

ثالثًا : دور المؤمن في تحقيق السلام مع أهله وأقاربه

لقد بذل الرسول ﷺ جهدًا كبيرًا في إرساء معالم السلام في نفوس المؤمنين لتكون تلك المعالم سلوكًا عامًّا يمتد إلى الإنسانية جمعاء، ونرى خطوات الرسول في إرساء معاني سلام المسلم مع أهله وأقاربه فيما يلي :

- **دعا الرسول ﷺ إلى صلة الأرحام، لأنها تسبب الخير والبركات من الله ، فتحقق زيادة الرزق وطول العمر** ؛ قال ﷺ:"من سره أن يعظم الله رزقه، وأن يمد في أجله، فليصل رحمه"(١).

- و قال ﷺ:"إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجارا فتنموا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون" (٢).

- وقال ﷺ : "من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار"(٣).

- **وبين الرسول ﷺ أن رحمة ذوي الأرحام من علامات الإيمان** ؛ فقال ﷺ : "من لم يجل كبيرنا، ولم يرق لصغيرنا، ويرحم ذا الرحم منا، فلسنا منه وليس منا"(٤).

- **كما بين الرسول ﷺ أن التدرج في صلة الأرحام يجب أن يبدأ لدى المسلم من أصغر دائرة وهي أسرته ثم يتسع حتى يشمل جميع الأهل والأقارب** ؛ فقال ﷺ : "أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك حقا ورحما موصولة"(٥).

- و قال ﷺ: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر"(٦).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٦/٣

(٢) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن (٢٠٣٨) ومجمع الزوائد ١٥٢/٨، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٥) والألباني في الصحيحة ٨/٢، ٦٢٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٩/٦، والترمذي في السنن (٢٠١٣) والبيهقي في السنن ١٩٣/١٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٢٣/٨، والبغوى في شرح السنة ٧٤/١٣.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٨١/٨.

(٥) أخرجه أبو داود في السنن (٥١٤٠) وأحمد في مسنده ٢٢٦/٢، والحاكم في المستدرك ٦١١/٣، والطبراني في الكبير ٩٣/٨.

(٦) أخرجه الترمذى في السنن (١٩٧٩) وأحمد في مسنده ٣٧٤/٢، والحاكم في المستدرك ١٦١/٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٣/١.

- وبين الرسول ﷺ أن صلة الأرحام تتطلب العفو عنهم ، والإحسان إليهم رغم إساءتهم فهذه دلائل الصلة الحقيقية؛ حيث يجد الإنسان العون من الله؛ لأنه تخلق بأخلاق النبوة في العفو عمن ظلم وإعطاء من حرم وصلة من قطع ؛ فعن أبى هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلىَّ، قال: "إن كنت كما تقول فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك"(١).

- و قال ﷺ: "ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها"(٢).

- وعن عقبة بن عامر قال: لقيني النبي ﷺ فبدرته فأخذت بيده، أو بدرني، فأخذ بيدي، فقال: "يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ألا ومن أراد الله أن يمد في عمره، ويبسط له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه"(٣).

- و قال ﷺ: "أفضل الصدقة على ذي رحم كاشح"(٤).

- ووضح الرسول ﷺ أن صلة الأرحام تتطلب الدفاع عنهم في ضوء إعلاء كلمة الحق وليس الدفاع حمية وعصبية وأهواء حتى لا يرتكب إثما؛ قال ﷺ :"خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم"(٥).

- كما بين لنا الرسول الأمين ﷺ أن صلة الأرحام تتطلب بذل الأموال، لأن الإنفاق عليهم يمثل صدقة؛ قال ﷺ : "صدقة ذي الرحم على ذي الرحم صدقة وصلة"(٦).

---

(١) أخرجه المنذرى في الترغيب والترهيب ٣/ ٣٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٧، وأبو داود في السنن (١٦٩٧) والترمذى في السنن (١٩٠٨) وأحمد في مسنده ١/ ١٦٣، والبيهقي في السنن ٧/ ٢٧.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٧/ ٢٦٩، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ١٣.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن ٧/ ٢٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٠٦، وابن خزيمة في صحيحه (٢٣٨٦) والألباني في إرواء الغليل ٣/ ٤٠٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٣٤١ وأحمد في مسنده ٣/ ٤٠٢. (كاشح: الكاشح: العدو الذي يضمر عداوته ويطوي عليها كشحه: أي باطنه النهاية (١٧٥/٤) ب).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن (٥١٢٠) والطبراني في الصغير ٢/ ٩١، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ١٢٢.

(٦) أخرجه الترمذي في السنن (٦٥٨) وابن ماجه في السنن (١٨٤٤) وأحمد في مسنده ٤/ ٢١٤، والطبراني في الكبير ٦/ ٣٣٩.

وحذر الرسول ﷺ من شح النفس الذي يؤدي إلى البخل بالأموال وعدم إنفاقها على ذوي الأرحام مما يؤدي إلى قطع الصلة بهم ؛ قال ﷺ : "إياك والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا" [١].

- وقال ﷺ : "اليد العليا أفضل من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك"[٢].

- **ووضح** ﷺ **أنه يجب ألا يسود الحسد بين الأهل والأقارب نتيجة مميزات حصل عليها البعض بل كل النعم تستوجب الدعاء بالبركة**؛ قال ﷺ : "إذا رأي أحدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة فإن العين حق"[٣].

- **ودعا الرسول** ﷺ **إلى أن يكرم المسلم الأهل والجيران فيقدم لهم مما يأكل** ؛ قال ﷺ: "إذا طبخت قدرا فأكثر مرقها، فإنه أوسع للأهل والجيران"[٤].

- **وأرشد** ﷺ **أنه لا يجوز حلف الإنسان في قطيعة رحم** ؛ فقال ﷺ : "لا يمين عليك، ولا نذر في معصية الرب، وفي قطيعة الرحم، وفيما لا تملك"[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٩١/٢، وأبو داود في السنن (١٦١٨) والحاكم في المستدرك ٤١٥/١، والبيهقي في السنن ٢٤٣/١٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ٩٧/٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤٨٠/٢، والطبراني في الكبير ٢٣٠/١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢١٥/٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٨/٥، وابن ماجه في السنن (٣٥٠٩).

(٤) أخرجه البيهقي في السنن ١٨٨/٤، والهيثمي في موارد الظمآن (٢٠٤٢).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن (٣٢٧٢)، والبيهقي في السنن ٦٦/١٠، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٤٤٣).

رابعاً : دور المؤمن في تحقيق السلام مع الجيران

إن الجوار فى الإسلام يمتد ليشمل أبعاداً واسعة؛ لذلك فإن حرص الرسول ﷺ على حسن الجوار ومراعاة حقوق الجار، يعنى ترسيخ مبادئ السلام ويعنى العدالة الاجتماعية، ويعنى تحقيق أهداف الشريعة الغراء فى إقامة موازين الحق.

إن اهتمام الرسول بحقوق الجار يعنى تدريب الفرد على التعامل مع المجتمع الخارجى بفعالية وإيجابية، فالجار هو أول دائرة بعد الأسرة والأهل والأقارب، وتأكيد السلام مع الجار هو تأكيد على حماية الإنسان من الاغتراب داخل وطنه، فالجار هو أول من يُعطى مشاعر الأمن والتكافل الاجتماعى فى الأمة، إذا التزم المسلمون بتعاليم دينهم كما أُمروا بذلك، حيث لا يتمتع الجار المسلم فقط بتلك المعاملة السامية، بل هى حق لكل جار مع تفاوت أديانهم ودرجات قربهم[1].

ونعرض فيما يلى كيف يحقق المسلم السلام مع الجار كما رسمتها السنة الشريفة تنفيذاً للوحى الإلهى:

١- حسن الجوار:

- بيَّن النبي ﷺ الأهمية الشرعية لحسن الجوار، وكيف أن لها مكانتها وأهميتها عند الله، وكيف أنها تنزل صاحبها منازل الأبرار الأخيار. وأنه جلّ شأنه يحب هو ورسوله الذى يحسن الجوار: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قالَ:قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِه "[2].

*وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قالَ:" مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ "[3].

---

(١) المجتمع المتكافل فى الإسلام: د. عبد العزيز الخياط-دار السلام.، حقوق الجار- سلسلة الحقوق: الشيخ طه عبد الله العفيفى- مكتبة وهبة.

(٢) أخرجه الترمذى فى (البر والصلة ، باب ماجاء فى حق الجوار ، رقم ١٩٤٤)، وأحمد فى مسنده ١٦٨/٢، والحاكم فى المستدرك ١٠١/٢، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، وأخرجه الدارمى فى (السير ، باب فى حسن الصحابة ، ٢٤٣٧) عن ابن عباس. والحديث صححه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٣) متفق عليه أخرجه البخارى فى (الأدب ، باب الوصية بالجار/ ٦٠١٤ـ ٦٠١٥) ومسلم فى (البر والصلة ، باب الوصية بالجار / ٢٦٢٤) عن. السيدة عائشة وابن عمر - رضى الله عنهما.

- كما قرر النبي ﷺ أن الإحسان إلى الجار هو شرط من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر، ودليل على حسن الإسلام : فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ "[١].

*وعَنْه – رضي الله عنه - قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاس، وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاس، وَأَحِبَّ لِلنَّاس مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقِلَّ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلبَ "[٢].

- وبين الرسول ﷺ أن رأى الجيران له وزنه فى الحكم على درجة خيرية جارهم، حيث هم شهود على أعماله التى تترجم ما يجول فى قلبه من معانى ؛ فعن أبى هريرة ﷺ قال:جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:يا رسول الله! دلنى على عمل إذا عملت به دخلت الجنة! قال:"كن محسنا!" قال:كيف أعلم أنى محسن؟ قال:" سل جيرانك؟ فإن قالوا:إنك محسن، فإنك محسن؛ وإن قالوا:إنك مسيء، فأنت مسيء "[٣].

- كما بين ﷺ كيف أن حسن الجوار يساعد على الازدهار والنمو الاقتصادى مثل صلة الأرحام، سواء من ناحية البركة الإلهية أو من ناحية التعاون على إقامة المشروعات نتيجة الثقة بين الأفراد: فعن عائشة، أن النبى ﷺ قال:" صلة الرحم، وحُسن الخلق ، وحسن الجوار؛ يعمرن الديار ويزدن فى الأعمار"[٤].

- وحدد ﷺ أهمية حسن الجوار في إشاعة جو السلام؛ ولذلك فعلى المسلم أن يختار جيدا المنطقة التى سيسكن بها؛ لأنه سيترتب على ذلك سعادة المسلم أو قلقه من أذية الجار : عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السَّوْءِ فِى دَارِ الْمُقَامِ؛ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ عَنْكَ"[٥].

---

[١] أخرجه البخارى فى (الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره /٦٠١٨) ومسلم فى (الإيمان باب الحث على إكرام الجار / رقم ٧٥) عن أبى هريرة ﷺ.

[٢] أخرجه ابن ماجه فى السنن (٤٢١٧)، والترمذى فى الزهد (٢٣٠٥)، والبيهقى فى السنن ٣٣١/٦، ومالك فى الموطأ ٥١/١.

[٣] أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٣٧٨، وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والألبانى فى الصحيحة ٣١٧/٣.

[٤] أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان ٦ / ٢٢٦.

[٥] أخرجه النسائى فى المجتبى (كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من جار السوء) والحاكم وصححه فى المستدرك ٥٣٢/١، والبخارى فى الأدب المفرد (١١٧) وابن حبان فى صحيحه (١٩٥١) وابن أبى شيبة فى مصنفه ٢٢٠/٥ عن أبى هريرة ﷺ.

- **وحدد الرسول ﷺ آداب التعاملات مع الجار من حيث تبادل الهدايا أو إجابة الدعوات** ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّـه عَنْهَا قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِى جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِى ؟ قَالَ:" إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا "[١].

- **كما يرشدنا ﷺ إلى حق الجار فى الصبر عليه حتى ولو كان مشركا؛ لأن السماحة وكظم الغيظ من خلق الإيمان** ؛ فعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:" كنت بين شر جارين:بين أبى لهب، وعقبة بن أبى معيط، إن كان ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابى حتى إنهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذى فيطرحونه على بابى "[٢].

- **كما يرشدنا منهاج معلم البشرية ﷺ أن أذى الجار والإساءة إليه تستوجب لعنة الله وغضبه** ؛ فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِى ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ:" اذْهَبْ فَاصْبِرْ " فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ:" اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِى الطَّرِيق " فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِى الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ:فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ:ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّى شَيْئًا تَكْرَهُهُ" [٣].

- **كما يعلمنا الرسول الأمين ﷺ أن أساس الدين ليس إقامة العبادات فقط بل هو طريقة المعاملات، وأحق الناس بالمعاملة الحسنة هو الجار؛ لأنه أول واسطة فى العلاقات الاجتماعية، فإذا تدرب كل فرد مع أول دائرة خارج أسرته على المعاملة الحسنة، حققت المعاملات فى الأمة السلام الاجتماعى بين أبناء الأمة جميعهم** ؛ فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَجُلٌ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا؛ غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِى جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ:" هِىَ فِى النَّارِ " قَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا؛ وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِى جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ:" هِىَ فِى الْجَنَّةِ " [٤].

---

[١] أخرجه البخارى فى مواضع ، منها:(الأدب ، باب حق الجوار / ٦٠٢٠) عن السيدة عائشة.

[٢] أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١٣٤/١، والمناوى فى التيسير ٧٧/٥. (الفروث:الفرث، بوزن الفلس:السرجين ما دام فى الكرش، والجمع:فروث كفلوس. المختار [٣٨٩] ب).

[٣] أخرجه ابو داود فى (الأدب ، باب فى حق الجوار/٥١٥٣) نحو هذا الحديث عن أبى هريرة ـ ﷺ ، والطبرانى فى الكبير(٢٢/ ١٣٤ رقم ٣٥٦) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٧٠/٨) ورواه الطبرانى والبزار بنحو ، وفيه أبو عمر المنهى ، تفرد عنه شريك ، وبقية رجاله ثقات.هـ.

[٤] أخرجه أحمد (٤٤٠/٢) والبيهقى فى الشعب (٧٩/٧ رقم ٩٥٤٦) وابن حبان (٥٧٦٤) عن أبى هريرة. قال الهيثمى رواه البزار وأحمد ورجاله ثقات ١٦٩/٨. (بالأثوار من الأقط:الأثوار جمع ثور وهى قطعة من الأقط، وهو لبن جامد مستحجر ومنه الحديث (توضأوا مما مست النار ولو من ثور أقط) يريد غسل اليد والفم. النهاية [٢٢٨/١] ب. وتصدق أى تتصدق.

٢ - التكافل الاجتماعي مع الجار:

- تجعل السنة المباركة سعى الإنسان فى الحياة للوفاء بمتطلبات حياته وحياة أهله وتعطفاً على جاره من أسمى الغايات الإنسانية، وأرفعها مكانة عند الله وأجزلها ثوابا ، وهذا مالا يوجد إطلاقا في المدنية الحديثة؛ حيث الأنانية والحرص على المصالح الشخصية هما اللذان يحكمان العلاقات البشرية: فعن أبى هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: " من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره؛ بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها حلالا مكاثرا بـها مفاخرا؛ لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان "[١].

*وعن عقبة بن عامر، عن النبى ﷺ:" كم من جار يتعلق بجاره يوم القيامة يقول:يا رب هذا أغلق بابه دونى فمنع معروفه " [٢].

- ويدعو الرسول ﷺ النساء لأداء الواجبات نحو الجيران فى التكافل الاجتماعى..فالإسلام يدفع المرأة للتفاعل الإيجابى فى المجتمع لتحصل على مكانتها التى تنشدها، فليس من العدل التكلم عن أية مكانة للإنسان دون التكلم عن مدى ما يساهم به هذا الإنسان فى مجالات الحياة : فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِى ﷺ قَالَ:" يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ " [٣].

- ومن حق الجار على جاره أن يعاونه فى مرافق الحياة، فلا يبخل بالتعاون فى الخدمات الأساسية التى تتطلب تعاون الجار، وهو ما يشبه فى عصرنا الحالى تركيب إيريال التلفاز، أو مرور سلك التليفون بالاستعانة بحائط الجار أو منافذه على الشارع : فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه فى مسنده ١ / ٣٥٨، وابن أبى شيبة فى مصنفه ١٦/٧، والتبريزى في مشكاة المصابيح (٥٢٠٧)، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ١١٠/٣.

(٢) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ١/١، والديلمى فى مسند الفردوس (٤٩١٤).

(٣) أخرجه البخارى فىصحيحه كتاب الهبة، باب فضلها والتحريض عليها (٢٥٦٦)، ومسلم فى صحيحه كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بالقليل ولا تمتنع من القليل لاحتقاره (١٠٣٠)، وأحمد فى مسنده ٣٠٧/٢، والبيهقى فى السنن ٦٠/٦. (فرسن:الفرسن:عظم قليل اللحم، وهو خف البعير، كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة فيقال فرسن شاة، والذى للشاة هو الظلف. والنون زائدة، وقيل أصلية. النهاية [٤٢٩/٣] ب).

خَشَبَةُ فِي جِدَارِهِ؛ فَلَا يَمْنَعْهُ " فَلَمَّا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ طَأْطَئُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَالَ:مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ، وَاللَّهِ لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ" [١].

- ومن حق الجار على جاره أن يلقى جاره بوجه مبتسم وألا يشبع دون جاره، وتلك من القوانين الإسلامية التى لا تعرفها المجتمعات الغربية التى تعيش فى إطار الأنانية والمصلحة المادية : فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ " [٢].

- وقرر النبي ﷺ أن أسباب رفعة الأمة الإسلامية وعزتها بين الأمم ترجع إلى الوفاء بمتطلبات الإيمان ومنها التكافل مع الجار ومساندته فى أوقات شدته، فإذا حادت الأمة عن هذا المنهاج، ضرب عليها الله الذلة والمهانة بين الأمم ؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِى ﷺ:" مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ؛ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى " [٣].

- ويحدد الرسول ﷺ فى أحاديث جامعة شاملة حقوق الجار فى التكافل الاجتماعى وهى:عيادته فى مرضه-المشاركة فى تشييع جنازته-الاستجابة لمطلبه فى الاقتراض وقت الاحتياج-مساندته فى شدته-مشاركته فى أفراحه ومصائبه-لايرتفع صاحب البنيان على بناء جاره فيمنع عنه الشمس والهواء-لا يؤذيه بروائح الطعام التى يشتهيها وهو لا يطعمه منها : فعن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال:قلت:يا رسول الله ما حق جارى علىَّ قال:" حق الجار إن مرض عدته، وإن مات شيعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح، ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها"[٤].

---

[١] أخرجه الترمذى فى الأحكام، باب ما جاء فى الرجل يضع جاره خشبا (١٣٥٣) وقال أبو عيسى:حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، وبه يقول الشافعي، وروى عن بعض أهل العلم منهم مالك بن أنس قالوا له أن يمنع جاره أن يضع خشبه فى جداره، والقول الأول أصح، وأبو داود فى الأقضية، أبواب من القضاء (٣٦٣٤)، وأحمد فى مسنده ٢٤٠/٢، والبيهقى فى السنن ٦٨/٦.

[٢] أخرجه أحمد فى مسنده ٤٨٣/٣، والبيهقى فى السنن ٢٣٦/١٠، والهيثمى فى موارد الظمآن (٨٦٦، ١٤٥٠).

[٣] أخرجه أحمد فى مسنده ٢ /٣٣ .

[٤] أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٠١٤/١٩.

٣- السلام يعني أمن الجار على نفسه وماله وعرضه :

- يبين المنهاج النبوى الشريف أن من أساسيات الإيمان أن يأمن الجار على نفسه من شر جاره: فعن أبى هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، لَا وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ "، قَالُوا:وَمَنْ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ:" جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ "، قِيلَ:وَمَا بَوَائِقُهُ ؟، قَالَ:"شَرُّهُ "(١).

*عن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال:" ليس بمؤمن من لا يأمن جاره غوائله " (٢).

- كما يبين منهاج النبوة أن حرمات الجار من المال والعرض والنفس هى من أشد الحرمات، ترهيبا لكل من تسول له نفسه الاعتداء على تلك الحرمات، وذلك حتى يتحقق السلام والأمن لكل مواطن فى مسكنه: عن المِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:" مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا ؟ " قَالُوا:حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ:فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ:" لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِه" قَالَ:فَقَالَ:" مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ ؟ " قَالُوا:حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ:" لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ " (٣).

*وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" أَعْظَمُ الْغُلُولِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:ذِرَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ، تَجِدُونَ الرَّجُلَيْنِ جَارَيْنِ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي الدَّارِ، فَيَقْتَطِعُ أَحَدُهُمَا مِنْ حَظِّ صَاحِبِهِ ذِرَاعًا، فَإِذَا اقْتَطَعَهُ؛ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (٤).

- ويحقق النهج النبوى الشريف أعلى درجات الأمن للجار بما لا يمكن أن يصل إليه أى قانون عصرى، فهذا الأمن لا يتحقق عن طريق الشرطة التى قد تصل فى موعدها أو بعد فوات الأوان، بل يتحقق من استعداد الجار للدفاع عن جاره حتى الموت.. فهل يوجد قانون عصرى يضع قانونا كهذا القانون للإنسان فى تحقيق الأمان؟!

---

(١) أخرجه مسلم فى الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار (٧١)، وأحمد فى مسنده ٢٧٦/٣.
(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١٦٥/٤ وسكت عليه. وهناد فى الزهد ٢ / ٥٠٢.
(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٨/٦، والطبرانى فى الكبير ٦٠٥/٢٠، والبخارى فى الأدب المفرد (١٠٣).
(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ١٤٠/٤، ٢٠٢، والطبرانى فى الكبير ٣٤٦٣/٣.

*فعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال:" من قتل دون أهله ظلما فهو شهيد، ومن قتل دون ماله ظلما فهو شهيد، ومن قتل دون جاره ظلما فهو شهيد، ومن قتل فى ذات الله عز وجل فهو شهيد " (١).

- ويحذر الرسول ﷺ من انتهاك حقوق الجار؛ لأن عقوبة ذلك الانتهاك ليست بالأمر الهين؛ لأن قضايا النزاع بين الجيران هى من أول القضايا التى تعرض يوم القيامة على محكمة العدل الإلهية لأهمية تلك الحقوق فى الموازين الشرعية:

*فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قالَ:قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ جَارَانِ"(٢).

- ومن الأحاديث التي بين أيدينا يتبين لنا سبق النهج النبوى الشريف فى التنبؤ بالأحداث المستقبلية وهى قضية تكفير الناس بعضهم لبعض، وإعطاء المواطن لنفسه الحق فى قتل جاره بالباطل، بعدما يلقى عليه تهمة الشرك. ويحذر الرسول ﷺ من الخطر الشديد فى ذلك المنهج على الأمة؛ لأنه يعرضها للتفكك والانهيار:

فعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ:" أخوف ما أخاف على أمتى ثلاث:رجل قرأ كتاب الله تعالى حتى إذا رؤيت عليه بهجته وكان عليه رداء الإسلام أعاره الله إياها اخترط سيفه فضرب به جاره ورماه بالشرك، قيل:يا رسول الله! الرامى أحق به أو المرمي؟ قال:الرامي؛ ورجل آتاه الله سلطانا فقال:من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله، وكذب، ليس بخليفة أن يكون جنة دون الخالق؛ ورجل استخفته الأحاديث، كلما قطع أحدوثة حدث بأطول منها إن يدرك الدجال يتبعه"(٣).

- وأخيرا هناك الأحاديث الشريفة التى تحقق نوعا من الأمن النفسى للجار، إذا ابتلى بجار ليست له أخلاق إيمانية تحقق له الأمان الذى ينشده، وتلك الأحاديث تدعو إلى الصبر والاحتساب بما يحقق التوازنات النفسية المطلوبة ؛ فعن أبى عبد الرحمن الحبلي؛ قال شكا رجل إلى رسول الله ﷺ جاره، قال:" كف عنه أذاك، واصبر لأذاه، فكفى بالموت مفرقا " (٤).

---

(١) أخرجه الحارث فى زوائد الهيثمى ٢ / ٦٦٠.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ١٥١/٤، والطبرانى فى الكبير ٣٠٣/١٧، والهيثمى فى مجمع الزوائد، باب خصومة الجيران يوم القيامة ١٧٠/٨ وقال:رواه أحمد والطبرانى بنحوه وأحد إسنادى الطبرانى رجاله رجال أبى عشانة وهو ثقة.

(٣) أخرجه البزار فى مسنده ٧ / ٢٢٠، والهيثمى فى مجمع الزوائد، ٢٢٨/٥، وقال:رواه البزار وإسناده حسن، والسيوطى فى الدر المنثور ١٣١/٤.

(٤) أخرجه الحارث فى مسنده ٢ / ٨٥٤، والمناوى فى التيسير ٢٦/٥.

- ويبين النهج النبوى الشريف كيف أن الرجل الصالح ينتفع بعلمه وتقواه جيرانه، وتلك ميزات عظيمة يحصل عليها الجيران فى ظل شريعة الإسلام فقط، حيث تسمح لأنوار الإيمان أن تشع على جميع الجيران:

*فعن عمر قال:قال رسول الله ﷺ:" إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء "[١].

---

[١] أخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب ٣/٣٦٣، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/١٦٤.

خامساً: السلام مع الأصدقاء والمعارف من المسلمين

تعتبر تلك الدائرة من أوسع الدوائر التى يتعامل فيها الإنسان المسلم فى تعاملاته، حيث تشمل الأصدقاء و المعارف من الأهل والأقارب والجيران وزملاء المدرسة والمسجد والعمل والنادى والمجتمعات المهنية والثقافية..إلى غير ذلك من الأصدقاء على اختلاف أماكنهم وجنسياتهم، ودرجة قربهم. إن وضع قواعد تعامل المسلم مع عامة المسلمين، تعنى وضع ضوابط السلوك العام فى الدولة، وتعنى توضيح معالم الدستور الأساسى للأمة الإسلامية. فتلك دائرة متسعة الأبعاد، لا يحدها الحدود السياسية، فالمؤمنون أخوة مهما تباعدت ديارهم وأجسامهم. لذلك فإن الأحاديث الشريفة التى تخص تلك الدائرة، تعتبر من أغزر الأحاديث النبوية التى تتناول دوائر أخرى؛ لأن علاقة المسلم مع أخيه المسلم تعنى تدعيم أواصر بنيان الأمة وتعنى ازدهار الحضارة المعنوية والمادية فى تلك الأمة. وتعنى سيادة مبادئ السلام ، وتعنى حماية الأمة من كل التيارات المعادية ... إنها تعنى الكثير بلا شك، مما يعجز القلم عن تسجيله هنا، و نعرض فيما يلى كيف أرسى الرسول ﷺ قواعد الترابط فى المجتمعات بما يحقق السلام الاجتماعي في أسمى صوره، وبما تعجز عنه أعظم الميزانيات رفاهية وأكثر الدول ديموقراطية.

١ - السلام يتحقق بالأمن على النفس والمال والعرض :

إن واجب المسلم على المسلم أن يحفظه فى نفسه وماله وعرضه، فتلك من الحرمات الأساسية لجميع المواطنين فى الأمة الإسلامية؛ لأن الإسلام دين الأمن والسلام. وإذا كان من حق كل مواطن أن يعيش آمنا فى وطنه فى جميع قوانين العالم، فإن هذا الأمن يأخذ فى الشريعة أبعادا متعددة وأكثر عمقا، ولا يمكن أن توجد فى أى قانون آخر مهما تطورت الحضارات ومرت الأجيال والأزمان؛ لأن الحكومات تجعل حق المواطن فى الأمن من مهامها الأساسية، ولكن السنة المحمدية تجعل حق المواطن فى الأمن واجب مزدوج على كل من الحكومة والشعب معا، فكل مواطن عليه واجب تجاه جميع المواطنين، وتزداد أمانة ذلك الواجب بمدى قرب دائرة معارفه منه.

- يؤكد الرسول ﷺ فى أحاديث جامعة شاملة على حرمة الدماء والأموال والأعراض، حرمة تشبه كل الحرمات المقدسة لدى المسلمين وتعرض الإنسان للخروج عن أصول الدين، وذلك التحريم يشمل جميع المواطنين حفاظا على تحقيق السلام للمواطنين حتى يتفرغوا لأعمالهم مطمئنين، مما يساعد على ازدهار الحضارات ورقى الأوطان:

*فعَنْ أبِى هُرَيْرَةَ عَن النَّبِى ﷺ قالَ:" هَلْ تَدْرُونَ مَن المُفْلِسُ؟" قالوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لا دِرْهَمَ لهُ ولَا مَتَاعَ، قالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أمَّتِي: مَنْ يَأتِى يَوْمَ القِيَامَةِ بصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأتِى قدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذا، وَقذفَ هَذا، وَأكَلَ مَالَ هَذا؛ فيُقعَدُ فيَقتَصُّ هَذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فإنْ فنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قبْلَ أنْ يَقضِى مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا؛ أخِذ مِنْ خَطَايَاهُمْ فطرِحَتْ عَليْهِ، ثمَّ طرِحَ فِى النَّار" (١).

*وعن ابْن عَبَّاسٍ رَضِى اللَّه عَنْهمَا، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْر فقالَ:" يَا أيُّهَا النَّاسُ، أى يَوْمٍ هَذا؟" قالوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قالَ:" فأى بَلَدٍ هَذا؟" قالوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قالَ:" فأى شَهْرٍ هَذا؟" قالوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قالَ:" فإنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأمْوَالكُمْ، وَأعْرَاضَكُمْ؛ عَليْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذا، فِى بَلدِكُمْ هَذا، فِى شَهْرِكُمْ هَذا"، فأعَادَهَا مِرَارًا، ثمَّ رَفعَ رَأسَهُ فقالَ:" اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ" قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِى اللَّه عَنْهمَا: فوَالَّذِى نَفسِى بيَدِهِ إنَّهَا لوَصِيَّتُهُ إلى أمَّتِهِ، فليُبْلِغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لا تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ" (٢).

- وتضع السنة الشريفة قوانينا رادعة لصيانة حق المسلم فى الأمن على نفسه من القتل، وتلك القوانين تملك من الردع المعنوى على الضمير ما يؤدى إلى خفض نسبة جريمة القتل إلى أقصى مدى فى المجتمعات الإسلامية، ولا يلجأ إليها إلا

(١) أخرجه مسلم فى البر والصلة، باب تحريم الظلم (٢٥٨٦)، والترمذى فى صفة القيامة، باب ما جاء فى شأن الحساب والقصاص (٢٤٢٠) وأحمد فى مسنده ٣٠٣/٢، والبيهقى فى السنن ٩٣/٦، والبغوى فى شرح السنة ٣٦٠/١٤.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى (١٧٣٩) ومسلم فى صحيحه كتاب الحج، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (١٢١٨) وأحمد فى مسنده ٧٦/٤.

محترفوا الإجرام، البعيدون كل البعد عن منهج الإيمان ؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِى ﷺ قَالَ:" لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ" (١).

*وعن أَبِى هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِى أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِى يَدِهِ فَيَقَعُ فِى حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ" (٢).

*عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ، فَلَقِيَنِى أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَحْنَفُ؟ قَالَ: قُلْتُ: أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -يَعْنِى عَلِيًّا- قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا أَحْنَفُ، ارْجِعْ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِى النَّارِ" قَالَ: فَقُلْتُ -أَوْ قِيلَ-: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ:" إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ" (٣).

- ووصل إحكام السنة فى صيانة حق المسلم فى الأمن على نفسه من القتل أو الجرح أو الترويع أنها أصدرت من القوانين الوقائية ما تحافظ به على المسلمين حتى من القتل الخطأ أو من هلع النفس، فالإسلام بحق دين الأمان، لأنه شريعة خير الأنامﷺ : عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ فِى مَجْلِسٍ يَسُلُّونَ سَيْفًا يَتَعَاطَوْنَهُ بَيْنَهُمْ غَيْرَ مَغْمُودٍ، فَقَالَ:" أَلَمْ أَزْجُرْكُمْ عَنْ هَذَا؟ فَإِذَا سَلَّ أَحَدُكُمُ السَّيْفَ؛ فَلْيُغْمِدْهُ ثُمَّ لِيُعْطِهِ أَخَاهُ" (٤).

- وعَنْ أَبِى مُوسَى، عَنِ النَّبِى ﷺ قَالَ: "إِذَا مَرَرْتُمْ بِالسِّهَامِ فِى أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ فِى مَسَاجِدِهِمْ؛ فَأَمْسِكُوا بِالْأَنْصَالِ؛ لَا تَجْرَحُوا بِهَا أَحَدًا" (٥).

---

(١) أخرجه الترمذى فى الديات، باب ما جاء فى تشديد قتل المؤمن (١٣٩٥) والنسائى فى تحريم الدم، باب تعظيم الدم (٣٩٨٧)، وابن ماجه فى الديات، باب التغليظ فى قتل مسلم ظلما (٢٦١٩) والبيهقى فى السنن ٢٣/٨.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الفتن، باب قول النبى ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا (٧٠٢٢) ومسلم فى البر والصلة، باب النهى عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٢٦١٧) والبيهقى فى السنن ٣٢/٨، والبغوى فى شرح السنة ٢٦٥/١٠.

(٣) أخرجه مسلم فى الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما (٢٨٨٨) وأبو داود فى الفتن والملاحم، باب فى النهى عن القتال فى الفتنة (٤٢٦٨) والنسائى فى الفتن، باب تحريم القتل (٤١١٨)، وأحمد فى مسنده ٤١٠/٤.

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده ٣ / ٣٧٠، والحاكم فى المستدرك ٢٩٠/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه أحمد فى مسنده ٢٩٣/٤، وعبد الرزاق فى مصنفه (١٧٣٥).

- وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِى ﷺ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا" (١).

- ويحفظ الرسول ﷺ للمسلم حقه فى الأمن على نفسه وماله وعرضه، بترهيب كل من تسول له نفسه الوشاية بأخيه المسلم أو ترويعه، أو التسبب فى قتله بإلقاء التهم عليه من أجل الحصول على مطمع دنيوى من مأكل أو مشرب أو رضا سلطان، فيبين الرسول الأمين ﷺ العاقبة الوخيمة لهذا المسلك المشين ؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ:" يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ؛ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ" قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ:" مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ"(٢).

- وعن وَقَّاصِ بْنِ رَبِيعَةَ، أَنَّ الْمُسْتَوْرِدَ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ النَّبِى ﷺ قَالَ:" مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْلَةً" - وَقَالَ مَرَّةً:" أُكْلَةً -فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنِ اكْتَسَى بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ ثَوْبًا؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ مَقَامَ سُمْعَةٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سُمْعَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣).

و - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ؛ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ "(٤).

- ويواصل النبي ﷺ سن القوانين التى تكفل حق المواطن فى الأمن على نفسه، فتحميه من الأذية المادية أو المعنوية سواء فى حضوره أو غيبته، وفى هذا من

---

(١) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح (٥٠٠٤) وأحمد فى مسنده ٣٦٢/٥ والبيهقى فى السنن، باب المزاح لا ترد به الشهادة ما لم يخرج فى المزاح إلى عضه النسب أو عضه بحد ٢٤٩/١٠، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٨٣/٣، والبغوى فى شرح السنة ٢٦٤/١٠.

(٢) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب ما جاء فى تعظيم المؤمن (٤٨٨٠) والطبرانى فى الكبير ١٨٦/١١، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٣٩/٣، والبغوى فى شرح السنة ١٠٤/١٣.

(٣) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب فى الغيبة (٤٨٨١)، وأحمد فى مسنده ٢٢٩/٤، والتبريزى فى مشكاة المصابيح (٥٠٤٧) والألبانى فى الصحيحة (٩٣٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه فى الديات، باب التغليظ فى قتل مسلم ظلما (٢٦٢٠) والبيهقى فى السنن، باب تحريم القتل ٢٢/٨، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٩٤/٣.

الحقوق ما لا تملكه أية قوانين وضعية؛ لأنها لا تملك الرقابة على الضمير. ولكن السنة بشموخها تحفظ للمسلم أمنه حتى فى غيبته : فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" سِبَابُ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ، وَحُرْمَةُ مَالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ"[(١)].

- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِى ﷺ، فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ "[(٢)].

- وبين النبي ﷺ أن الإسلام يحفظ للمؤمن حقه فى أهم قضية يمكن أن يواجهها فى حياته وهى"رميه بالكفر" فجعلت هذا يشبه القتل.. ونلحظ من ذلك سبق السنة و شمولها فى تحقيق سلام الإنسان فى جميع المجالات على مر الزمان، حيث يشيع بين الحين والآخر قضية تكفير المسلمين بعضهم لبعض وهى قضية خطيرة تقوض أركان المجتمع إذا اتسع مداها : فعَنْ أَبِى قِلاَبَةَ، أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ -وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ -حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ؛ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَىْءٍ فِى الدُّنْيَا؛ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا؛ فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ؛ فَهُوَ كَقَتْلِهِ" [(٣)].

- ومن الإعجاز المحمدي ورعايته لتحقيق السلام الاجتماعي ، تلك الأحاديث التى تحرّم انتهاك الأعراض سواء الانتهاك القولى أو الفعلى. فكل قوانين السلام تحاول حماية الواقع المادى للإنسان، أما قوانين السنة الشريفة فهى تعلو على كل تلك القوانين، حيث تحمى الواقع المادى و الغيب المعنوى للإنسان، مما يحقق له أعلى درجات الأمان : فعن أبى جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: "من كف لسانه عن أعراض الناس؛ أقال الله عثرته يوم القيامة، ومن كف غضبه عنهم؛ وقاه الله عذابه يوم القيامة" [(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ١ / ٤٤٦، وأبو يعلى فى مسنده ٩ / ٥٥، وابن أبى شيبة فى مصنفه ٧ / ١٠٦.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٥١/٣، والبخارى فى الأدب المفرد (٧٣٢)، وابن حجر فى فتح البارى ٤٧٠/١٠.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن (٦٠٤٧) ومسلم فى الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وإن من قتل نفسه بشيء عذب به فى النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة (١١٠)، وأحمد فى مسنده ٣٣/٤، والبيهقى فى السنن ٢٣/٨، والطبرانى فى الكبير ٦٥/٢.

(٤) أخرجه أحمد فى الزهد ١ / ٣٥، وابن المبارك فى الزهد ١ / ٢٣٥ .

- وعن عليّ ﷺ قال: القائل الفاحشة والذى يسمع لها فى الإثم سواء[١].

- وعَنْ أبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: عِرْضُهُ، وَمَالُهُ، وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ"[٢].

- **وعلم النبي ﷺ البشرية أن حق المواطن فى الحفاظ على ماله بما يعتبر سياجا منيعا يشكل قوة ردع رهيبة لكل من تسول له نفسه الاستيلاء على أموال الغير أو حقوقه :** فعَنْ عَمْرِو بْنِ يَثْرِبِى قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقَالَ:" أَلَا وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ" فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ غَنَمَ ابْنِ عَمِّى أَجْتَزِرُ مِنْهَا شَاةً؟ فقَالَ:" إِنْ لَقِيتَهَا نَعْجَةً تَحْمِلُ شَفْرَةً وَأَزْنَادًا بِخَبْتِ الجَمِيشِ، فَلَا تَهِجْهَا" قَالَ: يَعْنِى خَبْتَ الجَمِيشِ: أَرْضًا بَيْنَ مَكَّةَ وَالجَارِ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ"[٣].

- وعن فضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى حَجَّةِ الوَدَاعِ:" أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الخَطَايَا وَالذُّنُوبَ"[٤].

- وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَى الظُّلْمِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: "ذِرَاعٌ مِنَ الأَرْضِ يَنْتَقِصُهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ؛ فَلَيْسَتْ حَصَاةٌ مِنَ الأَرْضِ أَخَذَهَا إِلَّا طُوِّقَهَا يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى قَعْرِ الأَرْضِ، وَلَا يَعْلَمُ قَعْرَهَا إِلَّا الذِى خَلَقَهَا"[٥].

ويبين النبي ﷺ ضرورة رد المظالم قبل الموت؛ لأن الحساب عنها عسير ؛ فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ: مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ شَيْءٍ؛ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ؛ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ؛ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ"[٦].

---

[١] أخرجه أبو يعلى فى مسنده ١ / ٤٢٠، الهيثمى فى مجمع الزوائد، ٩١/٨ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال حسان بن كريب وهو ثقة، والبخارى فى الأدب المفرد (٣٢٤).

[٢] أخرجه الترمذى فى البر والصلة، باب ما جاء فى شفقة المسلم على المسلم (١٩٢٧)، وأحمد فى مسنده ٤ / ١٦٨ .

[٣] أخرجه أحمد فى مسنده ٥/ ٧٢، والدارقطنى فى السنن ٣/ ٢٦، والألبانى فى إرواء الخليل ٥/ ٢٧٩.

[٤] أخرجه أحمد فى مسنده ٦/ ٢١، والحاكم فى المستدرك ١/ ١١ وقال: على شرط مسلم ولم يخرجاه، والهيثمى فى موارد الظمآن (٢٥)، والألبانى فى الصحيحة (٥٤٦).

[٥] أخرجه أحمد فى مسنده ٢٠٢/٤، والطبرانى فى الكبير (١٠٥١٦)، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ١٦/٣ وقال: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وإسناد أحمد حسن .

[٦] أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم والغصب، باب من كانت له مظلمة ثم الرجل فحللها له هل يبين مظلمته (٢٤٤٩) وأحمد فى مسنده ٢ / ٥٠٦ .

- ومن قوانين السلام التى لا يمكن أن تصل إليها القوانين الوضعية بأى حال من الأحوال : سلام الإنسان فى أن يحفظ نفسه من حسد الآخرين، نتيجة تطلع النفوس إلى النعم التى أنعم بها الله على بعض معارفهم من المسلمين، وذلك القانون لا يمكن أن يكفله للإنسان إلا قوانين سماوية تحرر النفوس من الأطماع الدنيوية بتطلعهم إلى ميزات ونعم أخروية : عَنْ أَبِى أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ، فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِى ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا، قَالَ:" مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ؟" قَالُوا: عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَالَ:" عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ؛ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ" ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيَغْسِلْ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ مَعْمَرٌ: عَنِ الزُّهْرِيِّ: وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ (1).

٢- السلام يتحقق بالتزاور الذي يعبر عن الحب الإيماني وتبادل الهدايا :

إن هذا القانون من القوانين التى تنفرد بها الشريعة الإسلامية، بل إنه قد يكون غريبا على المفاهيم الغربية، التى تؤمن بالمصالح الشخصية ، وهنا يظهر سمو مبادئ السنة الشريفة التى تجعل التزاور مصدر تواصل ومحبة بين المسلمين ؛ عن يَزِيدَ بْنِ أَبِى حَبِيبٍ، أَنَّ أَبَا سَالِمٍ الْجَيْشَانِى أَتَى أَبَا أُمَيَّةَ فِى مَنْزِلِهِ فَقَالَ: إِنِّى سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ فَلْيَأْتِهِ فِى مَنْزِلِهِ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"، وَقَدْ أَحْبَبْتُكَ فَجِئْتُكَ فِى مَنْزِلِكَ (2).

*وعن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ قال:" ألا أخبركم برجالكم فى الجنة؟" قلنا: بلى يا رسول الله، قال النبي:" ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبى فى الجنة،

---

(1) أخرجه ابن ماجه فى الطب، باب العين (٣٥٠٩) والنسائى فى السنن الكبرى (٧٦١٧)والحاكم فى المستدرك ٢١٥/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بذكر البركة، والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠٨/٥ .

(2) أخرجه أحمد فى مسنده ٤ / ١٣٠، والحاكم فى المستدرك ١٧١/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٤٢)، والهيثمى فى موارد الظمآن (٢٥١٤).

والصديق والشهيد فى الجنة، والمولود فى الجنة، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر لا يزوره إلا لله عز وجل"[١].

- ودعى الرسول ﷺ المؤمنين أن يتصافحوا ويتهادوا؛ لأن ذلك يشيع الحب والسلام ويذهب ما فى القلوب من بغض ؛ فعَنْ عَطاءِ بْنِ أبى مُسْلِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الخُرَاسَانِى قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" تَصَافَحُوا يَذْهَبُ الغِلُّ، وتَهَادَوْا تَحَابُّوا وتَذْهَبُ الشَّحْنَاءُ" [٢].

- وعن أبى هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِى ﷺ قالَ: تَهَادَوْا؛ فإنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، ولَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا ولَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ" [٣].

- ويوضح النبي ﷺ أنه يجب ألا يرجع المسلم فى الهدية التى أعطاها لأخيه المسلم نتيجة ما قد يطرأ بينهما من مشاحنات، فهذا ممنوع بأمر السنة الشريفة :
فعَنِ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِى ﷺ قالَ: " لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أنْ يُعْطِى عَطِيَّةً أوْ يَهَبَ هِبَةً فَيَرْجِعَ فِيهَا؛ إلَّا الوَالِدَ فِيمَا يُعْطِى وَلَدَهُ، وَمَثَلُ الَّذِى يُعْطِى العَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا؛ كَمَثَلِ الكَلْبِ يَأْكُلُ، فإذَا شَبِعَ قَاءَ، ثُمَّ عَادَ فِى قَيْئِهِ" [٤].

- ويقرر النبي ﷺ أن المنهج العام الذى يجب أن يحكم المسلمين هو الجود ومعالى الأخلاق، والبعد عن التدنى إلى الأمور التافهة التى لا تليق بجلال الشريعة الإسلامية :

---

[١] أخرجه الطبرانى فى الصغير ٤٧/١، وابن عساكر فى تاريخه ٥٠/٢، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٣٠٣/٤، والألبانى فى الصحيحة (٢٨٧) - (المصر: مصر مدينة معروفة. والمصر كل كورة يقسم فيها الفيء والصدقات قاله ابن فارس وهذه يجوز فيها التذكير فتصرف، والتأنيث فتمنع، والجمع أمصار. المصباح المنير [٧٨٩/٢] ب).

[٢] أخرجه مالك فى الموطأ كتاب الجامع، باب ما جاء فى المهاجرة (١٦٨٥) والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣ / ٢٩٢.

[٣] أخرجه أحمد فى مسنده ٤٠٥/٢، والترمذى فى الولاء والهبة، باب فى حث النبى ﷺ على التهادى (٢١٣٠) وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب من هذا الوجه، والزيلعى فى نصب الراية ١٢١/٤ - (وحر: هو بالتحريك: غشه ووساوسه، وقيل: الحقد والغيظ، وقيل: العداوة. وقيل: أشد الغضب. النهاية (١٦٠/٥) ب) - (فرسن: الفرسن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة فيقال: فرسن شاة والذى للشاة هو الظلف. والنون زائدة، وقيل أصلية. النهاية (٤٢٩/٣) ب).

[٤] أخرجه النسائى فى الهبة، باب ذكر الاختلاف على طاوس فى الراجع فى هبته (٣٦٩٢) وأبو داود فى البيوع، باب الرجوع فى الهبة (٣٥٣٩) وأحمد فى مسنده ٢٠٧/٢، والحاكم فى المستدرك ٤٦/٢، وأبو داود فى السنن (٣٥٣٩).

عن سهل بن سعد الساعدى قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله عز وجل يحب معالى الأمور، ويكره سفسافه" (١)

٣- السلام يتحقق بالتواضع وحسن الخلق :

من واجب الأصدقاء ألا يترفع أحدهم عن الآخر؛ لأن هذا ضد شريعة الإيمان التى تضع مواصفات معينة لعباد الرحمن ، منها التواضع وحسن الخلق فى قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان:٦٣) .

إن هذا الدستور القرآنى كان نهج الرسول الأمين، وهو ما دعا إليه كل المؤمنين .. لأن هذا يحقق السلام العام في الأمة :

- ويبين الرسول ﷺ أن حسن الخلق والتواضع وسهولة التعاملات مع الناس يحرم صاحبه على النيران : فعَن ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" حُرِّمَ عَلَى النَّارِ: كُلُّ هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ، قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ" (٢).

ويدعو النهج النبوى الشريف إلى التواضع وحسن الخلق ببيان أوامر الله فى ذلك ومكانته عند الله؛ فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ" (٣).

- كما يوضح النبي ﷺ أنه لا يحق لمسلم أن يتكبر على أخيه المسلم نتيجة الفارق فى المستوى الاجتماعى أو الفارق فى المظهر: فعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: ما من امرئ إلا وفى رأسه حكمة، والحكمة بيد ملك، فإن تواضع، قيل للملك: ارفع الحكمة، وإن أراد أن يرفع، قيل للملك: ضع الحكمة -أو حكمته" (٤).

- ويمنع المنهج النبوى الشريف من تبادل السباب مع الأصدقاء أو تبادل الاتهامات؛ لأن هذا يسبب الشحناء والبغضاء ؛ فعَن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط ٣ / ٢١٠، والحاكم فى المستدرك ١ / ١١٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسنادين جميعا ولم يخرجاه، والألبانى فى الصحيحة ١٦٩/٤.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده، وأبو يعلى فى مسنده ٣/ ٨٥٣، وابن حبان فى صحيحه ١/ ٣٤٦، والطبرانى فى الكبير (١٠/ ١٠٥٦٢).

(٣) أخرجه مسلم فى الجنة وصفة نعيمها، التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥)، وأبو داود فى الأدب، باب فى التواضع (٤٨٩٥)، وابن ماجه فى الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع (٤١٧٨)، والبيهقى فى السنن ١٠/ ٢٣٤.

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٢ / ٢١٨، والهيثمى فى مجمع الزوائد باب فى التواضع ٨٣/٨ وقال: رواه البزار وإسناده حسن (الطمر: الثوب الخلق. النهاية فى غريب الحديث (١٣٨/٣).

مَجْلِسٍ فِيهِ النَّبِى ﷺ قَالَ وَأَبِى سَمُرَةُ جَالِسٌ أَمَامِى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ لَيْسَا مِنَ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلَامًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"[1].

- وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أحب الكلام إلى الله: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وإن أبغض الكلام إلى الله عز وجل أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك"[2].

- ويؤكد النبي ﷺ أن من حسن التواضع مع الأصدقاء أن يقوم المسلم بخدمتهم فى السفر، وقد بينت السنة الشريفة المكانة الرفيعة لمن ينهج هذا النهج : فعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال:" سيد القوم فى السفر خادمهم، فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل إلا الشهادة" [3].

٤- السلام يتحقق بالرحمة والاحترام والمساندة :

إن تلك المبادئ تؤدى إلى تحضر الشعوب، فهى عنوان الرقى الإنسانى؛ حيث تشيع القلوب بالرحمة على الجميع، وتكن الاحترام لكل ذى مقام فى السن، بصرف النظر عن وضعه الاجتماعى ، وتتساند في مواقف الشدة بما يتوافق مع مبادئ الحق والعدل .. وهذا هو ما نفتقده فى عصرنا الحالى فى الغالبية العظمى من شعوب العالم، وهو ما جعل ذلك العالم كالبحر المائج، يأكل الكبير فيه الصغير، بدون شفقة أو رحمة، إذا كانت المصلحة المادية تقتضى ذلك.. وضاع فيه أيضا حق الكبير فى الاحترام، نتيجة انتشار مفاهيم الديموقراطية بدون ضوابط إيمانية، حيث ترفع شعار المساواة بين الجميع، بدون مراعاة للحقوق المعنوية، مما يهيئ المناخ لسيادة الغوغائية و الهمجية.

من أجل هذا اهتمت السنة الشريفة بترسيخ حقوق الرحمة والاحترام والمساندة لجميع المعارف والأصدقاء سواء منهم الشيوخ أو الأطفال، أو حتى المقاربين فى الأعمار، لشيوع التعامل الحضارى بين الشعوب الإسلامية.ونعرض فيما يلى قوانين السنة النبوية لإعلاء تلك المبادئ الإنسانية:

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ٨٩/٥، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٠٩/٣.

(٢) أخرجه النسائى فى السنن الكبرى (١٠٦٨٥)، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٢١/٢، والألبانى فى الصحيحة ٤٨٥/٣.

(٣) أخرجه ابن المبارك فى الزهد ١ / ١٥٩، والتبريزى فى مشكاة المصابيح (٣٩٢٥)، والخطيب البغدادى فى تاريخه ١٨٧/١٠، والعجلونى فى كشف الخفاء ١٨٧/١٠.

- يدعو الرسول ﷺ إلى الرحمة على الصغير واحترام الكبير حتى يحظى المسلم بشرف الانتماء إلى الإسلام ؛ فعن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال:" البركة مع أكابركم، فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منا" (١).

- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" أَرَانِى فِى الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَذَبَنِى رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِى كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ" (٢).

- ولا يقتصر الرسول ﷺ بدعوة المسلمين إلى رحمة خاصة بالأطفال، بل برحمة الناس جميعا، وخاصة الضعفاء منهم؛ لأن شيوع هذا فى الأمة يجلب الرحمة والنصر والتأييد من المولى عز وجل لتلك الأمة ؛ فعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ:" ابْغُونِى ضُعَفَاءَكُمْ؛ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ" (٣).

- ويشيع النبي ﷺ معانى الرحمة فى قلوب المؤمنين حتى يتحقق السلام الاجتماعى فى الأمة والتكافل الاجتماعى بما يحقق الأمن والرقى والتقدم للأمة فى جميع المجالات ؛ فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: " السَّاعِى عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ؛ كَالْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ، الصَّائِمِ النَّهَارَ" (٤).

- وهناك نوع من الرحمة يدعو إليها الرسول ﷺ تتعلق بالذوق العام وآداب التعاملات فى المجتمع المسلم، وذلك بالحفاظ على مشاعر المصلين فى المسجد فلا يخلع نعليه ويؤذى بهما أحدا، وتلك القاعدة التى وضعها الرسول ﷺ تفوق كل ما يقال فى عصرنا الحاضر وما يسمونه بقواعد"الإتيكيت" والفرق بينهما كما بين السماء

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٦٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ١١٣/١، والهيثمى فى مجمع الزوائد، باب الخير والبركة مع الأكابر ١٥/٨ وقال: رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، وفى إسناد البزار نعيم بن حماد وثقه جماعة، وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ، والألبانى فى الصحيحة (١٧٧٨).

(٢) أخرجه مسلم فى الزهد، باب رؤيا النبى ﷺ (٢٢٧١)، والتبريزى فى مشكاة المصابيح (٣٨٥).

(٣) أخرجه الترمذى فى الجهاد، باب ما جاء فى الاستفتاح بصعاليك المسلمين (١٧٠٢) و أبو داود فى الجهاد، باب فى الانتصار برذل الخيل والضعفة (٢٥٩٤)، وأحمد فى مسنده ١٩٨/٥، والنسائى فى الجهاد، باب الاستنصار بالضعيف (٣١٧٩) وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحة كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (٥٣٥٣)، ومسلم فى صحيحه كتاب الزهد، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٢٩٨٢)، والترمذى فى البر والصلة، باب ما جاء فى السعى على الأرملة واليتيم (١٩٦٩)، والنسائى فى الزكاة، باب فضل الساعى على الأرملة (٥٢٧٧)، وأحمد فى مسنده ٣٦١/٢.

والأرض فى الهدف والمضمون ؛ فعَنْ أبى هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَخَلَعَ نَعْلَيْهِ؛ فَلَا يُؤْذِ بِهِمَا أَحَدًا؛ لِيَجْعَلْهُمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَوْ لِيُصَلِّ فِيهِمَا" (١).

- كما يحفظ الرسول ﷺ حقوق المسلمين فى المجتمعات العامة بحفظ مشاعرهم المعنوية، فلا يحق لمسلم أن يجلس بين رجلين إلا بإذنهما، وألا يقيم أحدا من مجلسه ليجلس فيه، إلا إذا كان ذلك عن رضا من الشخص الجالس ؛ فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لَا يُجْلَسْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا" (٢).

- وعن مصعب بن شيبة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا انتهى أحدكم إلى المجلس، فإن وسع له فليجلس، وإلا فلينظر إلى أوسع يراه فليجلس فيه" (٣).

*وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ عَنْ مَقْعَدِهِ يَقْعُدُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا" (٤).

- ويؤكد النبي ﷺ على حق الإخوة الإيمانية فى النصرة على الأعداء، والمساندة فى الطوارئ والنصح والمشورة، أى التكافل الاجتماعى بكل صوره ؛ فقال ﷺ : "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يشتمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"(٥).

- ويبين الرسول ﷺ حق كل مسلم في أن يدافع عنه أخوه المسلم فى مواقف الشدة التى قد يتعرض لها كل إنسان خلال رحلة الحياة؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِى، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِى ﷺ قَالَ: " مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ" - أُرَاهُ قَالَ –

---

(١) أخرجه أبو داود فى الصلاة، باب المصلى إذا خلع نعليه أين يضعهما (٦٥٥) ، والبيهقى فى السنن، باب المصلى إذا خلع نعليه أين يضعهما ٢ / ٤٣٢، والطبرانى فى الصغير ٢ / ٨ –.

(٢) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب فى الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما (٤٨٤٤)، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٥١/٤.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٧١٩٧/٧، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ / ٥٩ وقال: رواه الطبرانى وإسناده حسن .

(٤) أخرجه مسلم فى السلام، ١١ باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذى سبق إليه (٢١٧٨)، وأحمد فى مسنده ٢ / ١٢٤ ، والبيهقى فى السنن ٢٣٢/٣، والألبانى فى الصحيحة (٢٢٨).

(٥) أخرجه مسلم فى البر والصلة (٣٢، ٥٨)، وأحمد فى مسنده ٣١١/٢، ٢٤/٥، ٢٥، والبيهقى فى السنن ٩٢/٦، ٩٤.

"بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ؛ حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ" [(١)].

- ويحذر الرسول ﷺ أن يساند المسلم قومه على الظلم؛ لأن هذا ضد مبادئ الحق، فإذا دخل المسلم فى معركة معيناً قومه على الظلم فقتل فمات فهو على الجاهلية؛ لأنه ضلّ عن طريق الحق؛ فعَنْ عَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ الشَّامِي، عَن امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا: فُسَيْلَةُ قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ النَّبِي ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ:" لَا، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ" [(٢)].

٥- السلام يتحقق بالعفو والتسامح :

إن منهاج السنة النبوية فى ارساء السلام ليبهر كل النفوس السامية التى تسعى بحق إلى الحقائق الغالية.. فأى قانون فى العالم يجعل من حق الإنسان أن يعفو عنه أخوه الإنسان عما ارتكب نحوه من خطأ؟! و أى قانون يجعل الإنسان الذى يرفض قبول اعتذار أخيه الإنسان يتعرض لغضب شديد من الرحمن ؟!.

- فنجد الرسول ﷺ يحذر من رفض أى إنسان اعتذار أخيه الإنسان، لأن هذا له عقاب إلهى شديد لتعارضه مع أهداف الإسلام الأساسية من كظم الغيظ و العفو، حيث قال الحق فى كتابه الكريم: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٤)

- وعن أبى هريرة ﷺ ، عن النبى ﷺ قال:" عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك منه، محقا كان أو مبطلا، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض" [(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة (٤٨٨٣)، وأحمد فى مسنده ٤٤١/٣، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ١٩٢/٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه فى الفتن، باب العصبية (٣٩٤٩)، والبيهقى فى السنن ٢٣٤/١٠، والبغوى فى شرح السنة ١٢٣/١٣.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٧٠٢٩/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و المنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٩٢/٣.

- و يبين النبي ﷺ كيف أن التشاحن يعود ضرره على الطرفين، حيث لا تفتح أبواب الجنة و الغفران لهما، و ذلك حفزاً للنفوس المؤمنة على سرعة الصفاء ؛ فعَنْ أبى هُرَيْرَةَ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ:" تُفْتَحُ أبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ إلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا"(١).

- و يبين ﷺ عقاب المخاصم لأخيه الذى يتمادى فى العداوة؛ لأن هذا يؤدى إلى تفكك الأمة و ضياع حقوق مواطنيها فى الأمن و السلام ؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِى ﷺ قالَ:" إنَّ أبْغَضَ الرِّجَالِ إلَى اللَّهِ: الألَدُّ الخَصِمُ " (٢).

- وعَنْ أبِى خِرَاشٍ السُّلَمِى، أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" مَنْ هَجَرَ أخَاهُ سَنَةً؛ فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ" (٣).

- وعَنْ أبِى هُرَيْرَةَ، أنَّ النَّبِى ﷺ قالَ:" لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ؛ فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ؛ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِى الأجْرِ، وَإنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ" (٤).

- وحذر الرسول ﷺ من الذين يفسدون العلاقات الطيبة بين المسلمين بنقل الأخبار المحرّفة و الوشاية بينهم، و يبين أن ذلك ليس من صفات المؤمنين ؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قالَ: إنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قالَ:" ألَا أنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِىَ النَّمِيمَةُ؛ القَالَةُ

---

(١) أخرجه مسلم فى البر والصلة، باب النهى عن الشحناء والتهاجر (٢٥٦٥)، والترمذى فى البر والصلة، باب ما جاء فى المتهاجرين (٢٠٢٤) وقال: حديث حسن صحيح، ومالك فى الموطأ كتاب الجامع، باب ما جاء فى المهاجرة (٩٠٨) وأبو داود فى الأدب، (٤٩١٦).

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه المظالم والغصب، باب قول الله تعالى وهو ألد الخصام (٢٤٥٧) ومسلم فى العلم، باب فى الألد الخصم (٢٦٦٨) والترمذى فى تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة (٢٩٧٦)، وأحمد فى مسنده ٥٥/٦، والنسائى فى آداب القضاة، باب الألد الخصم (٥٤٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم (٤٩١٥) وأحمد فى مسنده ٢٢٠/٤، والبخارى فى الأدب المفرد (٤٠٤) والحاكم فى المستدرك ١٦٣/٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

(٤) أخرجه أبو داود فى الأدب، باب فيمن يهجر أخاه المسلم (٤٩١٢)، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٥٦/٣، والتبريزى فى مشكاة المصابيح (٥٠٣٧).

بَيْنَ النَّاس"، وَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ:" إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا" [١].

- ويبين الرسول ﷺ أن الإصلاح بين المسلمين أرفع درجات العبادة و أرضاها لله و لرسوله؛ لأن التشاحن بين المواطنين يؤدى إلى انهيار الأمة و هلاكها ؛ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"أَلَا أُخْبِرُكُمْ** بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، **قَالَ:" إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ**، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ" [٢].

- وقد وضّح الرسول ﷺ المكانة الرفيعة لمن يعفو عمن ظلمه، أياً كان نوع هذا الظلم، لإرساء معالم حق أساس فى الشريعة، و هو حق العفو و التسامح ؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **أَنَّهُ** قَالَ:" أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ: أَنْ تَصِلَ مَنْ **قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ** مَنْ مَنَعَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ" [٣].

- و ضرب لنا الرسول ﷺ أروع الأمثلة بنفسه فى العفو و التسامح، ليكون قدوة للمؤمنين، و سبيلاً للمتقين فى الحفاظ على حقوق الإنسانية أجمعين ؛ فعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، قُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلًا، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَئِنْ كَانَ لَنَا يَوْمٌ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَنُرْبِيَنَّ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ قَالَ رَجُلٌ لَا يُعْرَفُ: لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:" أَمِنَ الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ؛ إِلا فُلَانًا وَفُلَانًا" نَاسًا سَمَّاهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" نَصْبِرُ وَلَا نُعَاقِبُ" [٤].

---

[١] أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة، باب تحريم النميمة (٢٦٠٦) وأحمد فى مسنده ١ / ٤٣٧، والطبرانى فى الكبير ٩٩/٩، والألبانى فى الصحيحة (٨٤٥)، والبخارى فى الأدب المفرد (٤٢٥).

[٢] أخرجه الترمذى فى البر والصلة، باب ٥٦ (٢٥٠٩) و قال أبو عيسى هذا حديث صحيح، وأبو داود **فى الأدب، باب فى إصلاح ذات البين (٤٩١٩)**، وأحمد فى مسنده ٦/ ٤٤٤، والبغوى فى **شرح السنة ٣/ ١١٦.**

[٣] **أخرجه أحمد فى مسنده ٤٣٨/٣، والطبرانى فى الكبير ٢٠ / ١٨٨.**

[٤] **أخرجه أحمد فى مسنده ١٣٥/٥، (والآيات ١٢٨ من سورة النحل)**

٦ - السلام يتحقق بإدخال السرور عليهم :

لا يمكن أن يوجد قانون فى العالم يهتم بالمشاعر القلبية مثل الشريعة الإسلامية، فهى تحافظ على كيان الإنسان قلبا وقالبا، مادة وروحا، وذلك حتى لا يتحقق لذلك الإنسان انفصام فى الشخصية، فيجد المتطلبات المادية متوافرة، ولكنه يعيش فى صحراء وجدانية قاحلة، لا يجد من يسعد قلبه ويؤنس روحه.

لذلك فإن هذا المبدأ لا يمكن أن يستهان به بأى حال من الأحوال، فهو يمثل حنو السنة النبوية على الإنسانية فى أمثل صورة تبين عظمة الشخصية المحمدية في ترسيخ المبادئ المثالية وهو ما نراه فيما يلي :

- وضحت السنة المباركة المكانة الرفيعة للمسلم إذا أدخل السرور على أخيه المسلم بكل الصور الممكنة ؛ فعن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال:" أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض: إدخال السرور على المسلم"[١].

- ودعا الرسول ﷺ المسلمين إلى المشاركة الوجدانية والفعلية مع أصدقائهم بما يحقق لهم السرور. وإذا لم يجد بعض المسلمين إمكانيات مادية فلا يبخلون ببذل الجهد المعنوى وإدخال السرور على القلوب ؛ فعَنْ أبى ذرٍّ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لَا يَحْقِرَنَّ أحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ، وَإنْ لمْ يَجِدْ؛ فَلْيَلْقَ أخَاهُ بوَجْهٍ طَلِيقٍ، وَإن اشْتَرَيْتَ لحْمًا أوْ طَبَخْتَ قِدْرًا؛ فَأكْثِرْ مَرَقَتَهُ، وَاغْرِفْ لِجَارِكَ مِنْهُ"[٢].

- وقد راعى النبي ﷺ أدق الخلجات المعنوية للمسلم، فنهى أن يتناجى اثنان دون الثالث لأن؛ هذا يؤذى مشاعره ويحزنه ؛ فعَنْ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّه عَنْه قال : قالَ النَّبِى ﷺ: " إذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ أجْلَ أنْ يُحْزِنَهُ" [٣].

---

[١] أخرجه الطبرانى فى الكبير ٤٥٣/١٢، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣٩٤/٣.والهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ / ١٩٣ وقال: رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو البجلى وثقه ابن حبان وضعفه غيره .

[٢] أخرجه الترمذى فى الأطعمة، باب ما جاء فى إكثار ماء المرقة (١٨٣٣) وأحمد فى مسنده ٥ / ١٥٥ .

[٣] أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الاستئذان، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث (٦٢٩٠) ومسلم فى صحيحه كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الإثنين دون الثالث بغير رضاه (٢١٨٤).

سادساً : دور المؤمن في تحقيق السلام مع الإنسانية بأسرها

إن الإسلام لا يعرف العنصرية بجميع أشكالها، ولا يعرف التحزب والتشيع، فهو دين الرحمة، وتشريع الحكيم الخبير الذى يوائم واقع الأمم والشعوب حتى قيام الساعة توافقاً مع عالمية الإسلام.

لذلك فالشرع يحتم على المسلمين التعامل بسلام مع جميع الأديان، طالما أن هؤلاء الناس لم يقاتلونا فى ديننا ولم يخرجونا من أرضنا. قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:٨).

ولذلك فقد حرص الرسول ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام للناس كافة حتى تتوطد أركان الأمة الإسلامية ولا تتعرض للصراعات الداخلية، فلن تحقق أمة استقرارها السياسى إذا لم تحقق الاستقرار الاجتماعى. وهذا ما حققه الرسول ﷺ وهو يشيد أركان أمة الإسلام على دعائم متينة من العدل والمساواة بين الأجناس، وأصبحت أحاديثه دستوراً ملزماً لمن جاء بعده، لا يحيد عن ذلك الدستور إلا من امتلأ قلبه بأطماع خاصة تدفعه دوافع الهوى وليس الحق.

إن السلام مع الناس كافة يعنى قدرة الأمة الإسلامية على الانفتاح على العالمية بخطى رشيدة وعقول مستنيرة بضوابط الإيمان ، وهذا ما نراه في نهج الرسول ﷺ فيما يلي :

١ - أهمية السلام والتحية في إشاعة السلام في الأمة :

- يبين الرسول ﷺ أن السلام اسم من أسماء الله تعالى يجب أن يسود بين الناس؛ لأنه تحية لأهل الإسلام وأمان لغير المسلمين في الدولة الإسلامية ؛ قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : "إن السلام اسم من أسماء الله تعالى فأفشوه بينكم" [(١)].

- وقال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إن السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض تحية لأهل ديننا وأمانا لأهل ذمتنا[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢٤/١٠، والصغير ٥٧/١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩٢/٨، والسيوطي في جمع الجوامع (٥٥٨٥ – ٥٥٨٨) والألباني في الصحيحة (١٨٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢٤/١٠، والسيوطي في الدر المنثور ١٨٩/٢، والعقيلي في الضعفاء ١٤١/١، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠١١٧).

- **ويوضح الرسول أن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام، ومن لم يفعل ذلك فهو أبخل الناس في نظر الرسول** ؛ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"(١).

- وقال رَسُول اللَّهِ ﷺ : "ما رأيت الذي هو أبخل منك إلا الذي يبخل بالسلام"(٢).

- **كما بين رسول السلام ﷺ أن إفشاء السلام نوع من النضج الروحي الذي يؤدي إلى الرقي المعنوي والمادي وإعلاء لشريعة الإسلام** ؛ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أفشوا السلام كي تعلوا"(٣).

- **وبين ﷺ أن من دلائل الإيمان الصدقة وبذل السلام للعالم والحكم بالعدل في كل الأحوال ، فينصف صاحب الحق حتى من نفسه** ؛ قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ثلاث من الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالم، والإنصاف من نفسك(٤).

- **وبين ﷺ أن سلام المؤمن ليس عملية روتينية ، ولكنه يجب أن يصحبه انشراح صدر يظهر على الوجه في انطلاقة يصحبها بسمة وإشراقة** : قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : "من الصدقة أن تسلم على الناس وأنت طلق الوجه"(٥).

- **وأرشد** ﷺ أنه **وإن كان بعض الناس يسيئون في رد السلام ويضمرون الشر، فيكفي المسلم أن يقول وعليكم** ؛ فعن أنس: أن يهوديًا سلم على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "أتدرون ما قال؟" قالوا: "سلم علينا"، قال: "لا إنما قال: "السام" السام: يعني الموت. ومنه حديث عائشة رضي الله عنها (أنها سمعت اليهود يقولون للنبي ﷺ : السام عليك يا أبا القاسم، فقالت: عليكم السام والذام واللعنة) ولهذا قال: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم، يعني الذي يقولونه لكم ردوه عليهم" (٦).

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٥١٩٧) والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٢٧٢/٣، والبغوي في شرح السنة ٢٦٣/٢١، والتبريزي في شكاة المصابيح (٤٦٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٠/٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٣٠/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧٢/٣، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٦٦٥).

(٣) **أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٤٢٦/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠/٨، والألباني في إرواء الغليل ٢٤١/٣.**

(٤) **أخرجه البيهقي في السنن ١٥٩/٩.**

(٥) **أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٠٥٣) عن الحسن مرسلاً.**

(٦) أخرجه **أحمد في مسنده ٢١٨/٣، والهيثمي في موارد الظمآن** (١٩٤١) وابن حجر في فتح الباري ٤٣/١١. **وقال الخطابي: عامة المحدثين يروون هذا الحديث، فقولوا: وعليكم، بإثبات واو العطف.** وكان **ابن عيينة يرويه بغير واو. وهو الصواب، لأنه إذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه** مردودا

- وأرشد النبي ﷺ أن إلقاء السلام على كل الأجناس واجب لتحقيق المحبة بين الناس جميعا ، بما يتفق ورسالة النبي محمد أنه مبعوث رحمة للعالمين ؛ فعن ابن عمر أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟! قال : فذكره، تطعم الطعام، وتقري السلام على من عرفت ومن لم تعرف[١].

- وعن أسامة بن زيد إن النبي ﷺ مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم[٢].

٢ - الأمن على النفس والمال والعرض من أهم عوامل تحقيق السلام :

- دعا الرسولﷺ إلى عدم الاعتداء على الآخرين لأن الإيمان يمنع ذلك لما فيه من شيوع الفوضى والاضطراب في الأمة ؛ قال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : "الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن"[٣].

- وبين الرسول ﷺ أن الأمانة والوفاء بالعهد من العوامل التي تحقق السلام ؛ فعن أنس قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"[٤].

- وحرم الرسول ﷺ نهب ممتلكات الغير وعدم الاعتداء بالقول أو الفعل لتحقيق الأمن لجميع الناس؛ فقال ﷺ:"المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب"[٥]

عليهم خاصة، وإذا أثبت الواو وقع الاشتراك معهم فيما قالوه؛ لأن الواو تجمع بين الشيئين. النهاية [٤٢٧/٢] ب) عليكم، أي تسامون دينكم، فإذا سلم عليكم رجل من أهل الكتاب فقولوا: وعليك.

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٩/٢، والبخاري في صحيحه (١٢)، ومسلم في صحيحه (٣٩)، وابن ماجه في السنن (٣٢٥٣)، وأبو داود في السنن (٥١٩٤)، والنسائي في السنن ١٠٧/٨.

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الاستئذان باب ما جاء في السلام على مجلس فيه المسلمون وغيرهم ٢٧٠٣ وقال حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في السنن (٢٧٦٩) وأحمد في مسنده ١٦٧/١ والحاكم في المستدرك ٣٥٢/٤، والطبراني في الكبير ٣١٩/١٩، والبغوي في شرح السنة ٤٥/١١ - (الفتك هو أن يأتي صاحبه وهوغافل فيشد عليه فيقتله أي إيمانه يمنعه عن الفتك ١٢ مجع).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٥٤/٣، ٢١٠، والطبراني في الكبير ٢٣٠/٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ١١/١١.

(٥) أخرجه الترمذي في السنن (٢٦٢٧) وابن ماجه في السنن (٢٩٣٤) وأحمد في مسنده ٣٧٩/٢، والحاكم في المستدرك ١١/١.

- وقال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : "أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك وأشرف الهجرة أن تهجر السيئات، وأشرف الجهاد أن تقتل ويعقر فرسك"[١].

- **وحدد الرسول ﷺ عظم جريمة سفك أي دم بغير حق حيث يكون زوال الدنيا جميعها أهون على الله من ذلك** ؛ فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "لزوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم يسفك بغير حق"[٢].

- **وبيَّن ﷺ** أن **من صفات المؤمن حسن الخلق والتعاون مع الجميع من منطلقات إنسانية بصرف النظر عن الدين أو الجنس أو اللون** ؛ فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إن المؤمن ليؤجر في إماطة الأذى عن الطريق، وفي هدايته السبيل، وفي تعبيره عن الأرتم، وفي منحه اللبن حتى إنه ليؤجر في السلعة تكون مصرورة في ثوبه فيلمسها فتخطيها يده"[٣].

٣- العدل دعامة أساسية لنشر السلام :

- **لقد دعا الرسول ﷺ إلى عدم الظلم لأي مخلوق، لأن الإسلام يتميز بوحدة التعامل مع جميع الأجناس، أما الإيمان فهو قلبي يجازي به الله إذا ترجم أعمالا صالحة** ؛ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "دعوة المظلوم مستجابة، وإن كانت من فاجر، ففجوره على نفسه[٤].

- **كما وضح النبي ﷺ أن الحكم مع الناس بالعدل من أساسيات الإيمان** ؛ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل! الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم"[٥].

---

[١] أخرجه أحمد في مسند الشاميين ٣٨٨/١، والطبراني في الصغير ٢٩/١.

[٢] أخرجه الترمذي في السنن (١٣٩٥) والنسائي في السنن ٨٢/٧، وابن ماجه في السنن (٢٦١٩) والبيهقي في السنن

[٣] أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٦١٨/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٤/٣ - (فإن كان محفوظا فلعله من قولهم رتمت الشيء كسرته - نهاية. ويكون معناه أن المؤمن يؤجر في الافصاح عن كلام الأرت الذي لا يفصح الكلام ولا يصححه ولا يبينه.انتهى.مصححه)

[٤] أخرجه أحمد في مسنده ٣٦٧/٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ١٨٨/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٢/١٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٧٥/١٠.

[٥] أخرجه أحمد في مسنده ٦٧/٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٦/١، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٧١١).

٤ - دعوة الرسول إلى مكارم الأخلاق لتحقيق السلام مع الإنسانية جمعاء :

- **من مبادئ السلام التي أرساها الرسول ﷺ للإنسانية بأسرها أنه لم يمنع الدعاء لليهود والنصارى** قال رَسُول اللَّهِ ﷺ : "إذا دعوتم لأحد من اليهود والنصارى فقولوا أكثر الله مالك وولدك"[١].

- وعن أبي موسى قال: "كانت اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول: يرحمكم الله، وكان يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم"[٢].

- **وضرب الرسول ﷺ مثلاً عالياً في حسن الخلق مع جميع الأجناس بصرف النظر عما يضمرونه من عداوة نحوه** ؛فكان ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك[٣].

- وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إن الله عز وجل لم يبعثني معنتا، ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا"[٤].

- وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أيها الناس! إنما أنا رحمة مهداة"[٥].

- وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "بعثت بالحنفية السمحة"[٦].

- **كما وضح النبي ﷺ أن التعامل مع الناس بحكمة من أساسيات الإيمان لنشر السلام وإطفاء روح العداوة والبغضاء**؛ فعن عائشة قالت: جاء مخرمة بن نوفل فلما سمع رسول الله ﷺ صوته قال:"بئس أخو العشيرة"، فلما دخل أدناه وبش به حتى خرج، فلما خرج قلت: يا رسول الله قلت له وهو على الباب ما قلت، فلما دخل بشثت به حتى خرج؟ قال:أعهدتني فحاشا؟ إن شر الناس من يتقى شره[٧].

---

[١] أخرجه الطبراني في الكبير ٤٠٧/٢، والألباني في الصحيحة ٦٣١/٢.

[٢] أخرجه أبو داود في السنن (٥٠٣٨) والترمذي في السنن (٢٧٣٩) وأحمد في مسنده ٤٠٠/٤، والحاكم في المستدرك ٢٦٨/٤، والطبراني في الكبير ٤١١/١٢، والبغوي في شرح السنة ٣٠٨/١٢.

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل ١/ ٢٨٥.

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٧٨) والترمذي في السنن (٣٣١٨) وأحمد في مسنده ٣/ ٣٢٨، والبيهقي في السنن ٧/ ٣٨.

[٥] أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩١، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ١٨٩.

[٦] أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٦٦، والطبراني في الكبير ٨/ ١٧٠.

[٧] أخرجه البخاري في صحيحه ١٥/٨، ومسلم في البر والصلة (٧٣) وأبو داود في السنن (٤٧٩٢).

- وأوصى الرسول ﷺ بالإحسان إلى كل من جاورنا سواء كان مسلما أو غير مسلم وهذا لشيوع السلام في الأمة ، فقال ﷺ : "الجيران ثلاثة: فجار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم"[١].

- كما أرشد ﷺ أنه لا يمتنع المسلمون أن يأكلوا من آنية المشركين حتى في حالة الحرب ؛ فعن ابن عمر قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ أرض المشركين، فلا نمتنع أن نأكل من آنيتهم ونشرب في أسقيتهم[٢].

٥ - دعوة الرسول ﷺ إلى السلام والحب مع جميع الأجناس :

- علم الرسول ﷺ البشرية جمعاء أصول السماحة والدبلوماسية الراقية في استقبال الشعوب ؛ فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إنه سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فرحبوا بهم وحيوهم وعلموهم"[٣].

- وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "يأتيكم رجال من قبل المشرق يتعلمون، فإذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرا"[٤].

- وصلى رسول ﷺ الله على النجاشي عند موته، وكل من مات في أرض بعيدة عنه ؛ فعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: بلغ رسول الله ﷺ موت النجاشي فقال لأصحابه: "إن أخاكم النجاشي قد مات، فمن أراد أن يصلي عليه فليصل عليه! فتوجه رسول الله ﷺ نحو الحبشة فكبر أربعا"[٥].

- وعن عمرو بن عبسة قال: صلى رسول الله ﷺ على السكون والسكاسك وعلى حولان العالية - وفي لفظ: الغالية - وعلى الملوك ملوك ردمان[٦].

---

[١] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٤/٨، وابن حجر في فتح الباري ٤٤٢/١٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٠٧/٥.

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ١٢٧.

[٣] أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب الوصاة بطلبة العلم رقم (٢٤٧) وقال في الزوائد: إسناده ضعيف.

[٤] أخرجه الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم رقم (٢٤٥١).

[٥] أخرجه النسائي في السنن ٤/ ٦٩، وأحمد في مسنده ٤/ ٣٦٠.

[٦] أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٢٣٥، والطبراني في الكبير ٢٠/ ٨٩.

وأوصى الرسول ﷺ بالأقباط خيراً عند فتح مصر ؛ فقال ﷺ : "إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط، فإن لهم ذمة ورحما"[١].

-وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "الله الله في قبط مصر! فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله".

٦ - تبادل الهدايا رمز لإفشاء السلام :

- **تبادل الرسول ﷺ الهدايا مع الملوك والرؤساء دليلا على دعوته للسلام مع الناس كافة ؛** فعن علي قال: أهدى كسرى لرسول الله ﷺ فقبل منه، وأهدى له قيصر فقبل منه، وأهدت له الملوك فقبل منهم[٢].

-وعن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[٣].

- وعن بريدة بن الحصيب أن النجاشي أهدى إلى النبي ﷺ خفين ساذجين أسودين، فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما[٤].

- وعن ابن عباس أن الحجاج بن علاط أهدى لرسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار، ودحية الكلبي أهدى له بغلته الشهباء[٥].

- وعن أنس قال: أهدى أكيدر دومة إلى رسول الله جبة فتعجب الناس من حسنها، فقال رسول الله ﷺ : لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٣، والطبراني في الكبير ١٩/ ٦١

(٢) رواه الترمذي كتاب السير باب ما جاء في قبول هدايا المشركين رقم (١٥٧٦) وقال حسن غريب.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٤٥) وأبو داود في السنن (٣٥٣٦) والترمذي في السنن (١٩٥٣) وأحمد في مسنده ٦/ ٩٠.

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن (٣٦٢٠) والبيهقي في السنن ١/ ٢٨٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١/ ١٦٢.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٢٢١.

(٦) أخرجه النسائي في السنن ٨/ ١٩٩، والحميدي في مسنده ٢/ ٥٠٦.

سابعاً : الرسول ﷺ والسلام العالمي

إن مبادئ الإسلام كلها تدعو إلى السلام، ولكنه ليس السلام النابع من الضعف والخوف من مواجهة الأعداء، بل هو السلام المستمد من قوة الحق والقدرة على كبح جماح المعتدين، ونصرة المظلومين. وهذا يؤدى إلى التعايش السلمى والحياد الإيجابى للأمة الإسلامية مع جميع شعوب الأرض كافة. والسنة الشريفة حافلة باهتمام الرسول ﷺ بهداية الإنسانية إلى الحق أكثر من اهتمامه بكسب الحرب ؛
فعن أبي هريرة قال: بعث النبي ﷺ عليا إلى اليمن يعقد له لواء فلما مضى قال: يا أبا رافع! الحقه ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه، فأتاه فأوصاه بأشياء فقال: يا علي! لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس[١].

- ويتعرض الإسلام بصفة عامة والرسول بصفة خاصة لهجوم شديد من أعدائه يحاول تشويه أهدافه السامية ٠ ويزداد الهجوم بالنسبة لشريعة الجهاد نبعا من الرهبة التي ترسبت في ذهن القيادات الأوروبية منذ بداية العصور الوسطى [٢] يقول روجيه جارودي في هذا الصدد :

إن الأوروبيين شوهوا معنى الجهاد ، وجعلوا منه كابوساً مخيفاً فالجهاد في عرفهم لا يعني إلا القتل المتعصب والحرب المدمرة ، وهذا ليس له إلا كلمة واحدة تدل عليه وهي الحرب ، أما الجهاد في الإسلام ، فهو لا يعني القتل والقتال في الدرجة ، إنما يعني الجهد الأكبر فهو جهاد النفس كما قال رسول الله ﷺ [٣]وهذا الحديث النبوي يعتبر درساً هاماً لكثير من الثوريين ، الذين يحاولون تغيير كل شيء ما عدا أنفسهم ، وحيث كان الصليبيون في القدس ، والأسبان - إبان مطاردة المسلمين - في الأندلس والأوروبيون - أثناء استعمار بلاد الهنود الحمر - بأمريكا ، يقومون بأعمال بشعة بدعوى فرض النصرانية، هم أول من ينقضها في كل التصرفات[٤]٠

---

[١] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٤٧٦.
[٢] لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى : نحو ثورة القرن الواحد والعشرين – الإسلام والقوى الدولية – د٠ حامد ربيع ، الناشر : دار الموقف العربي ٠
[٣] تاريخ بغداد (١٣/٥٢٣) ، كشف الخفاء (١/٤٢٤-٤٢٥).
[٤] روجيه جارودي ٠ كتاب (وعود الإسلام).

١- هل الإسلام دين قتال كما يردد أعداؤه المغرضون ؟

لقد رأينا فيما سبق كيف أرسى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ معاني السلام الرائعة بدءًا من سلام الإنسان مع نفسه، وامتدادًا لكل الدوائر التي يتعامل معها المسلم حتى يشمل السلام مع الإنسانية بأسرها بما يدحض الادعاء .. ولمزيد من البراهين ننقل رد المفكر الكبير عباس العقاد على هذا السؤال بحقائق فكرية ثابتة تتفق مع روح العصر ومنطلق الفكر السديد ؛ حيث يقول :

إن الإسلام لم ينجح لأنه دين قتال كما يردد أعداؤه المغرضون. ولكنه نجح لأنه دعوة لازمة يقوم بها داع موفق ، وليس بين أسباب نجاحه سبب واحد يصعب فهمه على هذا الاعتبار. إن محمدا ﷺ كان على اجتنابه العدوان يحسن من فنون الحرب ما لم يكن يحسنه المعتدون عليه ، وإنه لم يجتنب الهجوم والمبادأة بالقتال لعجز أو خوف مما يجهله ولا يجيده؛ ولكنه اجتنبه لأنه نظر إلى الحرب نظرته إلى ضرورة بغيضة يلجأ إليها ولا حيلة له في اجتنابها حيثما تيسرت له الحيلة الناجحة.

وقبل ذلك ينبغي أن نستحضر في الذهن بعض الحقائق التي تظهر لنا الاختلاف بين الدين الإسلامي والأديان الأخرى في مسألة القتال ، لنثبت أن للإسلام شأنا في اجتناب القوة كشأن كل دين ، وإنه ما كان لينتصر بالقوة لو لم يكن إلى جانب ذلك صالحا للانتصار، وأن الأديان الأخرى ما كانت لتحجم عن عمل أقدم عليه النبي ﷺ لو كانت دعوتها كدعوته، وكانت أسبابها كأسبابه.

فالحقيقة الأولى : أن مطعن القائلين بأن الإسلام دين قتال إنما يصدق – لو صدق – في بداءة عهد الإسلام كما أسلفنا ، يوم دان بهذا الدين كثير من العرب المشركين ، ولولاهم لما كان له جند ولا حمل في سبيله سلاح ..لكن الواقع أن الإسلام في بداءة عهده كان هو المعتدى عليه ولم يكن من قبله اعتداء على أحد ، وظل كذلك حتى بعد تلبية الدعوة المحمدية واجتماع القول حول النبي ﷺ ، فإنهم كانوا يقاتلون من قاتلهم ولا يزيدون على ذلك : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة:١٩٠). وكانوا يحاربون من لا يؤمن

عهده ولا يتقى شره بالحلف والمسالمة : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾ (التوبة:١٢).

وقد صبر المسلمون على المشركين حتى أمروا أن يقاتلوهم كافة كما يقاتلون المسلمين كافة ، فلم يكن لهم قط عدوان ولا إكراه .. وحروب النبي ﷺ - كما أسلفنا - كانت كلها حروب دفاع. ولم تكن منها حرب هجوم إلا على سبيل المبادرة بالدفاع بعد الإيقان من نكث العهد والإصرار على القتال ، وتستوي في ذلك حروبه مع قريش وحروبه مع اليهود أو مع الروم .. **ففي غزوة تبوك عاد الجيش الإسلامي أدراجه بعد أن أيقن بانصراف الروم عن القتال في تلك السنة** ، وكان قد سرى إلى النبي أنهم يعبئون جيوشهم على حدود البلاد العربية. فلما عدلوا عدل الجيش الإسلامي عن الغزوة على فرط ما تكلف من الجهد والنفقة في تجهيزه وسفره.

والحقيقة الثانية : أن الإسلام إنما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع. ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف " سلطة " تقف في طريقه وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للإصغاء إليه؛ لأن السلطة تزال بالسلطة، ولا غنى في اخضاعها عن القوة .. ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الإسلامية ، وإنما كانوا أصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة في الأبناء بعد الآباء ، وفي الأعقاب بعد الأسلاف ، وكل حجتهم التي يذودون بها عن تلك التقاليد أنهم وجدوا آباءهم عليها ، وأن زوالها يزيل ما لهم من سطوة الحكم والجاه.

وقصد النبي ﷺ بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها لأنهم أصحاب السلطة التي تأبى العقائد الجديدة ، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هي التي كانت تحول دون الدعوة المحمدية وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء ؛ لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كانت تمنع العوائق التي تصد الدعوة الإسلامية، فيمتنع القتال.

ومن التجارب التي دل عليها التاريخ الحديث كما دل عليها التاريخ القديم أن السلطة لا غنى عنها لإنجاز وعود المصلحين ودعاة الانقلاب .. ومن تلك التجارب تجربة فرنسا في القرن الماضي ، وتجربة روسيا في القرن الحاضر ، وتجربة

مصطفى كمال أتاتورك في تركيا ، وتجارب سائر الدعاة من أمثاله في سائر الدنيا .. فمحاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكرة بالقوة .. ولابد من التمييز بين العملين؛ لأنهما جد مختلفين.

والحقيقة الثالثة : أن الإسلام لم يحتكم إلى السيف قط إلا في الأحوال التي أجمعت شرائع الإنسان على تحكيم السيف فيها .. فالدولة التي يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها ، ماذا تصنع إن لم تحتكم إلى السلاح؟ وهذا ما قضى به القرآن الكريم حيث جاء فيه : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:١٩٣).

والدولة التي يحمل أناس من أبنائها السلاح على أناس آخرين من أبنائها ، بماذا تفض الخلاف بينهم إن لم تفضه بقوة السلطان؟ وهذا ما قضى به القرآن الكريم أيضا حيث جاء فيه ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:٩).

وفي كلتا الحالتين يكون السلاح آخر الحيل ، وتكون نهاية الظلم والاعتداء نهاية الاعتماد على السلاح .. ثم يأتي الصلح والتوفيق أو يأتي التفاهم بالرضا والاختيار.

والحقيقة الرابعة : أن الأديان الكتابية بينها فروق موضعية لابد من ملاحظتها عند البحث في هذا الموضوع .. فاليهودية أو الإسرائيلية كانت كما يدل عليها اسمها أشبه بالعصبية المحصورة في أبناء إسرائيل منها بالدعوة العامة لجميع الناس .. فكان أبناؤهم يكرهون أن يشاركهم غيرهم فيها كما يكره أصحاب النسب الواحدة أن يشاركهم غيرهم فيه ، وكانوا من أجل هذا لا يحركون ألسنتهم – فضلا عن امتشاق الحسام – لتعميم الدين اليهودي وإدخال الأمم الأجنبية فيه ، ولا وجه إذن للمقارنة بين اليهودية والإسلام في هذا الاعتبار ..

أما المسيحية فهي قد عنيت " **أولا** " بالآداب والأخلاق ، ولم تعن مثل هذه العناية بالمعاملات ونظام الحكومة. وقد ظهرت " **ثانيا** " في بلاد للمعاملات والنظم الحكومية فيها قوانين تحميها كما يحميها الكهان المعززون بالسلطان ، فهي قد عدلت عن فرض المعاملات والدساتير لهذه الضرورة ، لا لأن المعاملات والدساتير ليست من شأن الدين ..وقد ظهرت " **ثالثا** " في وطن تحكمه دولة أجنبية ذات حول وطول ، وليس للوطن الذي ظهرت فيه طاقة بمصادمة تلك الدولة في ميدان القتال.

أما الإسلام فقد ظهر في وطن لا سيطرة للأجنبي عليه ، وكان ظهوره لإصلاح المعيشة وتقويم المعاملات وتقرير الأمن والنظام .. وإلا فلا معنى لظهوره بين العرب، ثم فيما وراء الحدود العربية. فإذا اختلفت نشأته ونشأة المسيحية ، فذلك اختلاف موضعي طبيعي لا مناص منه ولا اختيار لأحد من الخلق فيه. آية ذلك أن المسيحية صنعت صنع الإسلام حين قامت بين أهلها الدول والجيوش ، وحين استقلت شعوبها عن الأجانب المتغلبين .. وأربت حروب المذاهب فيما بين أبنائها على حروب صدر الإسلام مجتمعات.

والحقيقة الخامسة : أن الإسلام شرع الجهاد ، وجاء في القرآن الكريم : ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ (النساء:٨٤). وحدث فعلا أن المسلمين فتحوا بلادا غير بلاد العرب ، ولم يكن يتأتى لهم فتحها بغير السلاح. **إلا أن هذه الفتوحات تأخرت في الزمن ولم يتم شيء منها قبل استقرار الدولة للإسلام. فلا يمكن أن يقال : إنها كانت هي وسيلة الإسلام للظهور ، وقد ظهر الإسلام قبلها وتمكن في أرضه واجتمعت له جنود تؤمن به وتقدم على الموت في سبيله.**

ثم إن هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة ولم تفرضها الدعوة إلى دينها . فلو قدرنا أن الخليفة المسلم لم يكن صاحب دين ينشره ويدعو إليه ، لوجب في ذلك العهد أن يأمن على بلاده من الفوضى التي شاعت في أرض فارس وفي أرض الروم .. ووجب أن يكف الشر الذي يوشك أن ينقض عليه من كلتيهما ، وأن يمنع عدوى الفساد أن تسري منهما إلى حماه. هذا إلى أن الإسلام قد أجاز للأمم أن تبقى على دينها مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة ، وهو أهون ما يطلبه غالب من مغلوب.

والحقيقة السادسة : أن المقابلة بين ما كانت عليه شعوب العالم يومئذ قبل إسلامها وبعد إسلامها تدل على أن جانب الإسلام هو جانب الإقناع لمن أراد الإقناع .. فقد استقر السلام بين تلك الشعوب ولم يكن له قرار ، وانتظمت بينها العلاقات ولم يكن لها نظام .. واطمأن الناس على أرواحهم وأرزاقهم وأعراضهم ، وكانت جميعها مباحة لكل غاصب من ذوي الأمر والجاه .. فإذا قيل أن المدعوين إلى الإسلام لم يقتنعوا بفضله سابقين ، فلا ينفي هذا القول أنهم اقتنعوا به متأخرين .. وأن الإسلام

مقنع لمن يختار ويحسن الاختيار ، إلى جانب قدرته على إكراه من يركب رأسه ويقف في طريق الإصلاح ..

ومن نظر إلى الإقناع العقلي ، تساوي لديه من يستميلك إلى العقيدة بتوزيع الدواء والطعام. أو بتربية الأطفال عليها وهم لا يعقلون ، ومن يستميلك إليها بالخوف من الحاكم .. على فرض أن خوف الحاكم كان ذريعة من ذرائع نشر الإسلام. فالشاهد الذي تطعمه وتكسوه ليقول قولك في إحدى القضايا ، كالشاهد الذي ينظر إلى السوط في يديك فيقول ذلك القول .. كلاهما لا يأخذ بإقناع الدليل ولا بنفاذ الحجة ، ولا يدفع عن عقيدة دفع العارف البصير ..

وصفوة ما تقدم أن الإسلام لم يوجب القتال إلا حيث أوجبته جميع الشرائع وسوغته جميع الحقوق ، وأن الذين خاطبهم بالسيف قد خاطبتهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك .. إلا أن يحال بينها وبين اقتضائه ، أو تبطل عندها الحاجة إلى دعوة الغرباء إلى أديانها .. وإن الإسلام عقيدة ونظام. وهو من حيث النظام شأنه كشأن كل نظام في أخذ الناس بالطاعة ومنعهم أن يخرجوا عليه[1].

٢ - أهمية القوة في رأي علماء السياسة :

يقول د. على عبد القادر : " تعتبر القوة في مجال السياسة الدولية هدف ووسيلة. فالدولة تحاول دائما أن تستخدم كل ما تستطيع أن تسيطر عليه من عناصر القوة ، حتى تتمكن من تحقيق أغراضها وتأكيد مصالحها ، والاستزادة من المنعة والعزة بين الدول الأخرى. ولكن هذه القوة التي تستخدم كوسيلة لتحقيق المصالح والأغراض القومية ، كالأمن والاستقرار والتوسع والرخاء ونحو ذلك ، قد تصبح بدورها هدفا في حد ذاته تعمل الدولة على تحقيقه بشتى الطرق ، بعد أن كانت مجرد الأداة التي تصل الدولة عن طريقها إلى غاياتها وتثبت بها قيمها ، فتتحول بذلك القوة نفسها إلى (قيمة) تسعى الدولة إلى تحقيقها لذاتها. كما أن القوة قد تكون من جانب آخر تعبيرا عما يصطرع في ذاتيات المهيمنين على توجيه القرارات السياسية ، من عوامل نفسية مختلفة تنزع نحو القوة والعزة ، فتكون بذلك هدفا وليست مجرد وسيلة.

---

[1] عبقرية محمد . عباس محمود العقاد ص ٢٨ – ٣٣ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

وسواء كانت القوة وسيلة أو غاية ، أو كليهما معا ، فهي ميزة في يد الدولة التي تمتلكها ، بينما تقف كحجر عثرة في سبيل تحقيق دول أخرى لأهدافها ، كما أن العقبات الطبيعية واختلاف المستويات الثقافية والتكنولوجية بين الدول ، تعمل بالإيجاب أو السلب لهذا الجانب أو ذاك في المعاملات الدولية. ولعلنا بذلك نجد الكثير من الصحة في الرأي القائل بأن السياسة الدولية - مهما كانت مجالات نشاطها — لا تعدو أن تكون صراعا من أجل القوة. بل إن الدول الكبيرة يطلق عليها اصطلاح (القوى العظمى) مثلا للتمييز بينها وبين الدول الصغرى والحديثة النشأة. فالقوى العظمى هي القوى ذات المصالح العامة ، والتي تملك من القدرة ما يتيح لها أن تسعى لتحقيق هذه المصالح ، وأن تعمل لحمايتها في جميع المجالات. والقوى الصغرى هي التي لا تملك من القدرة غير ما يكفي لحماية مصالح محدودة. كما أن اصطلاح سياسة (القوة) يتردد كثيرا في الحديث عن العلاقات الدولية ، إما إشارة إلى أهداف هذه السياسة أو تلك ، وإما لوصف السياسة القائمة على العنف والتهديد به ، دون اعتبار لمعايير أخلاقية كالعدالة والحق والخيرية (اهـ) [١]

٣ - ماذا عن القوة في المفهوم الإسلامي؟

إن القوة في الإسلام تعني القوة المادية والقوة المعنوية ، أي أنها تعني قوة النفس في استخدام القوى المادية لانتصار مبادئ الحق. أي أن القوة في الإسلام هي وسيلة وليست غاية ، فالغاية التي تسعى إليها الشريعة هي : إزالة الحواجز المانعة بين الإنسانية والأنوار الإلهية ، سواء تم ذلك بالحوار الفكري ، أو بالنضال المسلح ، لدحر قوى الظلم والإلحاد التي تحول بين القلوب المتعطشة لمبادئ الحق والعدل ، وبين دعاة الحقيقة الذين يهدفون إلى إعلاء الإنسان ، ورفعه إلى مستوى الإنسانية الحقة من حيث حياته القلبية والروحية.

ومن هنا فالمقصود من القوة في الإسلام ليس لخوض القتال أساسا لتحقيق أطماع دنيوية ، بل المقصود منها هي إلقاء الرهبة في قلوب أعداء الحق،

---

[١] مقدمة في النظرية السياسية. د. على أحمد عبد القادر أستاذ النظرية السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية. جامعة القاهرة.

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (لأنفال: ٦٠) وبذلك لا يجترئ الأعداء على انتهاك حرمات الأمة الإسلامية واستنزاف خيراتها ، بل يكون للأمة حريتها في تقرير مصيرها ، وقدرتها على توجيه الأحداث العالمية ، بما يحقق نصرة الشعوب المستضعفة والمغلوبة على أمرها ، بما ينشر مبادئ الخير والسلام في العالم أجمع ، ويسمح للبشرية جمعاء أن تتعرف على منطلق الإيمان ، الذي يحقق لها الطمأنينة والأمان[١].

٤ - نهج الشريعة في أسباب الجهاد ودوافعه :

قاسى الرسول ﷺ كثيرا هو وصحبه من عنت الكفار بمكة ، ولاقى أصنافا من الاضطهاد تحفل بها كتب السيرة وتتقطع قلوب المؤمنين عليها حسرات. وكيف لا؟ وقوى الباطل والطغيان تهاجم الحق وتتألب عليه وتقف ضده ، ويعذبون الرسول وصحبه بأصناف شتى من العذاب ، بلغت حد القتل في أحيان كثيرة. وبلغت ذروة الاتحاد على الشر في حصار الكفار للسلمين في شعاب مكة ثلاث سنوات، ذاق فيها الرسول والمسلمون الأمرين وصبروا صبرا عظيما .. وهذا الصبر هو الجهاد المعنوي الذي محص الله به معادنهم ، ليكونوا أشداء على تحمل تبعات الرسالة وإقامة الأمة الإسلامية على دعائم متينة تحميها من تكالب أعداء الحق عليها. ثم هاجر المسلمون إلى الحبشة تحت وطأة العذاب ، وبعدها إلى المدينة التي كانت نواة تكوين الأمة الإسلامية . ولم يهدأ لقوى الباطل قرار في إثارة الفتن والقلاقل لإجهاض أية محاولة لارتفاع شأن تلك الأمة ورفع راية الحق عالية خفاقة[٢].

---

[١] إعلاء كلمة الحق أو الجهاد ، الأستاذ فتح الله كولن ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، دار النيل للطباعة والنشر ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م ،

[٢] كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب (اختلاف الفقهاء للطبري) عنى بنشره يوسف شاخت (ليدن ١٩٣٣م) – "الجهاد" للشيخ محمد أبو زهرة في كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية – القاهرة.

هنا كان الإذن الإلهي للمسلمين بالقتال ، حفظا لهم ، ورفعة لكلمة الله ، ومواجهة كل الفتن التي تحاول تقويض أمة الإسلام في مهدها ؛ فقال تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾(الحج:٣٩ ، ٤٠).

ومن نبع ذلك الدستور القرآن كان كان نهج الرسول ﷺ ودوافعه في الجهاد ، ويمكن إيجاز تلك الأسباب والدوافع فيما يلي :

أ - الجهاد لإعلاء كلمة الحق :

إن القتال الذي أمر به المولى عز وجل ليس اعتداء أو إكراه الناس على اعتناق العقيدة ، فلا إكراه في الدين ، ولا يقبل الإسلام مسلما مكرها على اعتناق الدين بالسيف ، لأن هذا الإنسان المكره لن يكون عنده شوق وفعالية لرفع كلمة الحق عالية في كل الميادين . . ولكن القتال الذي أمر به الله سبحانه وتعالى هو دفاع عن العقيدة حتى لا يفتن المؤمنون في دينهم ، ويكون المناخ العام في الدولة مهيئا لعبادة المولى بكل اليقين وكل الجوارح ، وتقام شريعة الله بحقها ، وهنا يكون الدين كله لله ، ولا يعيش المسلم في أودية شتى من المذاهب والفلسفات التي تزلزل عقيدته.

ويقول الأستاذ فتح الله كولن: إن حكم الجهاد – وفق القواعد الإسلامية – يختلف حسب الظروف المحيطة به. فإن كان اسم الله منسيا في موضع ما ، وأوامره ونواهيه يضرب بها عرض الحائط ، فالجهاد في ذلك الموضع فرض عين على كل مؤمن ، بل هو أفضل الفرائض وأوجبها ، لاسيما إن كان هذا المجتمع أسير ذلك المفهوم بؤسساته ومنظماته ، ولا يكون الجهاد فرض كفاية إلا إذا أدت المؤسسات والمنظمات في جبهة الإيمان وظيفتها وبصورة منتظمة منسقة.

وحديث رسول الله ﷺ : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابي

على الله " [١]. هذا الحديث يحدد الغاية التي يباح قتالهم إليها ، بحيث إذا فعلوها حرم قتالهم والمعنى : أني لم أؤمر بالقتال إلا إلى هذه الغاية ، وليس المراد أن أقاتل كل أحد إلى هذه الغاية ؛ لأن سيرته ﷺ أن من سالمه لم يقاتله. وثبت بالنص والإجماع أن أهل الكتاب ، والمجوس (مع أنهم ليسوا أهل كتاب) إذا أدوا الجزية حرم قتالهم.

وإذا قيل : إن الحرب لتأمين مصلحة انتشار الدعوة الإسلامية تعد في عرفنا الحالي تدخلا في شئون الغير، والتدخل اعتداء ، فإن من المعلوم أن التدخل مشروع للسلامة الاجتماعية وإحقاق الحق والقضاء على الظلم والاستبداد ، وهو مشروع دفاعا عن الإنسانية في حالة اضطهاد دولة للأقليات من رعاياها. وهكذا فإن الإسلام يفضل الوسائل الدبلوماسية وخاصة الدبلوماسية الثقافية بمفهوم العصر ، والدولة التي ترفض البعثات الدبلوماسية في هذا المجال وتحول بين الإنسان والإيمان بالله ، فهي دولة معتدية على حقوق الإنسان وترفع راية العداء وتستحق الجهاد لرفع راية الحق على الباطل[٢].

ب - الجهاد لمواجهة نقض العهود وإعلان العصيان :

إن الإسلام يرفض السلبية حفاظا على كرامة الأمة الإسلامية واستقرارها. فيكفي توافر ظروف الحرب من نقض العهود وإعلان العصيان ، أو التهديد بعدوان مسلح كما فعل كسرى ملك الفرس عندما حاول قتل الرسول ﷺ ، أو حينما نقضت صلح الحديبية ، أو حينما تجمع الروم في الشام لقتال المسلمين قبيل معركة اليرموك.

فلا يعقل والحالة هذه انتظار المسلمين انقضاض الفرس عليهم من الشرق ، والروم من الغرب بعد قيام الأدلة والقرائن في تبييت نية القتال ، والشروع في سلسلة الاعتداءات الفردية أو الجماعية ، أو احتلال موقع أو بلد أو ثغر إسلامي ، أو إعلان التمرد الذي ينذر بتفكك عرى الأمة ، وروح الإسلام تظهر في قول سيدنا على بن أبي طالب ﷺ : فوالله ما غزى قوم عقر دارهم إلا ذلوا .

فتقتضي الحكمة والسياسة الحربية والخطة العسكرية البدء بالقتال بعد إنذار حربي تتوافر مقتضياته ، وهذا ما فعله الرسول ﷺ وصحابته من بعده حيث؛ كانت بعض الحروب للأسباب الآتية :

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٢١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : .. به.

(٢) إعلاء كلمة الله أو الجهاد. مرجع سابق.

- نقض العهود كما حصل في العهد النبوي من يهود بني قينقاع في المدينة ومشركي قريش في نقض صلح الحديبية.

- رد عدوان فعلي كما في غزوتي أحد والخندق (الأحزاب).

- محاولة استرداد أموال المسلمين التي صادرها القريشيون كما حدث في بدر.

- تحرشات الفرس والروم وجمع جموعهم للاعتداء على القبائل العربية المسلمة المجاورة لحدودهم.

إلى آخر الحروب التي تندرج تحت نقض العهود وإعلان العصيان ، والتي تثبت أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف ، كما يدعي البعض ، بل انتشر بالإقناع الحر بسمو الرسالة الإسلامية وعدالة مبادئها ، أما القتال فكان تطورا طبيعيا اقتضته ظروف التحدي والشراسة من قوى الباطل ، سواء مشركي العرب أو اليهود أو الفرس أو الروم ، التي وقفت بعنف وضراوة أمام انتشار الدعوة الإسلامية ، يدفعها الخوف على مصالحها وأطماعها المادية. فكان الجهاد لمواجهة كل ما يزلزل أركان الأمة الإسلامية ، وليس الجهاد للبغي والعدوان ، بدليل ما قاله ابن تيمية : كانت سيرته ﷺ أن كل من هادنه من الكفار لم يقاتله ، سواء أكان من مشركي العرب أم من غيرهم[1].

وهذا نابع من دستور الحق: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٦١ ، ٦٢).

ج - الجهاد لمواجهة الردة :

إن مواجهة الردة لا تتنافى مع حرية العقيدة التي نادى بها الإسلام ، حيث لا إكراه في الدين. ولكن المقصود به جهاد المرتدين حفاظا على عقيدة المسلمين وتثبيت أركان الأمة الإسلامية. فحرية العقيدة مكفولة لكل الناس وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ ﴾ (البقرة:٢٥٦). ولكن الردة سلاح اتخذته قوى الكفر لزلزلة العقيدة في نفوس المسلمين ، وذلك منذ بداية الدعوة الإسلامية ، وذلك

---

[1] الطبري : كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء. عنى بنشره يوسف شاخت (ليدن ، ١٩٣٣)

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران:٧٢).

ومواجهة لهذا السلاح وحرصا على أن تكون كلمة الله هي العليا ، وألا تكون مجالا للتهاون أو الاستهزاء أو التلاعب الذي يؤدي إلى تشتيت نفوس المسلمين ، فقد فرض الله الجهاد للضرب بأيدي من حديد على المرتدين ، الذين يهدفون إلى إثارة الفوضى والقلاقل ، لتقويض دعائم الأمة ووقف انتشار تيار الدعوة. فالإسلام يترك المجال مفتوحا للإقناع والاقتناع ، حتى يدخل المسلم رحاب الإيمان طائعا مختارا ، قادرا على تحمل تبعات الدعوة من الدفاع عنها والجهاد من أجل إيصالها للآخرين. ولكن أن يكون مجال الإيمان ألعوبة يتلاعب بها المشركون والمنافقون أو أن يكون خنجرا يطعنون به الدعوة الإسلامية في الصميم بما يحقق انتصار الملحدين ، فهذا ما يرفضه الإسلام بشدة ، ويرفع راية الجهاد لمواجهة قوى الشرك والإلحاد ، التي تهدف إلى القضاء على الإيمان بكل الطرق المكتوبة[١].

٥ - المظاهر الحضارية للجهاد الإسلامي :

- لقد اتخذ الجهاد بظهور الإسلام مظهرا حضاريا جديدا ، فهو لم يصبح قتالا في ساحة الوغى لتحقيق مصالح دنيوية استعمارية ، بل الجهاد في الإسلام اتخذ معنى واسعا يمتد ليشمل كل جهد يبذل لإصلاح المجتمعات والأمم ، في أي ميدان من ميادين الحياة ، ولأية شريحة من شرائح المجتمع. وهو على سعته وشموله ، قد يكون كلمة واحدة ، أو سكوتا أو صمتا ، أو تبسما وطلاقة وجه ، أو امتعاضا ونفورا ، أو تركا لمجلس أو مشاركة فيه ، متضمنا الحب في الله ، والبغض لله في هذا السبيل[٢].

- ونجد الأحاديث الشريفة تعدد أنواع الجهاد ، لتعدد أهداف الأمة ، وسمو مقصدها كدوائر متداخلة واسعة سعة الأرض كلها. فما يؤدي في ميدان العائلة والمجتمع والأمة سواء بالجهد المادي أو المعنوي ، في سبيل إعلاء كلمة الحق ، وإرساء كل المبادئ الشريفة والمعاني السامية ، فهو من أنواع الجهاد التي يثاب

---

[١] العلاقات الدولية في الأصول الإسلامية " دراسة للقواعد المنظمة لسير القتال" د. عبد العزيز صقر. المشرف العام ورئيس الفريق د. نادية مصطفى المعهد العالي للفكر الإسلامي.

[٢] إعلاء كلمة الله أو الجهاد. فتح الله كولن. مرجع سابق.

المرء عليها ، وينال بها أجر المجاهدين الذين يجاهدون على ما جاء به الرسل لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

- ولاشك أن هذا المعنى للجهاد يبرهن على سبق الإسلام في عالميته وحضارته، فهو لا يحرم المؤمنين من ممارسة الجهاد ، حتى مع اتساع وسائل الاتصال في العالم ، توسعا هائلا يحول الدنيا إلى ما يشبه قرية عالمية. فالمطلوب الآن هو جهاد فكر وروح في المقام الأول ، حيث سيطرت الفلسفات المادية على عقول وأرواح الناس ، فأضفت عليهم مزيدا من العذاب ، يبعدهم عن منطق الحق وأنواره ، التي تغمر النفوس بالسكينة والاطمئنان.

- إن أنواع الجهاد التي يعددها ﷺ في أحاديثه الشريفة ، لتبرهن بالدليل القطعي على رقي الفكر الإسلامي في جميع الميادين. فالمطلوب من جميع المسلمين بذل الجهد لإحقاق الحق بين شعوب الإنسانية جمعاء ، حتى إذا تطلب الأمر القتال لردع قوى الشر بعد استنفاذ الوسائل الدبلوماسية ، فالقتال هنا يكون فريضة واجبة ؛ لأنه لا فائدة من سلام يؤدي إلى الخور والوهن ، وانتشار الظلم، والبعد عن مبادئ الحق الكريمة النبيلة التي تؤدي إلى انتشال البشرية من ظلمات الأطماع المادية[1].

- لم يغفل الإسلام في موطن الدفاع عن النفس والدين ، أن ينصح لأتباعه بعدم العدوان؛ لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام ولا شفاء حزازات الصدور. وهذا من مميزات الحكومة النبوية؛ حيث يبين الرسول ﷺ كيف أن الاستيلاء على أموال الناس يبطل الجهاد. وهذا يبين سمو الأهداف الإسلامية وقت الحروب ؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ نَبِى اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ كَذَا وَكَذَا، فَضَيَّقَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ، فَبَعَثَ نَبِى اللَّهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِى فِى النَّاسِ: أَنَّ مَنْ ضَيَّقَ مَنْزِلًا، أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا؛ فَلَا جِهَادَ لَهُ[2].

- إن الإسلام باعتبار أنه دين عام للناس كافة ، يعد العالم كله أمة واحدة ، غير معتد بما أحدثته البيئات والتقاسيم الجغرافية بينهم من الفروق في الألوان واللغات والأديان. لهذا السبب ولأن موحيه هو رب العالمين الذي وسعت رحمته كل شيء ،

---

[1] إعلاء كلمة الله أو الجهاد. الأستاذ فتح الله كولن • ترجمة إحسان قاسم الصالحي • دار النيل للطباعة والنشر ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م •ص٢٩.

[2] أخرجه أبو داود فى الجهاد، باب ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته (٢٦٢٩) وأحمد فى مسنده ٣/٤٤٠ .

أحيطت جميع آيات الجهاد فيه بأوامر مشددة في مراعاة العدل مع المحاربين ، وعدم الإسراف في سفك دمائهم ، والاعتداد بالظاهر من أعذارهم ، مما يعد مُثُلا عليا لم تصل المدنية بعد جهادها الطويل ألوفا من السنين إلى خيال منها ، ناهيك أنه يحرم على أهله أن يقتلوا خدم المحاربين الذين يمدونهم بالطعام والشراب ، ويعينونهم على حمل عتادهم، وخدمة دوابهم ، وهذا غير ما أمر من احترام حياة شيوخهم وولدانهم ورجال أديانهم، وعدم الإجهاز على جرحاهم ، وعدم تعقب مهزوميهم للفتك بهم من خلفهم[1]. فقال الله تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠).

وقال : ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ (أي ولا يحملنكم بغضكم لقوم) أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ ، (المائدة:٢) ، **بهذه القيود الرحيمة ، وفي هذه الحدود العادلة ، أذن الله للمسلمين أن ينبذوا لأعدائهم على سواء ، وأن يقابلوا قوتهم بمثلها حتى يحق الله الحق ، ويزهق الباطل ، ويظهر دين الله على جميع ما حاكته الأوهام من عقائد باطلة ، وخيالات عاطلة. ولما كان القرشيون قد صارحوا النبي ﷺ وأصحابه بالحرب ، ولو كان تركهم وشأنهم بعد شخوصه إلى المدينة لما تركوه وشأنه ، فقد اعتبرهم في حالة حرب ، وعاملهم على موجب هذا الاعتبار**[2].

- يعتبر الجهاد هو الأداة الأخيرة من أدوات التعامل مع العالم الخارجي ، في حالة استنفاذ الوسائل السلمية من خلال العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية ، وهي التي تختص بقواعد الدبلوماسية الإسلامية. فإذا استنفذت الوسائل السلمية قدراتها في تحقيق

---

(١) عرضنا في الباب الأول رحمة الرسول ﷺ في الحروب ومع الأسرى والأحاديث التي تدل على ذلك المنهاج التطبيقي.

(٢) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة – محمد فريد وجدي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ص١٦٦: ١٧١.

العزة والمنعة للأمة ، والحفاظ على مقدساتها وحرماتها ، فإن الجهاد يصبح ضرورة حتمية ، لمواجهة كل ما يسحق إرادتها عملا بقول القائل :

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا ... فالحرب أجدى على الدنيا من سلم

فالشر إن تلقه بالخير ضقت به ... ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

- وفي حالة إجماع الأمم على إبطال الحروب وحسم منازعاتها عن طريق التحكيم فإن حضارة الإسلام وعظمته تظهر في قوله تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنفال:٦١)

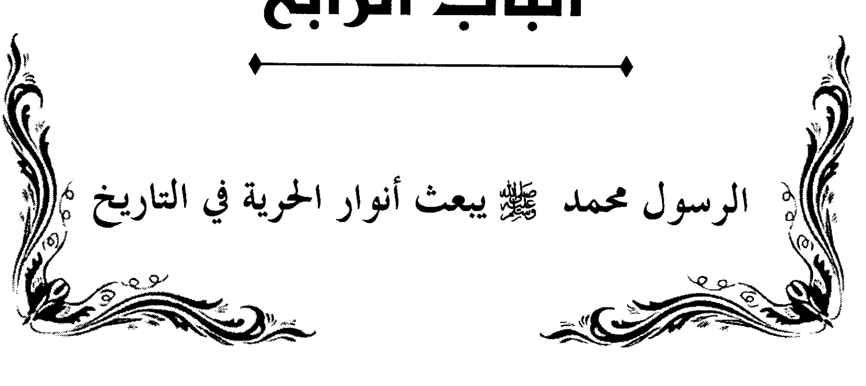
مما يدل على أن الحرب في الإسلام لم تشرع لذاتها؛ ولكن لأنها من عوامل الاجتماع التي لابد منها مادام الإنسان في عقليته ونفسيته المأثورتين عنه .. بل إن الإسلام إنما سمح بالحرب لإيجاد السلام ، لا لتأييد مبدأ التناصر بين الأنام. قال تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال:٣٩)

فالإسلام قد أشاد وأكثر من ذكر كلمة السلام بما لم يفعله مذهب اجتماعي قبله[١]. وهو ما شرحناه بتوسع خلال هذا الباب .

---

(١) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى : فقه الجهاد في الإسلام. فضيلة الشيخ حسن أيوب . دار السلام.

الباب الرابع



الرسول محمد ﷺ يبعث أنوار الحرية في التاريخ

إن الحرية هي أكسير الحياة وانطلاقة الروح، و هي الأمل الذي تسعى إليه شعوب الأرض كافة، وتتوق إليه كل نفس بشرية، حتى ولو لم تكن تعرف كيف السبيل إلى تحقيق ذلك ؛ فالحرية كلمة عميقة المغزى واسعة المضمون، تكاد الإنسانية لا تصل إلى تعريف محدد لها مثل السياسة تماماً، لأن كلا منهما يتعلقان بمعيشة الإنسان وخطواته في كل لحظة من لحظات الحياة. وما أصعب التوصل إلى تعاريف محددة لمسائل تمس كيان الفرد كله، وتشمل حياته بكليتها من فكر وروح وقلب ونفس ومعايشة اجتماعية، وإنتاج ومستقبل ومصير .. ولذلك فإن الإسلام حقق للإنسانية الحرية في أسمى معانيها ؛ فهو لا يريد بشراً أذلاء تطحنهم الأهواء والشهوات، وتكبلهم الأوهام والخرافات والتقاليد والعادات ؛ بل يريد الإسلام بشراً أعزاء أحرار أقوياء، يحثون الخطى إلى رب العباد، وهم متحررون من كل قيود العبودية للبشرية، يسيرون على درب الحياة بعزائم صلبة يستنشقون عبير الحرية من السماء ، فيعمرون الأرض بصفتهم خلفاء عن رب السماء، وليس بصفتهم عبيداً أذلاء[١].

منهج النبي ﷺ وسلم في تحقيق الحرية للشعوب الإسلامية

أرسى الرسول ﷺ وسلم دعائم الحرية في الأمة الإسلامية بجميع أبعادها بما يعتبر صرخة في أذن التاريخ أيقظت البشرية من سباتها العميق ، وجعلتهم يستنشقون عبير الحرية ، ويحطمون الأغلال التي تكبلهم ، ويرفضون بشدة كل أنواع الذل والاستعباد ، ويتجلى جهد النبي ﷺ وسلم في النقاط التالية:

---

[١] الحرية في الإسلام. د. علي عبد الواحد وافي – ط الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية – مصر .

أولا : الحرية السياسية

إن الحرية السياسية في منهج السنة الشريفة تتضمن حرية اختيار الحاكم وحرية الحوار بين الحاكم والرعية، وحرية النقد والتعبير عن الرأى .. فكل فرد في الأمة الإسلامية حاكم ومحكوم في نفس الوقت، وعليه أن يغرس شجرة الحرية ليجنى ثمارها ليس هو والمجتمع فقط بل الأمة بأسرها.

والأحاديث الشريفة ثرية بتوضيح أبعاد متعددة للحرية السياسية تعجز البشرية حالياً عن التوصل إلى مرادها أو مفهومها العميق ، ويعجز القلم عن تسجيل دورها في إصلاح الأمة والرقي بها إلى مدارج عالية من الحضارة المعنوية والمادية ، وتحقيق النضج والإيجابية والأمن والطمأنينة لكل الشعوب الإسلامية ، ولكننا سنتكتفي بتسجيل ومضات من نوع الحرية السياسية التي أشعل النبي محمد ﷺ نورها في ظلمات التاريخ وتتمثل فيما يلي :

١- حرية اختيار الحاكم [١] :

إن الدارس للتاريخ بإنصاف يعرف أن الإسلام هو أول من وضع أصول ما يسمونه بالديموقراطية الحديثة و في مقدمتها حرية اختيار الحاكم، حيث الحكم كان ينتقل بالوراثة، ولا يد للشعب في هذا الأمر، هذا علاوة على أن الحاكم كان يحاط بهالة من التقديس لا تجعل للمواطنين أى حقوق في حرية الانتخاب علاوة على المساءلة والحساب..وستظل البشرية تدين للإسلام بأنه أول من أيقظ الشعوب من ذل الاستعباد، وجعل لها الحرية في اختيار من يحكمها، ويرسى قواعد الشورى في هذا المجال.

ونعرض فيما يلى منهاج النبي ﷺ ومن بعده صحابته في إرساء حرية المواطنين في اختيار حاكمهم وذلك عن طريق الشورى ، وهو ما يسمى في العصر الحديث الانتخاب ؛ قال ﷺ **:** لو كنت مؤمرا على أمتي أحدا من غير مشورة منهم لأمرت عليهم ابن أم عبد[٢].

---

[١] ينظر: محمد الغزالي: حقوق الإنسان، عثمان عبد الكريم: معالم الثقافة الإسلامية، محمد أبو زهرة: المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام .

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٠٨، والترمذي في السنن (٣٨٠٨) وابن سعد في الطبقات ٣/ ١٠٩، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٢٢٢).

- وعن عمر أنه قال: لا خلافة إلا عن مشورة[1].

- وعن عمر قال : من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من غير مشورة من المسلمين ؛ فلا يحل لكم أن لا تقتلوه[2].

- وعن علي قال: قيل: يا رسول الله من نؤمر بعدك؟ قال: إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم[3].

- وقال ﷺ : إن أستخلف عليكم تعصون خليفتي فينزل عليكم العذاب، قالوا: ألا نستخلف أبا بكر؟ قال: إن تستخلفوه تجدوه ضعيفا في بدنه قويا في أمر الله، قالوا ألا نستخلف عمر؟ قال: إن تسخلفوه تجدوه قويا في بدنه قويا في أمر الله، قالوا: ألا نستخلف عليا؟ قال: إن تستخلفوه ولن تفعلوا ذلك يسلك بكم الطريق وتجدوه هاديا مهديا[4].

- ونرى أن منهج الرسول ﷺ في الخلافة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، هو الاختيار وليس الإجبار، على أن يتم ذلك في ضوء منهج الشورى الذي تدعو إليه الشريعة، بما يحقق للأمة الاتفاق المطلوب والمنهج المنشود ؛ فعن أبي وائل قال: قيل لعلي: ألا تستخلف؟ فقال: لا، إن رسول الله ﷺ لم يستخلف، فإن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم على خير كما جمعهم بعد نبيهم على خير[5].

- وعَنْ عَلِي ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الجَمَلِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْنَا عَهْدًا نَأْخُذُ بِهِ في الْإِمَارَةِ ؛ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ رَأَيْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا ، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَبِى بَكْرٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ ، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى عُمَرَ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ [6].

---

[1] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧١٥١) وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٣١.

[2] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٧٥٩)

[3] أخرجه أحمد في مسنده ١٠٩/١، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦١٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٥.

[4] أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٧٠، والترمذي في السنن (٣٨١٢) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٢٣٢).

[5] أخرجه البيهقي في السنن ٨/ ١٤٨.

[6] أخرجه أحمد فى مسنده ١١٤/١، والبيهقى فى السنن الكبرى ، باب الإمام يضمن والمعلم يغرم من صار مقتولا بتعزير الإمام وتأديب المعلم ٦ / ١٢٣ ، وابن أبى عاصم فى السنة ٢ / ٢٥٦، وقوله: بجرانه: أى قر قراره واستقام كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض. النهاية (٢٦٣/١) ب

- وعن الحسن عن علي قال: لقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد وما أنا بغائب ومابي مرض، فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي ﷺ لديننا[١].

أ - قواعد الانتخاب والمبايعة:

إن قواعد المبايعة في الإسلام تحدد ملامح الحكم والنظم التي تسود الدولة، سواء كانت نظما سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، لأن تلك النظم تنبع أساسا من العهد والولاء والبيعة لله ولرسوله، و هي تمثل الاستفتاء على دستور المسلمين الذي يحكم مسار حياتهم في جميع المجالات، بما يمثل منهاجا تطبيقيا لشريعة الله حيث يحكم تلك البيعة منهاج الله، ويقتضيها واقع الإنسان المؤمن، والاثنان مترابطان، والإخلال بأحدهما يؤدي إلى الإخلال بالآخر.. فطبيعة الوفاء بالبيعة والعهد مع الله ورسوله، تفرض الوفاء بذلك كله في الحياة الدنيا مع الناس في جميع الميادين. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ١٠).

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل: ٩١).

من هذا المنطلق فإن المبايعة التي تمت بين الرسول وبين المؤمنين سواء كانوا فرادى أو مجتمعين، وسواء كانوا رجالا أو نساء، فهي عهود ومواثيق تفرض على المؤمنين الالتزام بها وجدانيا وتطبيقيا في ميادين الحياة العملية[٢]، وهي تشمل بنود متعددة تمثل في مجموعها القواعد التي سيتم الانتخاب والمبايعة على أساسها

ب - برنامج المبايعة:

سبق النبي ﷺقواعد الانتخاب الحديثة في اختيار الحاكم، وذلك السبق يتمثل في عرض البرنامج الذي سيسير عليه قائد الأمةوهو يتمثل فيما يلي :

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٥٦٧.

(٢) العهد والبيعة وواقعنا المعاصر . د / عدنان علي رضا النحوي – ط دار النحوي للنشر والتوزيع .

- **المبايعة على عدم الشرك بالله أي التوحيد الخالص، والبعد عن كل الآفات التي تهدد بانهيار المجتمعات؛** قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١).

- **ولذلك سعى الرسول إلى تنفيذ الأمر الإلهي ، وكان هذا من أول شروط المبايعة ؛** فعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ وسلم قال : وحوله عصابة من أصحابه: تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه [١].

- وعن عبد **الله** بن عثمان بن خثيم أن محمد بن الأسود بن خلف أخبره أن أباه الأسود حدثه عند قرن عسقلة قال: رأيت النبي ﷺ يبايع الناس فجاء الرجال والنساء والصغار والكبار فبايعوه على الإسلام والشهادة قال عبد **الله** بن عثمان بن خثيم قلت وما الشهادة ؟ فأخبرني محمد بن الأسود قال: : الشهادة أن لا إله إلا **الله** وأن محمدا رسول **الله**[٢].

- **المبايعة على الإيمان بالله الذي يكشف الضر، ويجيب دعوة المضطر، ويرزق بعد الجدب والقحط.** قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام:١٧). **ونرى ذلك واضحا في في نهج الرسول ﷺ ؛ فعن أبي تميمة عن رجل من قومه أنه أتى رسول الله ﷺ وسلم - أو قال : شهدت**

[١] حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في المناقب، (٣٨٩٢).. به. وقوله: ببهتان: هو أفظع الكذب. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٥٣.

[٢] حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٣ / ٤١٥).. به، والحاكم في المستدرك (٣ / ٣٣٥) بإسناده، وصححه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم١٥٠٥.

رسول الله ﷺ وسلم وأتاه رجل - فقال: أنت رسول الله ﷺ وسلم - أو قال : أنت محمد ؟ - فقال : نعم ، قال: فإلام تدعو قال: ادع إلى ربك الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك والذي إن أضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك [1].

- المبايعة على النصح لكل مسلم، لأن ذلك النصح يحقق قواعد الشورى اللازمة لرقي الأمة ويشكل سياجا منيعا يحمي المسلمين من الانحراف عن نهج الدين. قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٤).

ويعيب المولى عز وجل على اليهود الذين لا ينتهون المجتمعات في حالة الانحرافات ، مما يؤدي إلى دمار تلك المجتمعات ، فيقول تعالى : ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة:٧٩).

ولذلك فإن البرنامج الانتخابي للنبي ﷺ يقوم على ضرورة النصح لكل مسلم ؛
فعن أبي سعيد حدثنا زائدة حدثنا عاصم عن شقيق عن جرير قال: قلت يا رسول الله اشترط علي فأنت أعلم بالشرط قال: أبايعك على أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتي الزكاة وتنصح لكل مسلم وتبرأ من الشرك [2].

---

[1] حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٦٥).. به، وأبو داود في اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار (٤٠٨٤) عن مسدد ثنا يحيى عن أبي غفار ثنا أبو تميمة الهجيمي وأبو تميمة اسمه طريف بن مجالد عن أبي جري جابر بن سليم قال ثم رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلا صدروا عنه قلت من هذا قالوا هذا رسول الله ﷺ قلت عليك السلام يا رسول الله مرتين قال لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الميت قل السلام عليك قال قلت أنت رسول الله ﷺ قال أنا رسول الله الذي إذا.. ثم ذكره.. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ٤٤٨.

[2] حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٥٨).. به. والنسائي في البيعة، باب البيعة على فراق المشرك (٤١٧٧) بإسناده.٤٤٧.

– وعن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ وكان أميرا علينا قال : بايعت رسول الله ﷺ ثم رجعت فدعاني فقال: لا أقبل منك حتى تبايع على النصح لكل مسلم[١].

- وعن جرير قال: ثم أتيت النبي ﷺ أبايعه على الإسلام فقبض يده والنصح لكل مسلم [٢].

- المبايعة على الاعتصام بحبل الله جميعا والحفاظ على وحدة الأمة وذلك بالسمع والطاعة لأولي الأمر والبعد عن كثرة الكلام الذي لا يجدي وكثرة السؤال من غير احتياج وإضاعة المال. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٣).

ولقد عبر النبي ﷺ عن ذلك بوضوح في الأحاديث النبوية ؛ فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: آمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وتسمعوا وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال [٣] .

– وعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: يا عبادة اسمع وأطع في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك إلا أن تكون معصية الله بواحا[٤].

---

[١] حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١ / ٣١٥).. به، والهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٧٢.

[٢] حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢ / ٣١٦).. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٧٣) بإسناده، وقال: رواه الطبراني بطرق ورجال بعضها رجال الصحيح. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٠٩

[٣] حديث صحيح الإسناد. أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨ / ٣٢٩).. به، وابن حبان في صحيحه (١٠ / ٤٢٣) بإسناده، وابن منده في الإيمان (١ / ٢٨٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٤٩.

[٤] حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠ / ٤٢٥).. به.وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٩٢) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٦٨.

- المبايعة على السمع والطاعة على أن يكون ، أن يكون ذلك السمع والطاعة في حدود الاستطاعة، وليس قواعد صارمة تشق على النفوس الإنسانية. قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن:١٦).

ونرى **ذلك في في فعله ﷺ** : فعن ابن عمر قال: كنا إذا بايعنا النبي ﷺ على السمع والطاعة يلقننا هو: فيما استطعت [١].

- المبايعة على الجهاد لأن الجهاد لا يعني الدفاع عن الأمة الإسلامية فقط، بل يعني نصرة الحق في العالم أجمع، فتكون تلك الأمة ملاذ كل الشعوب المستضعفة التي تتعرض للاضطهاد من قوى الغطرسة والاستعلاء. أي أن الجهاد الإسلامي يهدف إلى حماية الحق والعدل والحرية والمساواة لأنه جهاد ضد قوى الظلم والعدوان التي تهدف إلى استنزاف خيرات الشعوب، وكبت إرادتها وحريتها في تقرير مصيرها. وهذا يستلزم التعبئة المعنوية للشعوب الإسلامية. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ **(الأنفال:٦٥).**

ولذلك نفذ الرسول ﷺ أوامر الحق جل وعلا فبايع المؤمنين على الجهاد وقت الاحتياج ؛ فعن مجاشع قال: أتيت النبي ﷺ وسلم بأخي بعد الفتح قلت يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة قال: ذهب أهل الهجرة بما فيها، أبايعه على الإسلام والجهاد [٢].

- المبايعة على نصرة الرسول ﷺ وعلى طاعته حتى يتحقق لهم الهداية إلى سبيل الرشاد، والتكافل مع الرسول والمهاجرين معه. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٧٤).

---

[١] حديث صحيح الإسناد. أخرجه أحمد في مسنده (٢ / ٨١).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم١٥٢٢.

[٢] حديث صحيح الإسناد. أخرجه البخاري في المغازي، باب من شهد الفتح (٤٣٠٦).. به، والحاكم في المستدرك (٣ / ٤١٧) بإسناده، ولم يعلق عليه. والطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٣٢٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٦٢.

- وقد نزلت تلك الآية في المؤمنين الذين هاجروا مع الرسول والذين آووه ونصروه في المدينة بعد *مبايعتهم له* على ذلك في بيعة العقبة الكبرى ؛ فعن عقبة بن عمرو أبي مسعود قال ثم وعدنا رسول الله ﷺ في أصل العقبة يوم الأضحى ونحن سبعون رجلا قال عقبة اني لأصغرهم سناً فأتانا رسول الله ﷺ فقال أوجزوا في الخطبة فإني أخاف عليكم كفار قريش فقلنا يا رسول الله سلنا لربك وسلنا لنفسك وسلنا لأصحابك وأخبرنا ما لنا من الثواب على الله عز وجل وعليك فقال: أما الذي أسأل لربي أن تؤمنوا به ولا تشركوا به شيئا وأما الذي أسأل لنفسي فإني أسألكم أن تطيعوني أهدكم سبيل الرشاد وأسألكم لي ولأصحابي أن تواسونا في ذات أيديكم وأن تمنعونا مما منعتم منه أنفسكم فإذا فعلتم ذلك فلكم على الله الجنة وعلي [1].

- المبايعة على قول الحق حيثما كان لا يخاف المسلم لومة لائم.. وهذا يساعد على تكوين رأي عام ناضج للأمة يوجه الحاكم في اتخاذ القرارات الرشيدة. قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨١) . **وعبر النبي ﷺ عن ذلك** ؛ فعن عبادة بن الصامت قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول الحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم [2].

- المبايعة تدرب المؤمنين على العزة الإيمانية نبعا من قول الحق ، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء: ١٣٩).

---

[1] حديث حسن الإسناد. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧ / ٢٥٦).. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٤٤) بإسناده، عبد بن حميد في مسنده (١ / ١٠٧) بإسناده، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٤٧) وقال: رواه الطبراني وفيه مجالد بن سعيد وحديثه حسن وفيه ضعف ورواه أحمد بنحو حديث مرسل يأتي وفيه مجالد أيضا ولم يسق لفظه. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٧١.

[2] حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٦٤).. به، والحديث على شرط أبي بكر بن أبي النضر فهو من رجال مسلم وحده وقد توبع وأبو النضر جده واسمه هاشم بن القاسم. والحديث أخرجه أحمد ٥٣١٨ ثنا هاشم بن القاسم وعفان قالا ثنا محمد بن طلحة عن الأعمش عن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه قال:.. به وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم١٥١٧.

وقال تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٧٣).

ونرى فيما يلي كيف بايع الرسول المؤمنين على ألا يسألوا الناس شيئًا ؛ حتى يعلمهم عزة النفس والثبات وقت الأزمات ؛ فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله ﷺ فرددها ثلاث مرات فقدمنا فبايعنا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله قد بايعناك فعلى أي شيء نبايعك فقال على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وأسر كلمة خفية أن لا تسألوا الناس شيئا قال: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يقول لأحدينا وله إياه [1].

ج - من أحكام المبايعات التي أجراها الرسول ﷺ:

وضع الرسول ﷺ قواعد للانتخاب والمبايعة تعتبر سبقًا عصريًا بكل المقاييس ، ومن تلك القواعد :

١ - انتخاب الصفوة من ذوى الرأي و النفوذ: وذلك في الحالات الحرجة مثل بيعة العقبة الثانية حيث كان الرسول ﷺ في أشد الاحتياج إلى النصرة، ولذلك كان لابد من اختيار عناصر قيادية يكون لها قوة التأثير على قومها وذلك لأن الموقف والوقت لا يحتمل التسويف أو تأرجح الآراء في مد يد العون لنصرة الإيمان ؛ فعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: قال رسول الله ﷺ للنفر الذين لقوه بالعقبة: أخرجوا إلي اثني عشر منكم، يكونوا كفلاء على قومهم كما كفلت الحواريون بعيسى بن مريم ولا يجدن أحدكم في نفسه أن يؤخذ غيره فإنما يختار لي جبريل [2].

٢ - ضرورة الإعلام: حيث دعا الرسول إلى أن يبلغ الشاهد الغائب فالإعلام له تأثير عميق في نشر القواعد الإيمانية بين المؤمنين قال تعالى:

---

[1] حديث حسن الإسناد. أخرجه الروياني في مسنده (١ / ٣٩٥).. به، وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق (٢٧ / ١٩١) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (١٨ / ٣٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم١٥٢٦.

[2] حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣ / ٦٠٢).. به، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٤٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٦٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (المائدة:٦٧).

وذلك نراه في فيما يلي :فعن وابصة قال ثم سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: ليُبلغِ الشاهدُ الغائبَ [(١)].

٣ - ومن أحكام المبايعة أنه يجوز فيها الإنابة فليس مفروضاً أن يبايع كل الشعب الحاكم شخصياً، بل يمكن مبايعة من ينوب عنه و أعطاه سلطة التحدث باسمه ؛ فعن بشر بن قحيف قال: أتيت عمر بن الخطاب وهو يأكل فقلت: يا أمير المؤمنين إني أتيتك أبايعك فقال: أليس قد بايعت أميري فقد بايعتني [(٢)].

٤ - أهمية البيعة وضرورتها لأن البيعة تعني التزام المؤمنين بالمنهاج الرباني، مما يحقق وحدة الأمة وسيادة مفاهيم الإيمان في التعاملات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾. **ولذلك حرص الرسول ﷺ على مشاركة جميع المسلمين في البيعة ؛ لغرس معنى حرية اختيار الحاكم في سلوكياتهم** ؛ فعن معاوية قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية[(٣)].

---

(١) حديث حسن لغيره. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢ / ١٤٧).. به، والهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٣٩) وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه طلحة بن زيد وقد اتهم بوضع الحديث وقد رواه البزار مطولا بإسناد أحسن من هذا. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٥١.

(٢) **أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦ / ١٥٦).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم١٥٠٠.**

(٣) **حديث حسن الإسناد. أخر جه أحمد في مسنده (٣ / ٤٤٦).. به. والطبراني في المعجم الكبير (١٩ / ٣٨٨) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم٤٦٤.**

شروط المبايعات :

- من شروط تلك المبايعات : أنه يجب أن يكون الإنسان بالغا عاقلا له القدرة على الوفاء بتلك المبايعات ؛ فعن عبد الله بن هشام وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب بنت جميل إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله بايعه فقال النبي ﷺ هذا صغير ومسح رأسه ودعا له وكان يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله [١].

- ويتميز البرنامج الانتخابى للنبى ﷺ أنه قابل للمناقشة، و في حدود استطاعة الجماهير، أى لا يتميز بالأمانى الناطحة للسحاب ؛ فعن جَرِيرٌ: أَتَيْتُ النبي ﷺفَقُلْتُ لَهُ: أُبَايِعُكَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا أَحْبَبْتُ وَفِيمَا كَرِهْتُ ، قَالَ النبي ﷺ: أَوَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَا جَرِيرُ ؟ أَوَ تُطِيقُ ذَلِكَ ؟ قَالَ: قُلْ فِيمَا اسْتَطَعْتُ فَبَايَعَنِي: وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ [٢].

- ومن أهم الشروط أيضا : أن تلك المبايعات ملزمة لكل من الحاكم والرعية، فكل إنسان في الإسلام عليه واجبات وله حقوق حتى تتحقق الموازنات المطلوبة في الأمة الإسلامية؛ عن عمير بن عطية الليثي قال: أتيت عمر بن الخطاب فقلت: يا أمير المؤمنين ارفع يدك رفعها الله أبايعك على سنة الله وسنة رسوله فرفع يده فضحك فقال: هي لنا عليكم ولكم علينا[٣].

د - مشاركة النساء في البيعة :

من المبايعات المهمة التي بايعها الرسول ﷺ والتي سجلها القرآن بحروف من نور بيعة النساء حيث تدل على اهتمام الشريعة بدور المرأة في المساواة مع الرجل لإقامة موازين الحق في الأمة والمشاركة في الانتخاب والمبايعة ؛

---

[١] حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (١٩ / ٨٧).. به، والبيهقي في السنن الكبرى
(٦ / ٧٩) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم١٥٣٣.

[٢] أخرجه النسائى فى البيعة ، باب البيعة فيما أحب وكره (٤١٧١) والطبرانى فى الكبير ٣٢٤/٢.

[٣] أثر حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٦ / ١٢٥).. به. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم١٤٩٨.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الممتحنة:١٢).

ونرى نهج الرسول ﷺ في تنفيذ أوامر الحق ؛ حيث بايع النساء حسب دستور القرآن العظيم ؛ فعن عبد الله بن الزبير قال: لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة ونساء معها وأتين رسول الله وهو بالأبطح فبايعنه فتكلمت هند فقالت: يا رسول الله الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتنفعني رحمك يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت: أنا هند بنت عتبة فقال رسول الله مرحبا بك فقالت: والله ما كان على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من خبائك ولقد أصبحت وما على الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من خبائك فقال رسول الله وزيادة وقرأ عليهن القرآن وبايعهن فقالت هند من بينهن يا رسول الله نماسحك فقال: إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة [١].

- عن أم عطية قالت: لما قدم النبي ﷺ جمع نساء الأنصار في بيت ثم بعث إلينا عمر فقام فسلم فرددنا السلام فقال: إني رسول رسول الله إليكم قلنا مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله فقال: أتبايعنني على أن لا تزنين ولا تسرقن ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف قلنا نعم فمددنا أيدينا من داخل البيت ومد يده من خارجه وأمرنا أن نخرج الحيض والعواتق في العيدين ونهانا عن اتباع الجنائز ولا جمعة علينا فقيل فما المعروف الذي نهين عنه قال: النياحة [٢].

---

[١] حديث صحيح الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨ / ٢٣٧).. به، والترمذي في السير، باب ما جاء في بيعة النساء (١٥٩٧) عن قتيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر سمع أميمة بنت رقيقة تقول بايعت رسول الله صلى اللهم عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن وأطقتن قلت الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان تعني صافحنا فقال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم:.. به، وقال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر وروى سفيان الثوري ومالك بن أنس وغير واحد هذا

[٢] حديث حسن الإسناد. أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨ / ٧).. به، وأبو يعلى في مسنده (١ / ١٩٦) بإسناده، والطبراني في المعجم الكبير (٢٥ / ٤٥) بإسناده، والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٨٤) بإسناده. وهذا الحديث ذكره الهندي في كنز العمال تحت رقم ١٥٠٣.

واتسمت بيعة الرسول للنساء : أنها كانت أيضًا في حدود الاستطاعة حتى يتعلمن الإيجابية في حدود الاقات الإنسانية ، فعَن ابْن الْمُنْكَدِرِ سَمِعَ أُمَيْمَةَ بِنْتَ رُقَيْقَة تَقُولُ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في نِسْوَةٍ فَقَالَ لَنَا فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْنَا قَالَ سُفْيَانُ تَعْنِي صَافِحْنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ [(١)].

٢ -حرية النقد والتعبير عن الرأي :

إن النقد البناء معناه ارتفاع البنيان في أرجاء الأمة ، فهو يهدف إلي تصحيح المسار ، وتدعيم أركان الحق والعدل ، وهو مواءمة دائمة بين عقيدة المسلم وبين ما يجد من مشكلات العصر واحتياجاته ومتغيراته .. ولذلك فالنقد البناء يعتبر الشريان الرئيسي الذي يمد الأمة الإسلامية بنبع الحياة المتجددة والفكر المتدفق ، فإذا توقف هذا الشريان جفت ينابيع الفكر في الأمة ، وأصابها الموات . . لذلك فقد دعت شريعة الاسلام إلي هذا النقد البناء وجعلته شرطاً أساسياً لتحقيق تقدم الأمة الإسلامية على شعوب الأرض كلها فقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ آل عمران ١١٠).

ولم يترك التشريع الإسلامي ذلك النقد تطوعاً ، بل جعله أمراً ملزماً وواجباً على أولى الن هي القادرين على النقد البناء الذي يحتاج خبرة وبصيرة ، فقال تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران ١٠٤).

وهكذا يتبين سبق الإسلام إلي دفع المواطنين نحو ممارسة الديمقراطية ، ويتضح عظمة هذا السبق إذا عرفنا أن نور الاسلام انبعث في عصور تميزه بكبت إرادة الشعوب وطغيان الحكام ، وهنا نوقن أن الإسلام هو الذي وضع أصول الفكر السياسي المتطور .. وأن مجالس الشورى والمجالس النيابية ، وجميع المجالس التشريعية في العالم أجمع ، ما هي إلا ثمرة من ثمرات هذا الفكر الحضاري المشرق الذي جاء به الرسول محمد ﷺ .

---

(١) أخرجه الترمذى فى السير ، باب ما جاء فى بيعة النساء (١٥٩٧) ، وأحمد فى مسنده ٦ / ٣٥٧ ، ومالك فى الموطأ كتاب الجامع ، (١٨٤٢) .

أ - أهمية النقد البناء :

- يبين الرسول ﷺ أن النقد البناء يعدل الجهاد في سبيل الله ؛ لأنه يعني إعلاء كلمة الحق في مواجهة ظلم الحكام وأولي الأمر ؛ فعنْ أبي أُمَامَة قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺوَهُوَ يَرْمِي الجَمْرَةَ ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أي الجِهَادِ أَحَبُّ إِلى اللَّهِ ﷻ ؟ قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ ، حَتَّى إذا رَمَى الثَّانِيَة عَرَضَ لَهُ ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أي الجِهَادِ أَحَبُّ إِلى اللَّهِ ﷻ ؟ ، قَالَ: فَسَكَتَ عَنْهُ ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إذَا اعْتَرَضَ في الجَمْرَةِ الثَّالِثَةِ عَرَضَ لَهُ ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أي الجِهَادِ أَحَبُّ إِلى اللَّهِ ﷻ ؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ تُقَالُ لِإِمَامٍ جَائِرٍ [1].

- ويدعو الرسول ﷺ إلى أهمية تغيير الاختلال في المجتمع ؛ لتحقيق الإصلاح المطلوب في الأمة ، والتهاون في هذا التغيير دليل على نقص الإيمان في القلوب ؛ قال رسول الله ﷺ: ما من نبي بعث الله في أمة من قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف منهم من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يأمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل[2].

- وقال رسول الله ﷺ: سيكون بعدي خلفاء يعملون بما يعلمون ويفعلون ما يؤمرون وسيكون من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن أنكر عليهم برئ ومن أمسك يده سلم ولكن من رضي وتابع[3].

- ويبين الرسول ﷺ كيف أن التخاذل عن النقد البناء يؤدي إلى هلاك الأمم ودمارها ؛ لأن هذا يعني سيادة الظلم الذي يهد أركان الأمة ؛ فعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: إذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ إِنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ ؛ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ [4].

---

[1] أخرجه أحمد فى مسنده ٢٥١/٥ ، والطبرانى فى الكبير ٣٣٨/٨، ، والبيهقى فى السنن ٩١/١٠.
[2] أخرجه مسلم في الإيمان رقم ٨٠، وأحمد في مسنده ٤٥٨/١.
[3] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠/٧) وقال رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زنجويه وهو ثقة.
[4] أخرجه أحمد فى مسنده ١٩٠/٢، والحاكم فى المستدرك ٩٦/٤ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

- وقال رسول الله ﷺ: إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه، ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم(١).

- **ودعا صلوات ربى وسلامه عليه إلى حرية الرأي، التي ترفع لواء الحق عالياً، لأنها تنبع من حرية الفكر الإيمانى** ؛ فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان(٢).

- **وعلم النبي ﷺ المسلمين الإيجابية والشجاعة الأدبية في النقد البناء لإعلاء كلمة الحق** ؛ فعَنْ أبِى سَعِيدٍ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا يَحْقِرْ أحَدُكُمْ نَفْسَهُ قالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ يَحْقِرُ أحَدُنَا نَفْسَهُ ؟ قالَ: يَرَى أمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقالٌ ثُمَّ لا يَقُولُ فِيه ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أنْ تَقُولَ في كَذَا وَكَذَا ؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاس ، فَيَقُولُ: فإيَّاى كُنْتَ أحَقَّ أنْ تَخْشَى (٣).

- قال رسول الله ﷺ: لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه(٤).

- **ويحفز الرسول المؤمنين بكل الطرق أن ينتقدوا كل وضع جائر لإرجاع الحقوق إلى أصحابها بدون خوف من ذوي النفوذ والسلطان الذين يملكون التحكم في الأرزاق** ؛ فقال ﷺ: سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم يحدثونكم فيكذبونكم، ويعملون فيسيئون العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدقوا كذبهم فأعطوهم الحق ما رضوا به، فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب التفسير رقم (٣٠٥١) عن أبي عبيدة. وتحفة الأحوذي (٤١٤/٧)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٤٩) والترمذي في كتاب الفتن (٢١٧٢) .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٠/٣، ٤٧، ٩١، ابن ماجه فى الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٤٠٠٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤٧/٣، ٨٤، ٨٧، ٩٢)، والبيهقي في السنن ٩٠/١٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩٩/٣.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٨/٥.

- ويوضح الرسول ﷺ وسلم عِظم ثواب النقد البناء الذي يعلي كلمة الحق ؛ فقال رسول الله ﷺ:ما من رجل ينعش بلسانه حقا فعمل به بعده إلا جرى عليه أجره إلى يوم القيامة، ثم وفاه ثوابه يوم القيامة[1].

- ويعلم الرسول المسلمين الإيجابية في النقد البناء ؛ فلا يكون المسلم إمعة ليس له رأي واضح محدد المعالم يكون مع تيلر الغالبية في حالة السلبية والإيجابية ؛ بل يجب أن يكون له كيانه المستقل في التعبير عن الرأي ؛ فقال ﷺ: لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن أساؤا أسأنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسنوا إن تحسنوا وإن أساؤا أن لا تظلموا[2].

ب - نماذج من ممارسة المسلمين لحرية النقد والتعبير عن الرأي أمام الرسول ﷺ :

وضع النبي ﷺ أسس النقد والتعبير عن الرأي في كل الأمور ؛ حتى ولو كان هذا النقد له شخصيًا ، فلقد عبر أحد الصحابة عن رأيه للرسول في العطاء الذي أعطاه لأحد المسلمين ، وبين له أن هذا ماء عد ؛ أي يعتبر ملكية عامة للمسلمين لايجوز حكر ملكيته على أحد ، فاستجاب الرسول لنقده البناء ، ورجع في هذا العطاء تحقيقًا للمصلحة العامة ، وحرصًا على الملكية العامة ؛ عن أبيض بن حمال المأربي السبائي رضي الله عنه: أنه وفد إلى رسول الله ﷺ فاستقطعه الملح الذي بمأرب، فأقطعه له، فلما أن ولى قال رجل من المجلس: أتدري ما قطعت له؟ إنما قطعت له الماء العد فانتزعه منه، قال: فسألته عما يحمى من الأراك؟ قال: ما لم تنله أخفاف الإبل[3].

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده ٢٦٦/٣.

(2) أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في الاحسان والعفو رقم (٢٠٠٠) وقال: حسن غريب. وعزو الحديث لصحيح البخاري تصحيف - (إمعة: الامعة بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لو رأى له، فهو يتابع كل أحد على رأيه. والهاء فيه للمبالغة. ويقال فيه إمع أيضا. أهـ ج /٦٧ النهاية.

(3) أخرجه النسائي في السنن الكبري (٥٧٦٨)، وأبو داود في السنن (٣٠٦٤)، والترمذي في السنن (١٣٨٠)، والبيهقي في السنن ١٤٩/٦ - (الماء العد بكسر العين: الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع كماء العين انتهى. قاموس. ح.

ونجد الرسول ﷺ يحمي حق الأسير في التعبير عن رأيه بأنه يتوب إلى الله ولا يتوب إلى محمد ؛ فعَن الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ ، أَنَّ النبي ﷺ أُتِيَ بِأَسِيرٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ النبي ﷺ: عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ [(١)].

وحرص الرسول ﷺ على وضع الضمانات الكافية لحرية الرأي ؛ فلا يعاقب من يعبر عن رأيه حتى لو كان فيه شطط وجنوح عن الحق ؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺبِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ وَ في ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺيَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ ، قَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ ؟ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي ، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ [(٢)].

ونعرض كيف وصل حق المواطن أن يواجه الحاكم - رغم أن ذلك المواطن على خطأ شرعي- ومع ذلك فقد أعطت له الشريعة الحق في تلك المواجهة، ونرى ذلك فيما رواه عبد الرزاق في مصنفه عن أبى قلابة أن عمر حدث أن أبا محجن الثق في يشرب الخمر في بيته، هو وأصحاب له، فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين إن هذا لا يحل لك، قد نهاك الله عن التجسس، فقال عمر: ما يقال هذا؟ فقال له زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن الأرقم: صدق يا أمير المؤمنين، هذا من التجسس، فخرج عمر وتركه[(٣)].

ج - ضوابط النقد والتعبير عن الرأي:

وضع الرسول ضوابط للنقد ؛ بحيث يحقق الإنسان الهدف المقصود منه ، وفي نفس الوقت يكون له الفعالية المطلوبة ، ومن تلك الضوابط :

- أنه إذا انتشر الفساد وإعجاب كل ذي رأي برأيه ؛ فعلى الإنسان أن يقتصر في النقد على الدائرة الخاصة به ؛ لأن نقد العامة لن يكون مجديًا ؛ بل قد يعرض

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣٥/٣، والطبراني في الكبير ٢٨٦/١، والحاكم في المستدرك ٢٨٤/٤ ، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم (١٠٦٣) والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٨٧) ، والطبراني في الكبير ٢٠٠/٢.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠ / ٢٣٢ ، والقرطبي في تفسيره ٣٣٣/١٦.

المسلم للمخاطر ؛ قال رسول الله ﷺ: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أيام الصبر الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم، قالوا يا رسول الله: أجر خمسين منهم؟ قال: لا بل أجر خمسين منكم(١).

- **ودعا الرسول ﷺ إلى ذكر الفاجر أمام الناس حتى يحذروه ؛ فبين أن الفاسق ليس له غيبة** ؛ فقال ﷺ:حتى متى ترعون عن ذكر الفاجر؟ اهتكوه حتى يحذره الناس(٢).

- وقال رسول الله ﷺ: ليس للفاسق غيبة(٣).

- **كما وضح الرسول ﷺ أن من ضوابط النقد أن يكون المسلم ذا خبرة وكفاءة في الميدان الذي ينقد من خلاله ؛ لأنه يعتبر نوعًا من الجهاد مثل الجهاد بالسيف تمامًا ، وكلاهما يهدف إلى نصرة الحق** ، قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه(٤).

- وعن جابر قال: لما كان يوم الأحزاب ورد الله المشركين بغيظهم لم ينالوا خيرا قال رسول الله ﷺ: من يحمي أعراض المسلمين؟ قال كعب بن مالك: أنا يا رسول الله وقال ابن رواحة: أنا يا رسول الله قال: إنك تحسن الشعر فقال حسان بن ثابت: أنا يا رسول الله قال: نعم اهجم أنت وسيعينك عليهم روح القدس(٥).

د - حرية المرأة في النقد والتعبير عن الرأي :

إن حرية المرأة في التعبير عن رأيها، نابع من اهتمام الإسلام اهتماماً بالغاً بحرية الفكر، وما ينبع عنها من حرية الرأى والعقيدة. فالعقل هو خاصة الإنسان وامتيازه وشرفه، وهو مناط التكليف والخطاب الإل هي ، بالأمر والنهي والوعيد. وللإنسان الحق في أن يفكر تفكيراً مستقلاً، في جميع ما يكتنفه من شئون، وما يقع تحت إدراكه من ظواهر، وأن يأخذ بما يهديه إليه فهمه، ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير.وقد أقر الإسلام هذا الحق على أوسع نطاق، بل جعله فريضة واجبة على كل إنسان (ذكراً كان أم أنثى) لأن الفكر الحر

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ١٠٩، وابن ماجه في السنن (٤٠١٤) وأبو داود في السنن (٤٣٤١) والترمذي في السنن (٣٠٥٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ٤١٨، والصغير ١/ ٣٥٧، والبيهقي في السنن ١٠/ ٢١٠.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ٤١٨.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٣/ ١٠٢، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٣٥.

(٥) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ٢٩٧، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٩٠.

السليم، البعيد عن التعصب والزيف والخداع، لابد أن يقود الإنسان إلى آفاق رحبة واسعة، سواء في عالم المادة أو عالم الروح.

وحرية الرأي هي الترجمة الفعلية لحرية الفكر، فالفكر والرأى وجهان لعملة واحدة، وهما مرآة شخصية الإنسان بصفة عامة، والمسلم بصفة خاصة، فالساكت عن الحق شيطان أخرس. فالمسلم الذي تحرر فكره، وعرف طريق الحق، لابد أن يدلى برأيه في كل موقف يتعرض له، أو كل قضية وقف بصددها سواء كان هذا المسلم رجلا أو امرأة. فما فائدة الإيمان إذا لم يدعم بالرأى الحر ؟

ومن هذا المنطلق : أتاح الإسلام للمرأة حرية التعبير عن رأيها، لأنه مكنها من أمانة مكفولة في أعناقها، و هي أنها زوجة وأم، مسئولة عن أغلى وديعة في الكون. فكما عليها مسئولية، فلها سلطة إبداء الرأى، فالمسئولية والسلطة هما كفتا الميزان، الذي تقوم عليه الحياة وتتوازن به ؛ فعن ابن عمر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كلكم راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته [1].

ـ ونجد السنة المحمدية تبين نماذج متعددة من توفر المناخ الاجتماعى للمرأة في التعبير عن رأيها في عصر النبوة بطريقة قد يحسدها عليها نساء العصر الحديث ، وسنذكر مجالاً حصلت فيه المرأة على أعلى المستويات في التعبير عن الرأى حينما وقفت أمام سيد الخلقﷺ تطالب مساواة المرأة بالرجل، و لكن تلك المساواة ليست في مجال الصراع المادى الرهيب على الوظائف، لكنها في مجال المسارعة في الخيرات.ـ و بهذا يتضح الفارق الرهيب بين امرأة الأمس و امرأة اليوم في المطالبة بحقوق المرأة و هو الفارق بين المطالب الروحية السامية و المطالب الدنيوية العارضة ؛ فعن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ يقال لها: لينة، فقالت: يا رسول الله! أنا وافدة النساء إليك، ما من امرأة تسمع مقالتي إلى يوم القيامة إلا سرها ذلك، الله رب الرجال والنساء، وآدم أبو الرجال والنساء، وحواء أم الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، وإن ماتوا وقع أجرهم على الله وإن رجعوا أجرهم الله ، ونحن النساء نقوم

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الجمعة (٨٩٣) .

على المرضى ونداوي الجرحى، فما لنا من الأجر؟ فقال يا وافدة النساء! أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج والاعتراف بحقه تعدل ذلك كله [١].

- ونجد المرأة لا تخجل أمام رسول الله ﷺ وكل الصحابة من الرجال وتعبر عن رأيها بكل وضوح لإصلاح الخلل في المجتمع ؛ فقد قال ﷺ : هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره واستتر بستر الله؟ قالوا: نعم، قال: ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا وفعلت كذا! فسكتوا، ثم أقبل على النساء فقال: هل منكن من يحدث؟ فسكتن، فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها فقالت: يا رسول الله! إنهم ليحدثون وإنهن ليحدثنه، فقال: هل تدرون مثل ذلك! إنما مثل ذلك شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه، ألا! إن طيب الرجال ما ظهر ريحه ولم يظهر لونه، ألا! إن طيب النساء ما ظهر لونه ولم يظهر ريحه ألا! لا يفضين رجل إلى رجل ولا امرأة إلى امرأة إلا إلى ولد أو والد [٢].

- وتعد أعظم الأدلة على ما منحه الإسلام للمرأة من حرية التعبير عن رأيها والاستجابة لوجهة نظرها سورة المجادلة ؛ حيث استطاعت تلك المرأة، بعرض قضيتها على رسول الله ﷺ عرضاً يتفق مع ما تعانيه من مرارة، أن تنقذ نفسها وبنات جنسها، أبد الدهر من عادة جاهلية قبيحة و هي الظهار [٣] قال تعالى :﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (المجادلة ٢، ٣)

- واستطاعت تلك المرأة بعد ذلك أن تعبر عن رأيها وتحاور الخليفة عمر بن الخطاب، والخليفة يستمع ويستجيب لها ، عن ثمامة بن حزن قال بينما عمر بن الخطاب يسير على حماره لقيته امرأة فقالت: قف يا عمر، فوقف، فأغلظت له القول فقال رجل يا أمير

---

[١] أخرجه الطبراني في الكبير ١١ / ٤١٠ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣٤/٣، والسيوطي في الدر المنثور ٥١٦/٢.

[٢] أخرجه أبو داود في النكاح (٥٠)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٨٦/٣.

[٣] المجمع عليه عند العلماء في الظهار : هو قول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي ، وهو قول المنكر والزور الذي عني الله بقوله : { وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورا } فمن قال هذا القول حرم عليه وطء امرأته ، فمن عاد لمن قال لزمته كفارة الظهار لقوله عز وجل { والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة } .

المؤمنين: ما رأيت كاليوم؟ قال: وما يمنعني أن أسمع لها؟ وهي التي سمع الله لها، وأنزل فيها ما أنزل ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[1].

- **ونجد المرأة تعبر عن قضيتها أمام الرسول ؛ فرغم أنها أسيرة ، إلا أن الرسول سمح لها بحرية التعبير عن الرأي مما حقق لها النجاة من الأسر لأن أبوها كان يتصف بمكارم الأخلاق التي يحبها الله ورسوله** ؛ فعن ضرار بن صرد: ثنا عاصم بن حميد: عن أبي حمزة الثمالي عن عبد الرحمن بن جندب: عن كميل بن زياد قال: قال علي بن أبي طالب: يا سبحان الله، ما أزهد كثيرا من الناس في خير؟ عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم في الحاجة، فلا يرى نفسه للخير أهلا، فلو كان لا يرجو ثوابا، ولا يخشى عقابا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاح، فقام إليه رجل، فقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، وما هو خير منه، لما أتي بسبايا طيء، وقفت جارية حمراء لعساء ذلفاء عيطاء شماء الأنف، معتدلة القامة والهامة درماء الكعبين، خدلة الساقين، فلما رأيتها أعجبت بها، وقلت: لأطلبن إلى رسول الله ﷺ، يجعلها في فيئي، فلما تكلمت أنسيت جمالها، لما رأيت من فصاحتها، فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني وما تشمت بي أحياء العرب، فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيء، فقال النبي ﷺ : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق، فقام أبو بردة بن نيار، فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق[2].

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٧/٢٤٥. (من المجادلة ١).

(٢) أخرجه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٢/٢٣٩، وابن كثير في البداية والنهاية ٢/٢١٣ - (درماء الكعبين: درم كفرح معناه: الساق والكعب أو العظم، وأراه اللحم حتى لم يبين له حجم، وخدلة الساقين: بفتح الخاء وسكون الدال: معناه المرأة الغليظة الساق المستديرتها. انتهى.قاموس).

ثانيا : الحرية المدنية

لقد منح الإسلام الحقوق المدنية لكل أبناء الأمة، لم يفرق بينهم في هذا الحق، سواء بين المسلمين أو غير المسلمين. أو بين النساء والرجال، أو بين الفقراء والأغنياء. فالكل لهم نفس الحقوق، وتطبق عليهم نفس القوانين المدنية، والكل آمن على نفسه وماله وعرضه وآمن على حريته الشخصية .. ويتميز الإسلام على كل القوانين بحرصه على تحرير الأرقاء، وحرصه على توفير ضمانات الحرية للمتهم حتى تثبت إدانته. وسنعرض فيما يلي مجالات الحرية المدنية التي كفلتها الشريعة للإنسانية :

١ - حرية الأمن على النفس والمال والعرض :

من الحريات التى وضحتها السنة المطهرة وحثت على حفظها:الحفاظ على حرمات المسلمين في النفس والأموال والأعراض، وقد جاءت سنة النبي ﷺلتدعيم هذا المنهاج وهذا ما بينته الأحاديث النبوية ؛ فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: زَانٍ مُحْصَنٌ يُرْجَمُ ، أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا مُتَعَمِّدًا فَيُقْتَلُ ، أَوْ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ يُحَارِبُ اللَّهَ ﷻ وَرَسُولَهُ فَيُقْتَلُ أَوْ يُصْلَبُ أَوْ يُنْ في مِنَ الْأَرْضِ (١).

- وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ ، وَ الذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ ؛ مَالِهِ ، وَدَمِهِ ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا (٢).

- وعنه ﷺ قال: يا معشر من أسلم، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يطلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره، وأبدى عورته، ولو كان في ستر من بيته(٣).

- ومن أسمى صور الحرية التى أرساها الإسلام إلزامه جميع المسلمين الوفاء بالعهود فلا يتعرض أى معاهد للمسلمين للقتل أو الاعتداء على أمواله، طالما أنه لم

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (١/ ٣٨٢) ، النسائى فى القسامة ، باب الصلب (٤٠٤٨) وأبو داود فى الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد (٤٣٥٣) .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى الفتن ، باب حرمة دم المؤمن وماله (٣٩٣٢)، والسيوطى فى الدر المنثور ٥٦٥/٧.

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٥/٢. والهيثمى فى مجمع الزوائد ، باب ما جاء فى الغيبة والنميمة ٨ / ٩٤ ، وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

يرتكب جرمًا يوجب الحد أو القصاص[١]؛ فعَن عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: المُسْلِمُونَ تَتَكَافأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أدْنَاهُمْ ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أقْصَاهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ ، لا يُقتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ ، ولا ذُو عَهْدٍ في عَهْدِهِ .

- وعَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِى كَرِبَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنَّهُ قَالَ: ألا إنِّى أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، ألا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا القُرْآنِ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأحِلُّوهُ ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ ، ألا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الحِمَارِ الأهْلِى ، وَلا كُلُّ ذِى نَابٍ مِنَ السَّبُعِ ، وَلا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إلا أنْ يَسْتَغْنِى عَنْهَا صَاحِبُهَا ، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أنْ يَقْرُوهُ ، فَإنْ لَمْ يَقْرُوهُ ؛ فَلَهُ أنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ [٢].

- وتوقظ الشريعة ضمير المؤمنين ليكونوا جبهة معارضة أمام أولى الأمر إذا دعتهم سلطاتهم إلى التفريط في حقوق المواطنين في الأمن على أنفسهم، وكذلك توقظ ضمير الحكام أنفسهم في الحفاظ على حرية المواطن إلى أقصى حد، ومن ذلك ما روى عَنْ خَالِدِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: تَنَاوَلَ أبُو عُبَيْدَةَ رَجُلا بِشَيْءٍ ، فَنَهَاهُ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ ، فَقَالَ: أغْضَبْتَ الأمِيرَ ، فَأتَاهُ فَقَالَ: إنِّى لَمْ أُرِدْ أنْ أُغْضِبَكَ، وَلَكِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ أشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا لِلنَّاسِ في الدُّنْيَا [٣].

- ولقد حرصت السنة الشريفة على أمن المواطن على نفسه في حنو بالغ ليس له مثيل، يتفق مع صفات المبعوث رحمة للعالمين ﷺ، إذ حرمت المرور في المساجد بأسلحة ظاهرة قد تؤذى أحدا من المسلمين، وهذا ما وضحته الأحاديث النبوية ومنها ما روى عَنْ أبِى مُوسَى ، عَنِ النبِي ﷺ قَالَ: إذَا مَرَّ أحَدُكُمْ فِي

---

[١] ينظر ذلك فى كتب الفقه: انظر مثلا: مغنى المحتاج ٢٥٣/٤ وما بعدها، بدائع الصنائع ١٤/٦ وما بعدها، المغنى ٥٣٥/٨ وما بعدها، شرح فتح القدير ٦٠/٦ وما بعدها، أحكام القرآن للجصاص ٢٨٠/٤ - ٢٩٠ .

[٢] أخرجه أحمد فى مسنده (١٣١/٤)، وأبو داود فى السنة ، باب فى لزوم السنة (٤٦٠٤) ، والتبريزى فى مشكاة المصابيح ١٦٣.

[٣] أخرجه أحمد فى مسنده ٤ / ٩٠ ، والبخارى فى التاريخ الكبير ١٤٣/٣.

مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ ؛ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا - أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ - أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ[1].

- وكذلك حرصت السنة الشريفة على أمن المواطن على عرضه، فحرمت الخوض في أعراض الناس ظلما وعدوانا، ومن ذلك ما روى عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ النبي ﷺ حَاجًّا فَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ ، فَمَنْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَعَيْتُ قَبْلَ أَنْ أَطُوفَ ، أَوْ قَدَّمْتُ شَيْئًا ، أَوْ أَخَّرْتُ شَيْئًا؛ فَكَانَ يَقُولُ: لَا حَرَجَ ، لَا حَرَجَ ؛ إِلَّا عَلَى رَجُلٍ اقْتَرَضَ عِرْضَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ وَهُوَ ظَالِمٌ ؛ فَذَلِكَ الذي حَرِجَ وَهَلَكَ [2].

- وعن أبى خزيمة بن ثابت قال: كان عمر إذا استعمل رجلا أشهد عليه رهطا من الأنصار وغيرهم يقول: إنى لم أستعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم، ولكنى استعملتك عليهم لتقسم بينهم بالعدل ، وتقيم فيهم الصلاة ، واشترط عليه أن لا يأكل نقيا ، ولا يلبس رقيقا ، ولا يركب برذونا، ولا يغلق بابه دون حوائج الناس[3].

- وعن أبى فاختة أن عليا أتى بأسير يوم صفين فقال: لا تقتلنى صبرا؛ فقال علي: لا أقتلك صبرا، إنى أخاف الله رب العالمين، فخلى سبيله وقال: أفيك خير تبايع[4].

- وبلغ منهاج السنة في الحفاظ على حرية المواطنين حدا لا يمكن أن تبلغه أية حضارة في العالم، حيث حرص الرسول ﷺ على حرية المواطن في مسكنه، فحرم النظر فيه بغير إذن، *فعَنْ ثَوْبَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ أَنْ يَنْظُرَ فِي جَوْفِ بَيْتِ امْرِئٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ ، فَإِنْ نَظَرَ فَقَدْ دَخَلَ ، وَلَا يَؤُمَّ قَوْمًا فَيَخُصَّ نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُمْ ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ ، وَلَا يَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ وَهُوَ حَقِنٌ [5].

---

(1) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الفتن ، باب قول النبى ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا (٧٠٧٥) ، وأبو داود فى الجهاد ، باب فى النبل يدخل به المسجد (٢٥٨٧)، وابن ماجه فى الأدب ، باب من كان معه سهام فليأخذ بنصالها (٣٧٧٨) ، والبيهقى فى السنن٢٣/٨.

(2) أخرجه أبو داود فى المناسك ، باب فيمن قدم شيئا قبل شيء فى حجه (٢٠١٥) ، وابن خزيمة فى صحيحه ٤ / ٢٣٧ ، والدارقطنى فى السنن ٢ / ٢٥١ .

(3) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ٤٦١/٦

(4) أخرجه البيهقى فى السنن ، باب أهل البغى إذا فاؤوا لم يتبع مدبرهم ولم يقتل أسيرهم ولم يجهز على جريحهم ولم يستمتع بشيء ١٦٢/٨ ، والشافعى فى الأم ٤ / ٢٢٤ ، والشوكانى فى نيل الأوطار ٧ / ٤٥٣ .

(5) أخرجه الترمذى فى الصلاة ، باب ما جاء فى كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء (٣٥٧) وأحمد فى مسنده ٥/ ٢٥٠ ، والبغوى فى شرح السنة ١٢٩/٣ - (حقن: فى الحديث (لا رأى لحاقن) هو الذى حبس بوله، كالحاقب للغائط. ومنه الحديث (لا يصلين أحدكم وهو حاقن) وفى رواية حقن حتى - يتخفف) الحاقن والحقن سواء. النهاية [٤١٦/١] ب).

- وعَنْ أبى هُرَيْرَةَ ، عَن النبي ﷺقَالَ : مَن اطَّلَعَ في بَيْتِ قَوْمٍ بغَيْرِ إذْنِهِمْ فَفَقَئُوا عَيْنَهُ ؛ فَلَا دِيَة لَهُ، وَلَا قِصَاصَ [(١)].

- وعَنْ أبى ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَشَفَ سِتْرًا فَأَدْخَلَ بَصَرَهُ في الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فَرَأَى عَوْرَةَ أَهْلِهِ ؛ فَقَدْ أَتَى حَدًّا لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ ، لَوْ أَنَّهُ حِينَ أَدْخَلَ بَصَرَهُ اسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ فَفَقَأَ عَيْنَيْهِ؛ مَا عَيَّرْتُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ مَرَّ الرَّجُلُ عَلَى بَابٍ لَا سِتْرَ لَهُ غَيْرِ مُغْلَقٍ فَنَظَرَ ؛ فَلَا خَطِيئَةَ عَلَيْهِ ؛ إِنَّمَا الْخَطِيئَةُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ [(٢)].

- **وحذر الرسول ﷺمن ضرب المسلمين حفاظا على عزة المسلم وكرامته، وعدم امتهان آدميته، وتلك من أسمى حريات الإنسان التى أرساها خير الأنام واتبعها الصحابة الكرام ولكنها اندثرت مع الأزمان** ؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَجِيبُوا الدَّاعِي ، وَلَا تَرُدُّوا الْهَدِيَّة ، وَلَا تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ [(٣)].

- وعن سليم بن قيس الحنظلى قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى أن يؤخذ الرجل منكم البريء فيؤشر كما تؤشر الجزور[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٤١٤/٢، ٥٢٧، والنسائى فى القسامة ، باب من اقتص وأخذ حقه دون السلطان (٤٨٦٠) ، والبيهقى فى السنن ٣٣٨/٨.

(٢) أخرجه الترمذى فى الاستئذان ، باب ما جاء فى الاستئذان قبالة البيت (٢٧٠٧) وأحمد فى مسنده ٥ / ١٨١ ، والهيثمى فى مجمع الزوائد باب فى الاستئذان وفيمن يتحقق فى دار بغير إذن ٨ / ٤٣ ، وقال: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح - (ما عيرت عليه: أى ما نسبته إلى العيب؛ قال الطيبى يحتمل أن يراد به العقوبة المانعة عن إعادة الجاني. فالمعنى فقد أتى موجب حد على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كما ذهب إليه الأشرف والمظهر، وإن يراد به الحاجز بين الموضعين كالحمى، فقوله (لا يحل) صفة فارقة تخصص الاحتمال الثانى بالمراد، ويدل عليه إيقاع قوله (وإن مر رجل على باب لا ستر له) مقابلا لقوله (من كشف سترا) الخ. تحفة الأحوذى [٤٨٧/٧] ب).

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده (٤٠٤/١)، وابن حبان فى صحيحه ١٢ / ٤١٨ ، والبزار فى مسنده ٥ / ١١٦ ، والبخارى فى الأدب المفرد ١٥٧، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ١٢٨/٧.

(٤) أخرجه معمر بن راشد فى جامعه ١١ / ٣٦٠ ، والحاكم فى المستدرك ٤٩٨/٤ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه - (فيؤشر: وفى حديث صاحب الاخدود (فوضع المئشار على مفرق رأسه) المئشار بالهمز: المنشار بالنون، وقد يترك الهمز، يقال: أشرت الخشبة أشرا، ووشرتها وشرا، إذا شققتها، مثل نشرتها نشرا، ويجمع على مآشير ومواشير. ومنه الحديث (فقطعوهم بالمآشير) أي: المناشر النهاية (٥١/١).

- وحرص الرسول ﷺعلى حرية الناس في الأمن على أموالهم، حتى ولو كانت تلك الأموال في العراء ؛ فهو يوقظ ضمير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة ليعلمهم قانون المعاملة بالمثل، وأن حرية الإنسان تقف عند حدود حرية الآخرين.. صلوات الله وسلامه عليه، معلم الناس أجمعين إلى يوم الدين أرقى المبادئ وأعرق الحضارات؛ فعن أبى هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ إِذْ رَأَيْنَا إِبِلًا مَصْرُورَةً بِعِضَاهِ الشَّجَرِ، فَثُبْنَا إِلَيْهَا ، فَنَادَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ فقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الإِبِلَ لِأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هُوَ قُوتُهُمْ وَيُمْنُهُمْ بَعْدَ اللَّهِ ، أَيَسُرُّكُمْ لَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى مَزَاوِدِكُمْ فَوَجَدْتُمْ مَا فِيهَا قَدْ ذُهِبَ بِهِ ؟ أَتُرَوْنَ ذَلِكَ عَدْلًا ؟ قَالُوا: لَا ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا كَذَلِكَ قُلْنَا: أَفَرَأَيْتَ إِن احْتَجْنَا إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ؟ فقَالَ: كُلْ وَلَا تَحْمِلْ ، وَاشْرَبْ وَلَا تَحْمِلْ [١].

- وحرص الرسول ﷺ على أمن المواطن على نفسه، فحرم قتل المؤمن تحريما قاطعا، وتغوص السنة الشريفة ببيان عاقبة من يتجرأ على قتل مؤمن بغير حق ؛ بحيث تشكل التنبيهات قوة ردع كافية لحماية حريات المواطنين في الأمن على أنفسهم ؛ فعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺيَقُولُ: لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، بَابٌ مِنْهَا لِمَنْ سَلَّ سَيْفَهُ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةِ مُحَمَّدٍ [٢].

- وعن أبى الحَكَمِ البَجَلِي قال: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِى وَأَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ: لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا في دَمِ مُؤْمِنٍ ؛ لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ في النَّارِ[٣].

- وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ[٤].

- وعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِى الْجَعْدِ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَمَّنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ثُمَّ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ ؛ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في التجارات ، باب النهى أن يصيب منها شيئا إلا بإذن صاحبها (٢٣٠٣) والبيهقى فى السنن الكبرى ، باب تحريم أكل مال الغير بغير ٩ / ٣٦١ ، وابن حجر فى فتح البارى ٥/٩٠.

(٢) أخرجه الترمذى كتاب التفسير ، ومن سورة الحجر (٣١٢٢) وقال: غريب ، وابن أبى شيبة فى مصنفه ٧ / ٥٥٢ ، وابن رجب الحنبلى فى التخويف من النار ١ / ٥٧ .

(٣) أخرجه الترمذى كتاب الديات، باب الحكم فى الدماء (١٣٩٨) وقال: غريب ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣ / ٢٠١ .

(٤) أخرجه النسائى فى تحريم الدم ، باب من قتل رجل مسلم (٣٩٨٧) ، وابن ماجه فى الديات ، باب التغليظ فى قتل مسلم ظلما (٢٦١٩) ، وأحمد فى الزهد ١ / ٦٥ .

ﷺيَقُولُ: يَجِيءُ مُتَعَلِّقًا بِالقَاتِلِ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا فَيَقُولُ: أَى رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِى ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَنْزَلَهَا اللَّهُ ثُمَّ مَا نَسَخَهَا [(١)].

- وحرص الرسول ﷺعلى أمن المواطنين وحرياتهم، فحرم على أولى الأمر إيذائهم المادى والمعنوى وعدم تتبع عوراتهم برصد حركاتهم أو اتصالاتهم، أو إرهابهم بأى وسيلة، ومن ذلك : ما روى عَنْ ثَوْبَانَ ، عَن النبي ﷺقَالَ: لَا تُؤْذُوا عِبَادَ اللَّهِ ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ ، وَلَا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ؛ طَلَبَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ في بَيْتِهِ [(٢)].

- وعن عبد الرحمن بن زياد قال: قال رسول الله ﷺ: من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه بها في غير حق الله ؛ أخافه الله يوم القيامة [(٣)].

٢- حرية غير المسلمين في الأمن على أنفسهم ومالهم وعرضهم :

لقد وضعت الشريعة الإسلامية القوانين التي تحمي الأموال وتحافظ عليها، وجعلت حرمة المال كحرمة النفس كما صرح الكاساني [(٤)]ولا فرق في هذا بين مال مسلم ومال غير مسلم، كما قال علي ابن أبي طالب: إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا، ودماؤهم كدمائنا[(٥)].

لذا فقد بينت السنة النبوية أنه لابد من حماية أموال أهل الذمة والمعاهدين من السرقة أو الغصب أو الإهلاك ، فقررت أنه لا يجوز انتزاع الملكية الخاصة بهم ، وأنه على المسلمين أن يلتزموا بهذا الواجب إزاء المواطنين غير المسلمين ، وفي هذا يقول الشافعي : أن علينا أن نمنع أهل الذمة إذا كانوا معنا في الدار وأموالهم التي

---

(١) أخرجه النسائى فى تحريم الدم ، باب تعظيم الدم (٣٩٩٩) ، وأحمد فى مسنده ٣٧٣/٥، والطبرانى فى الكبير ١٧٧/٢ ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ، باب فيمن سلم من الدماء الحرام ونحوها ٧ / ٢٩٧ ، وقال: رواه الترمذى باختصار آخره رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٢٧٩/٥)، وابن عبد الحكم فى جامع العلوم والحكم ١ / ٣٣٥.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ٥ / ١٣٧ (٩١٨٧) والبيهقى فى شعب الإيمان (٧٤٦٨) والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣ / ٣١٩.

(٤) بدائع الصنائع ٤٣٣/٩.

(٥) المغني لابن قدامة ٥٣٥/٨.

يحل لهم أن يتمولوها مما نمنع منه أنفسنا وأموالنا من عدوهم إذا أرادهم ، أو ظلم ظالم لهم ، وأن نستنقذهم من عدوهم لو أصابهم [١].

ويلزم المسلمين أن يضمنوا ما أتلفوه على أهل الذمة ، سواء كان المتلَفُ نفساً أو مالاً؛ أي يضمنه المتلِف من المسلمين مثلما يضمن مال المسلم نفسه. وهو ما لا خلاف فيه [٢]

ويلزم المسلمين أن يدفعوا عنهم أهل الحرب وغيرهم إذا كانوا (أهل الذمة) في بلاد المسلمين؛ لأنه لابد من الذب عن الدار ومنع الكفار من طروقها. وكذلك لو انفردوا ببلدٍ مجاور لدار الإسلام فإنه يلزم الذب عنهم إن أمكن؛ إلحاقاً لهم بأهل الإسلام في العصمة والصيانة[٣].

- ولم تكتف الشريعة بأن تجعل هذا الحق فريضة واجبة على الحكومة، بل إنها جعلت هذا الحق فريضة أيضاً على المواطنين المسلمين حتى يتحقق السلام الاجتماعي في الأمة بما يرفع شأنها ويساعدها على التقدم. لذلك فقد حرّم الرسول ﷺ أموال غير المسلمين ، وجعل الاعتداء عليها خروجاً من الدين؛ وقد ورد عن النبي ﷺ جملة أخبار فيها تحذير شديد من ظلم أهل الذمة المُعاهدين أو الاعتداء عليهم في أموالهم وأمنِهم ؛ فعن ابن عوف أن النبي ﷺ صلى بالناس قام فقال : أيحسب أحدكم متكِئاً على أريكته قد يظن أن الله عز وجل لم يحرم شيئا إلا ما في هذا القرآن، ألا وإني والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنها لمثل القرآن أو أكثر، وإن الله عز وجل لم يُحِل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذنٍ ولا ضربَ نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم[٤].

وقال ﷺ : من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه؛ خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين[٥].

- ولقد جعلت الشريعة الإسلامية الحماية على النفس بمثابة حق الحياة ، وحياة الإنسان مقدسة لا يجوز لأحد أن يعتدي عليها فقال تعالى :﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ

---

[١] الأم ١٢٧/٤، ١٢٨، والقرطبي في تفسيره ٢٩٥٢/٧.
[٢] مغني المحتاج (ج٤ ص٢٥٣) وحاشية الشرقاوي (ج٢ ص٤٠٩).
[٣] د. أمير عبد العزيز ـ فقه الكتاب والسنة (ج٤ ص٢٢٤٩).
[٤] البيهقي (ج٩ ص٢٠٤).
[٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض (٢٤٥٤).

نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة : من الآية ٣٢). ويفهم من ذلك أن لا يمكن أن يكون هناك تقدير أسمى من هذا التقدير لحياة البشر وكرامتهم؛ إذ لا يجري التقليل من شأن الموت نتيجة للجهل بقيمة الحياة ، ولا يبالغ في قيمة الحياة في حد ذاتها بحيث يقلل من قيمة الحياة الكريمة؛ لأن القتل وحده هو الذي يجعل الإنسان، وكرامة الإنسان في حد ذاته ، دون اعتبار للعرق أو الطبقة؛ بل من حيث إنه إنسان [1].

لذا فقد اعتبرت الشريعة الإسلامية قتل غير المسلم بغير حق يحرم من دخول الجنة فقال ﷺ :من قتل معاهداً بغير كنهه حرم الله عليه الجنة[2].

- ولقد حرص الرسول ﷺ على توضيح حق غير المسلمين في الأمن على أنفسهم، فحذّر تحذيراً شديداً من سفك الدماء، وتحذيراً أكبر خاصًا بدماء المعاهدين؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما[3].

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما [4].

- وعن رفاعة بن شداد القتباني قال: لولا كلمة سمعتها من عمرو بن الحمق الخزاعي لمشيت فيما بين رأس المختار وجسده؛ سمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: من أمن رجلا على دمه فقتله؛ فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة [5].

---

[1] سو رحمن هدايت: التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم (ص:٣٣٢) ط. دار السلام للنشر.

[2] أخرجه مسلم في كتاب البر، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير الحق (٢٦١٣) وأبو داود في الخراج، باب في التشديد في جباية الجزية (٢٧٦٠).

[3] أخرجه البخاري في كتاب الديات (باب وقول الله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) (٦٨٦٢) وأحمد في مسنده ٢ / ٩٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٨/٧ - (فسحة: الفسحة - بالضم - السعة. مختار ٣٩٥. ب).

[4] أخرجه البخاري في الجزية والموادعة (باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم) (٣١٦٦ج٣/ص١١٥٥). النسائي في السنن الكبرى (٦٩٤٩) وأبو داود في السنن (٢٧٦٠) وأحمد في مسنده ٥/ ٣٨، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٥٤.(كنهه: بضم الكاف وسكون النون: يعني من قتله في غير وقته أو غاية أمره الذي يجوز فيه قتله. انتهى.نهاية جزء الرابع).

[5] أخرجه ابن ماجه في الديات (باب من أمن رجلا على دمه فقتله) ٢٦٧٨، وأحمد في مسنده ٥/ ٢٢٤، والطبراني في الكبير ٢٠/ ٤١.

- وكما حرمت الشريعة الإسلامية على المسلم أن ينال من مال غير المسلم أو دمه بغير حق ، حرمت عليه أيضاً النيل من عرضه بغير حق ، فلقد حرّم الرسول ﷺ قذف الذميّ حفاظاً على الأعراض وحفظاً للعهود ولقد ورد عن النبي ﷺ جملة أحاديث توضح ذلك ومنها : من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار[1].

و في الدر المختار من كتب الحنفية : يجب كف الأذى عن الذمى ، وتحرم غيبته كالمسلم.

- ونرى سمو المشاعر النبوية ونبل المبادئ الإسلامية في الحرص على غيبة غير المسلم شكراً له على حسن موقفه تجاه الرسول ﷺ وتطبيقاً لمبدأ المعاملة بالمثل؛ فعن محمد بن مسلمة قال : كنا يوما عند رسول الله ﷺ فقال لحسان بن ثابت : يا حسان أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية، فإن الله قد وضع عنك آثامها في شعرها وروايتها - وفي لفظ : أنشدنا من شعر الجاهلية، ما عفا الله لنا فيه- ، فأنشده قصيدة الأعشى هجا بها علقمة بن علاثة:

علقم ما أنت إلى عامر   الناقض الأوتار والواتر

في هجاء كثير هجا به علقمة ، فقال النبي ﷺ :يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسي هذا -وفي لفظ :لا تنشدني مثل هذا بعد اليوم . قال : يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر؟ فقال ﷺ :يا حسان أشكر الناس للناس أشكرهم لله، وإن قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني، فتناول مني، وسأل هذا فأحسن القول فشكره رسول الله ﷺ على ذلك -وفي لفظ فقال : يا حسان إني ذكرت عند قيصر، وعنده أبو سفيان بن حرب وعلقمة بن علاثة، فأما أبو سفيان فلم يترك في، وأما علقمة فحسن القول، وإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس[2].

٣- حرية المحاكمات (المتهم بريء حتى تثبت إدانته) :

- ويتميز منهاج الرسول ﷺ بفتح أبواب الحرية على أوسع مدى ، ولقد بلغ حق المواطن في الحرية في صدر الإسلام حدًا لم تبلغه الشعوب في أى عصر من العصور، حيث أن إقامة الحدود محاطة بسياج منيع يحافظ على حريات الناس، فلا تقام الحدود على

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٧/٢٢، والطبراني في الكبير ٥٧/٢٢، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب فيمن قذف ذميا) ٢٨٠/٦.

(٢) أخرجه ابن حجر في الإصابة ٤ / ٥٥٤، والسيوطي في جمع الجوامع ٢/ ٥٩٩.

الشبهات، فقد قال جمهور الفقهاء إن الحدود تدرأ بالشبهات بل أنهم يذهبون إلى أبعد من ذلك فيقررون أن الإمام مندوب إلى الاحتيال لدرء الحد وتلقين المتهم الرجوع عن الإقرار، كما حدث من النبي ﷺ مع ماعز ومع السارق والسارقة[1]

- عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ وسلم فقال : يا رسول الله طهرني فقال : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال بعيد : ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال رسول الله ﷺ وسلم : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، قال بعيد : ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرني فقال النبي ﷺ وسلم مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ وسلم : فيما أطهرك ؟ فقال : من الزنى ، فسأل رسول الله ﷺ وسلم أبه جنون ؟ فأخبر أنه ليس بمجنون ، فقال : أشرب خمرا ؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر ، قال : فقال رسول الله ﷺ وسلم : أزنيت ؟ فقال : نعم ، فأمر به فرجم ، فكان الناس فيه فرقتين قائل يقول لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته ، وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ وسلم فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة ، قال : فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ وسلم .. ثم جلس فقال : استغفروا لماعز بن مالك ، قال : فقالوا : غفر الله لماعز بن مالك ، قال : فقال رسول الله ﷺ وسلم: لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم ، قال : ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت : يا رسول الله طهرني ، فقال : ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه ، فقالت : أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك ، قال : وما ذاك ؟ قالت إنها حبلى من الزنى ، فقال : آنت ؟ قالت : نعم، فقال لها : حتى تضعي ما في بطنك ، قال : فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت ، قال : فأتى النبي ﷺ وسلم فقال : قد وضعت الغامدية ، فقال : إذا لا نرجمها وندع ولدها صغيرا ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار ، فقال : إلي رضاعه يا نبي الله ، قال : فرجمها[2].

- وكما أن الحدود تدرأ بالشبهات فكذلك لا تقام الحدود نتيجة انتهاك حرمات المواطنين لإلقاء التهم عليهم.. وهذا ما وضحه النبي ﷺ ؛ فعَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ:

---

[1] المحلى (ج١١ ص١٥٣) .
[2] أخرجه مسلم في كتاب الحدود (١٦٩٥) .

أُتِى ابْنُ مَسْعُودٍ فَقِيلَ: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ ، وَلَكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذْ بِهِ [١].

- وعن عبد الرحمن بن عوف أنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة المدينة، فبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه، فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم، لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف: أتدرى بيت من هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب فما ترى؟ قال: أرى أن قد أتينا ما ن هي الله عنه، قال الله: {ولا تجسسوا} فقد تجسسنا فانصرف عنهم عمر وتركهم[٢].

- وحذر الرسول ﷺ من إلقاء التهم جزافًا بدون دليل قوي ؛ لأن هذا عاقبته وخيمة عند الله ؛ فقال ﷺ : من بهت مؤمنا أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله عز وجل يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه[٣].

- وقال ﷺ : من قال في امرئ مسلم ما ليس فيه ليؤذيه حبسه الله في ردغة الخبال يوم القيامة حتى يقضى بين الناس[٤].

- وضرب الرسول ﷺ المثل بنفسه في عدم إلقاء التهمة بدون الشروع فيها أو وجود دليل قوي ، فعن معاوية بن حيدة أن النبي ﷺ حبس رجلا في التهمة ثم خلاه[٥].

- وعن جعدة الجشمي أتي النبي ﷺ برجل فقالوا: إن هذا أراد أن يقتلك، فقال له: لم ترع لم ترع؛ ولو أردت ذلك لم يسلط الله علي[٦].

- وسلك الصحابة نهج النبوة في عدم إقامة الحد بدون وجود شاهدين حتى لو كان الخليفة نفسه هو الذي رأى الجاني أثناء ارتكابه الجريمة ؛ فعن زبيد بن

---

(١) أخرجه أبو داود فى الأدب ، باب فى النهى عن التجسس (٤٨٩٠) عبد الرزاق فى مصنفه (٢٣٢/١٠).

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤ / ٤١٩ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه البيهقى فى السنن ، باب الرجل يعترف بحد لا يسميه فيستره ٣٣٣/٨، والقرطبى فى تفسيره ٣٣٣/١٦، والسيوطى فى الدر المنثور ٥٦٧/٧.

(٣) أخرجه القرطبي في تفسيره ٣٣٨/١٦.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١١١/٢- (ردغة بفتح الراء وسكون الدال وفتحها. قال ابن الأثير: إنها عصارة أهل النار...انتهى.الجزء الثاني. ح).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٠٦/٨.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٤٧١/٣، والطبراني في الكبير ٣١٩/٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٧/٨

الصلت قال: قال أبو بكر الصديق: لو وجدت رجلا على حد من حدود الله لم أحده أنا، ولم أدع له أحدا حتى يكون معي غيري[١].

- وعن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب رأى رجلا يسرق قدحا، فقال: ألا يستحي هذا أن يأتي بإناء يحمله يوم القيامة على رقبته؟ [٢].

- وقال ﷺ : رأى عيسى ابن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والذي لا إله إلا هو! فقال عيسى: آمنت بالله وكذبت عيني[٣].

- ويقف الخليفة عمر بن الخطاب موقفًا صارمًا دفاعًا عن حرية جارية ، اتباعًا لنهج النبوة في تحقيق الحرية لكل الناس ، ومنها : أن إلقاء التهم يجب أن يقوم على أسس واضحة قوية ؛ فعن ابن عباس قال: جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب فقالت: إن سيدي اتهمني فأقعدني على النار حتى احترق فرجي، فقال لها عمر: هل رأى ذلك عليك؟ قالت: لا، قال: فهل اعترفت له بشيء؟ قالت: لا، فقال عمر: علي به! فلما رأى عمر الرجل قال: أتعذب بعذاب الله؟ قال: يا أمير المؤمنين! اتهمتها في نفسها، قال: أرأيت ذلك عليها؟ قال: لا، قال: فاعترفت لك به؟ قال: لا، قال: والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله ﷺ يقول: لا يقاد مملوك من مالكه ولا ولد من والده لأقدتها منك! وضربه مائة سوط، وقال للجارية: اذهبي فأنت حرة لوجه الله وأنت مولاة الله ورسوله، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: من حرق بالنار أو مثل به فهو حر وهو مولى الله ورسوله[٤].

٤- الحرية المدنية للمرأة سبق تاريخي لنبي الحرية :

إن ما عرضناه في جميع الأبواب السابقة يبين كيف أعطى الإسلام الحرية للمرأة في الحفاظ على أموالها ومشاعرها ، والتعبير عن رأيها . ونسجل هنا مزيدًا من الحرية المدنية التي أعطاها الأسلام للمرأة ؛ فهي لها حرية ممارسة النشاط الاجتماعي من حضور الاجتماعات العامة للمسلمين في الأعياد ومواعيد الصلاة ، وهذا ثابت بالتواتر والإجماع ؛ فعن ابن عمر قال : كانت امرأة لعمر تشهد صلاة

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ١٠/١٤٤.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٨/٣٤٠.
(٣) أخرجه مسلم في الفضائل ٢٣٦٦، ٢٣٦٨.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢١٦، ٤/٣٦٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٨٨، وابن حجر في فتح الباري ١٢/١٨١.

الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد فقيل لها : لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار ؟ قالت : وما يمنعه أن ينهاني ؟ قال : يمنعه قول رسول الله ﷺ وسلم : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله[١].

كما وضح النبي ﷺ أن للمرأة حرية استقبال الضيف وإكرامه ؛ عن عامر بن شراحيل الشعبي - شعب همدان - أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال: حدثيني حديثا سمعتيه من رسول الله ﷺ وسلم لا تسنديه إلى أحد غيره : فقالت : لئن شئت لأفعلن ، فقال لها : أجل حدثيني : فقالت : نكحت بن المغيرة وهو من خيار شباب قريش يومئذ فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ وسلم ، فلما تأيمت خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وسلم وخطبني رسول الله ﷺ وسلم على مولاه أسامة بن زيد ، وكنت قد حدثت أن رسول الله ﷺ وسلم قال : من أحبني فليحب أسامة ، فلما كلمني رسول الله ﷺ وسلم قلت : أمري بيدك فأنكحني من شئت ، فقال : انتقلي إلى أم شريك - وأم شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان - فقلت : سأفعل ، فقال : لا تفعلي إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فأني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى بن عمك عبد الله بن عمرو بن أم مكتوم وهو رجل من بني فهر [٢].

- عن جابر قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وسلم إذ جاء رسول من عند امرأة من الأنصار فقال إن فلانة تدعوك، فقام رسول الله ﷺ وسلم وقمنا معه حتى انتهينا فبسطت لنا في صورة وهو النخل الملتف فأتت بشاة مشوية وذلك قبيل الظهر، فأكل رسول الله ﷺ وسلم وأكلنا معه، ثم قام رسول الله ﷺ وسلم فتوضأ وصلى الظهر، ثم

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب الجمعة (٩٠٠) عن ابن عمر قال : كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة : .. به

[٢] أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قصة الجساسة (٢٩٤٢) عامر بن شراحيل الشعبي شعب همدان أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس وكانت من المهاجرات الأول فقال : .. به.

إنها بعثت فقالت: يا رسول ألا أبعث لك ببقية أو بفضلة بقيت من الشاة؟ قال: بلى فأتي به فأكل رسول الله ﷺ وسلم وأكلنا معه، ثم قام فصلى ولم يتوضأ. [١].

- **كما وضحت السنة النبوية أن للمرأة الحق في المساهمة في التكافل الاجتماعي؛ فهي رحم الأمة ومصدر الرحمة والحنان فيها** ؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : خرج رسول الله ﷺ وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فقال : أيها الناس تصدقوا ، فمر على النساء، فقال : يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار ، فقلن وبم ذلك يا رسول الله ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يا معشر النساء ثم انصرف ، فلما صار إلى منزله جاءت زينب امرأة بن مسعود تستأذن عليه فقيل : يا رسول الله هذه زينب ، فقال : أي الزيانب ؟ فقيل : امرأة بن مسعود ، قال : نعم ائذنوا لها، فأذن لها ، قالت : يا نبي الله إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عندي حلي لي فأردت أن أتصدق به ، فزعم بن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم ، فقال النبي ﷺ وسلم : صدق ابن مسعود ؛ زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم [٢].

- عن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي ﷺ وسلم : إذا تصدقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة فلها أجرها، ولزوجها أجر ما اكتسب، ولها أجر ما نوت، وللخازن مثل ذلك[٣].

- **كما وضح النبي ﷺ أن للمرأة الحق في عيادة المرضى وعلاجهم** ؛ فعن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة، قالت: أتينا رسول الله ﷺ وسلم في نساء نعوده، وقد حم فأمر بسقاء فعلق على شجرة ثم اضطجع تحته، فجعل يقطر على فواقه من شدة ما يجد من الحمى، فقلت يا رسول الله لو دعوت الله أن يكشف عنك، فقال: إن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٩١/٣.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٩/٢، والحاكم في المستدرك ٤٦٠/٣
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤١/٢، ١٤٢، والترمذي في السنن (٦٧١)، والإمام أحمد في مسنده ٩٩/٦.
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤، ٢٤٦.

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : أصيب سعد يوم الخندق ... فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب . قال الحافظ بن حجر : ... وأن رسول الله ﷺ جعل سعدا في خيمة رفيدة عند مسجده وكانت امرأة تداوي الجرحى فقال : " اجعلوه في خيمتها لأعوده من قريب "[(١)].

- كما وضح النبي ﷺ أن للمرأة حرية السعي في الإصلاح بين الناس ؛ عن إسحاق بن طلحة قال: دخلت على أم المؤمنين عائشة وعندها عائشة بنت طلحة وهي تقول لأمها أم كلثوم بنت أبي بكر: أنا خير منك وأبي خير من أبيك، فجعلت أمها تسبها فقالت عائشة: ألا أقضي بينكما؟ قالت: بلى! قالت: فإن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ وسلم فقال له يا أبا بكر! أنت عتيق الله من النار، فمن يومئذ سمي عتيقا، ودخل طلحة بن عبيد الله فقال: أنت يا طلحة ممن قضى نحبه. [(٢)].

- كما بين النبي ﷺ وسلم أن للمرأة الحرية في الحفاظ على عرضها ؛ حتى تسعى إلى دورها في الحياة وهي مطمئنة ؛ حيث وضع النبي ﷺ الأسس التي يسير عليها المسلمون في حالة الاعتداء على العرض أو الدفاع عنه فإن أحكام الشريعة تحمى المرأة إلى أبعد الحدود وتملك من قوة الردع ما يحافظ على أعراض النساء؛ فعن عكرمة قال: قضى عمر بن الخطاب في المرأة إذا غلبت على نفسها فافتضت أو ذهبت عذرتها بثلث ديتها. [(٣)]

- عن السائب بن يزيد أن رجلا أراد امرأة على نفسها فرفعت حجرا فقتلته .فرفع ذلك إلى عمر ، فقال: ذلك قتيل الله! لا يودى أبدا. [(٤)].

- عن عبيد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب كان يجلد من يفترى على نساء أهل المدينة[(٥)].

٥- النبي محمد يحرر الأرقاء ويجفف منابع الرق :

يعتبر الرسول محمد ﷺ بحق هو صاحب لواء تحرير العبيد ، وتجفيف منابع الرق ؛ حيث وضع من التشريعات الإيمانية ما يساعد على فتح منافذ تحرير الأرقاء

---

(١) فتح الباري ٧ / ٤١٢

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٧٩/١٥، والحاكم في المستدرك ٤٥٠/٢.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف ٢٤٥/١٠، ٢٤٦.

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف ٤٣٥/٩.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الحدود (٢٥٣/٨)

على مصراعيها ؛ فالسنة المباركة توضح الثواب الإلهي لكل من أعتق رقبة مؤمنة أو ساهم في عتقها؛ قال ﷺ **:** من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه[1].

- وقال ﷺ **:** أيما رجل مسلم أعتق رجلا مسلما فإن الله تعالى جاعل وقاء كل عظم من عظامه عظما من العظام محرره من النار، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل وقاء كل عظم من عظامها عظما من عظام محررها من النار يوم القيامة[2].

- وقال ﷺ **:** أربعة يؤتون أجورهم مرتين: أزواج النبي ﷺ ، ومن أسلم من أهل الكتاب، ورجل كانت عنده أمة فأعجبته فأعتقها ثم تزوجها، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سادته[3].

- وقال ﷺ **:** خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من صام يوم الجمعة، وراح إلى الجمعة، وعاد مريضا، وشهد جنازة، وأعتق رقبة[4].

- وقال ﷺ **:** عن البراء أن أعرابيا قال: يا رسول الله علمني شيئا يدخلني الجنة قال: لئن اقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة اعتق النسمة وفك الرقبة قال: أو ليسا واحدا، قال: لا، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها والمنحة الوكوف[5]والفيء على ذي الرحم الظالم، فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير[6].

- والسنة المباركة تشجع على العتق تكفيرًا لكل ذنب ، ووفاء بكل حق ؛ قال ﷺ وسلم : من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه[7].

---

[1] أخرجه مسلم في العتق ١٥٠٩.
[2] أخرجه أبو داود في العتق ٣٩٤٦.
[3] أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥٢/٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٠/٤.
[4] أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦/٧ ، وأبو يعلي في مسنده ٣١٢/٢
[5] الوكوف: أي غزيرة اللبن، وقيل: التي لا ينقطع لبنها سنتها جميعها، وهو من وكف البيت والدمع إذا تقاطر. النهاية (٢٢٠/٥) ب.
[6] أخرجه الحاكم في المستدرك ٢١٧/٢، والدارقطني في السنن ١٣٥/٢.
[7] أخرجه مسلم في الإيمان ١٦٥٧.

- عن ابن عباس قال: أتى النبي ﷺ رجل بجارية سوداء فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها رقبة مؤمنة فهل تجزي هذه عنها؟ فقال لها رسول الله ﷺ: أين الله؟ فأومأت برأسها إلى السماء، فقال: من أنا؟ قالت: رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة[١].

- وتطبق السنة المباركة قوانين الحرية في أجلى صورها حيث أعتق الرسول ﷺ خادمة لأن أحد أصحاب البيت لطمها، وهذا يدل على أن مبادئ الإسلام في حرية الأمن على النفس والمال والعرض لا تتجزأ، فهي مع كل مواطنى الأمة ؛ فعن معاوية بن سويد قال: كنا بني مقرن سبعة على عهد رسول الله ﷺ ولنا خادمة ليس لنا غيرها فلطمها أحدنا فقال النبي ﷺ: أعتقوها فقلنا: ليس لنا خادم غيرها يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: تخدمكم حتى تستغنوا عنها ثم خلوا سبيلها[٢].

- عن أبي قلابة أن رجلا أقعد أمة له على مقلى ، فاحترق عجزها، فأعتقها عمر بن الخطاب ، وأوجعه ضربا[٣].

- وكان النبي ﷺ يعتق كثيرًا من العبيد في الحروب ؛ لزيادة روافد الحرية في الإنسانية المعذبة ؛ فعن يزيد بن أبي حبيب أن رسول الله ﷺ كان إذا حاصر حصنا فأتاه أحد من العبيد أعتقه؛ فإذا أسلم مولاه رد ولاءه عليه[٤].

- عن ابن عباس قال: أعتق رسول الله ﷺ وآله وسلم يوم الطائف كل من خرج إليه من رقيق المشركين[٥].

ووضع الرسول ﷺ من التشريعات ما يحرر كثيرًا من العباد ؛ فبين أن أم الولد إذا كانت من الرقيق ومات زوجها وهو من الأحرار ؛ فإن ولدها يعتقها لأنه حر مثل أبيه ، ولا يصح أن تظل في الرق اعترافا بإنسانيتها ، فعن ابن المسيب أن النبي ﷺ قال في أم الولد: أعتقها ولدها وتعتد عدة الحرة[٦].

---

[١] أخرجه مسلم في المساجد ٣٣، والنسائي في السهو ب٢٠، وأبو داود في السنن ٣٢٨٤، وأحمد في مسنده ٢٩١/٢، ٤٤٩/٥.

[٢] أخرجه مسلم في الإيمان (٣١) وأبو داود في السنن (٥١٦٧) وأحمد في مسنده ٤٤٨/٣، والبيهقي في السنن ١٢/٨.

[٣] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٤٣٨/٩، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٢/٧.

[٤] أخرجه البيهقي في السنن ٣٠٨/١٠.

[٥] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤١١/٧، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢٧٨/٣، وأبو يعلي في مسنده ٤٣٧/٤، وأحمد في مسنده ٢٢٣/١.

[٦] أخرجه ابن ماجه في السنن ٢٥١٦، والبيهقي في السنن ٣٤٦/١٠، والحاكم في المستدرك ١٩/٢، والدارقطني في السنن ١٣١/٤.

ثالثا : حرية العقيدة [١]

إن حريـة العقيدة فـي الإسـلام تعنـى أنـه لا إكـراه فـي الـدين، و هـي ليسـت حريـة الفوضـى والانحـلال، ولكـن حريـة الالتـزام بمبـادئ وأخـلاق سـامية، تحقـق الأمـن والاستقرار السياسي للشعوب، لأنها تمنع تصـارع الشـعوب تحت دواعـي التعصب للدين، ، فـي نفس الوقت تسمح بـالحوار الفكري البنَّـاء الـذي يسـاعد علـى نضـج الشـعوب، وازديـاد وعيهـا وإيجابيتهـا فـي بنـاء الأمـم علـى دعـائم راسـخة مـن مبـادئ الحق. إن حريـة العقيدة التـي أرسـتها الشـريعة تعنـى القضـاء علـى التعصـب الـديني ، وتعنى حماية حقوق المسلمين في بلاد الأقليـات المسلمة ، مقابل أن الأمـة الإسـلامية تحفظ لغيـر المسـلمين حقهـم فـي ممارسـة شـعائر ديـنهم ، فـي حريـة لا تخـدش حيـاء المسلمين أو تجرح كرامتهم.

١ - لا إكراه في الدين :

إن شريعة الإسلام تريد من الإنسان الإرادة الحرة القوية التى تعرف كيف تختـار طريقهـا إلـى ربهـا بوضـوح وبـدون ضـغوط ؛ وذلـك يظهـر فـي قولـه تعالـى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقـــــرة : ٢٥٦)، ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾(يونس:٩٩).

ونعرض فيما يلي منهاج السنة الشريفة في إرساء معالم حرية العقيدة.

فها هو الرسول ﷺ يعرض الإسلام على الناس بدون إكراه على الاعتناق: فعن عيسى بن يونس بن أبـي إسحاق الهمداني عن أبيـه عن جده عن ذي الجوشن قـال: أتيت النبي ﷺ بعد أن فرغ من أهل بدر بابن فرس لي، فقلت: يا محمد إنـي قد جئتك بابن العرجاء لتتخذه، قال: لا حاجـة لـي فيـه، ولكن إن شئت أن أقيضك بـه المختـارة من دروع بدر فقلت: ما كنت لأقيضك اليوم بعدة، قال:فلا حاجة لي فيه. ثم قـال:يـا ذا الجوشن ألا تسلم فتكون من أول هذا الأمر؟ قلت: لا، قال:لم؟، قلت: إنـي رأيت قومك

---

[١] حقوق أهل الذمة فى الدولة الإسلامية، أبو الأعلى المودودى- دار الأنصار، القاهرة.

قد ولعوا بك، قال:فكيف بلغك عن مصارعهم ببدر؟. قال: قلت: بلغني، قال: قلت: إن تغلب على مكة وتقطنها، قال:لعلك إن عشت أن ترى ذلك. قال ثم قال:يا بلال خذ حقيبة الرجل فزوده من العجوة، فلما أن أدبرت قال:أما إنه من خير بني عامر. قال: فوالله إني لبأهلي بالغور إذ أقبل راكب فقلت: من أين؟ قال: من مكة، فقلت: ما فعل الناس؟ قال: قد غلب عليها محمد ﷺ، قال: قلت: هبلتني أمي؛ فوالله لو أسلم يومئذ ثم أسأله الحيرة لأقطعنيها[١].

- وعن صفوان بن عسال قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي ، فقال صاحبه : لا تقل نبي إنه لو سمعك كان له أربعة أعين ، فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات ، فقال لهم : لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت. قال : فقبلوا يده ورجله فقالا : نشهد أنك نبي ، قال :فما يمنعكم أن تتبعوني؟، قالوا : إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي ، وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود[٢].

ولا أدل على سماحة الإسلام أن كل من دخل الإسلام دخل طواعية بدون أى ضغوط من صاحب الدعوة وقد وضحت ذلك السنة النبوية، ومن ذلك ما ورد: عن عوف بن مالك قال: انطلق النبي ﷺ يوما وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم النبي ﷺ:يا معشر اليهود أروني اثنى عشر رجلا منكم يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضبه عليه، فأمسكوا، ما أجابه منهم أحد، ثم

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده (٦٨/٤) - القرحاء: القرحة بالضم في وجه الفرس دون الغرة. القاموس (٢٤٢/١) - الخيارة: يقال جمل خيار وناقة خيار، أي مختار ومختارة. انتهى. النهاية (٩١/٢) - لأقيضه: ومنه الحديث "إن شئت أقيضك به المختارة من دروع من دروع بدر" أي أبدلك به وأعوضك عنه، وقد قاضه يقيضه. وقايضه مقايضة في البيع: إذا أعطاه سلعة وأخذ عوضها سلعة. النهاية (١٣٢/٤) - هبلتني: يقال هبلته أمه تهبله هبلا، بالتحريك: أي ثكلته. النهاية (٢٤٠/٥) أمي ولو أسلم يومئذ ثم أسأله الحيرة لأقطعنيها.

[٢] أخرجه الترمذي في الاستئذان والآداب، باب باب ما جاء في قبلة اليد والرجل (٢٦٥٧) والنسائي في تحريم الدم، باب تحريم الدم (٤٠١٠) وأحمد في مسنده ٢٣٩/٤، والسيوطي في الدر المنثور ٢٠٤/٤.

رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال:أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر والعاقب وأنا المق في النبي المصط في ، آمنتم أو كذبتم، ثم انصرف وأنا معه، حتى كدنا أن نخرج فإذا رجل من خلفنا، فقال: كما أنت يا محمد، فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر يهود؟ قالوا: والله ما نعلم فينا رجلا أعلم بكتاب الله، ولا أفقه منك، ولا من أبيك من قبلك، ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا له: كذبت، ثم ردوا عليه، وقالوا فيه شرا، قال رسول الله ﷺ:كذبتم، لم يقبل قولكم، أما آنفا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن كذبتموه وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم ، فخرجنا ونحن ثلاثة ، رسول الله ﷺ وأنا ، وعبد الله بن سلام ، فأنزل الله فيه : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الأحقاف: ١٠) [١].

*وعن الحسن قال : ابتعث الله النبي ﷺ مرة لإدخال رجل الجنة ، فمر على كنيسة من كنائس اليهود فدخل إليهم وهم يقرأون سفرهم ، فلما رأوه أطبقوا السفر وخرجوا ، وفي ناحية من الكنيسة رجل يموت ، فجاء إليه فقال : إنما منعهم أن يقرأوا أنك أتيتهم وهم يقرأون نعت نبي هو نعتك ، ثم جاء إلى السفر ففتحه ثم قرأ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم قبض ، فقال رسول الله ﷺ :دونكم أخاكم، فغسلوه وكفنوه وحنطوه، ثم صلى عليه[٢].

وأرسل الرسول ﷺ التعليمات إلى عماله ألا يفتنوا الناس عن دينهم تحقيقا لمبدأ حرية العقيدة. *فعن أبي زرعة بن سيف بن ذي يزن ، قال : كتب إلي رسول الله ﷺ كتابا هذه نسخته فذكرها ، وفيه :ومن يكن على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها ، وعليه الجزية على كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار ، أو قيمته من المعافر[٣].

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٤١٥، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه على حديث حميد عن أنس أي رجل عبد الله بن مختصرا، وابن حبان في صحيحه ١٦ / ١١٩، والطبري في تفسيره ٢٦/٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠٥/٧.

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٣٠/٧ - (سفرهم: السفر- بالكسر -: الكتاب، والجمع أسفار. المختار ٢٣٩. ب).

[٣] أخرجه البيهقي في السنن ١٩٥/٩، المعافر: هي برود منسوبة إلى معافر وهي قبيلة باليمن والميم زائدة.

وأعطى الرسول ﷺ حق الأمان لمن بقى على شركه ، رغم ما كان يظهره له من عداء ، وسمح له بالاشتراك في الغزوات ، بدون أى إجبار للدخول في الإسلام.
فعن سهيل بن عمرو قال : لما دخل رسول الله ﷺ مكة وظهر اقتحمت بيتي وأغلقت علي بابي وأرسلت إلى ابني عبد الله بن سهيل أن أطلب لي جوارا من محمد ﷺ : فإني لا آمن أن أقتل ، فذهب عبد الله بن سهيل فقال : يا رسول الله ﷺ أبي تؤمنه؟ قال : نعم هو آمن بأمان الله، فليظهر ، ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله : من لقي منكم سهيلا فلا يشد إليه النظر فليخرج فلعمري أن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، ولقد رأى ما كان يوضع فيه إنه لم يكن له بنافع ، فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ﷺ فقال سهيل : كان والله برا صغيرا وكبيرا . فكان سهيل يقبل ويدبر ، وخرج إلى حنين مع رسول الله ﷺ وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة ، فأعطاه رسول الله ﷺ يومئذ من غنائم حنين مائة من الإبل[1].

حرية العقيدة عند غير المسلمين في الدولة الإسلامية :

تأسيسًا على مبدأ حرية العقيدة الذي قرره الإسلام؛ فعلى الدولة والمسلمين جميعًا واجب التسامح الديني إزاء أهل سائر الملل والنحل. والتسامح الديني ليس معناه بالطبع اتخاذ المواقف المتأرجحة من الأديان أو القول بأن الكل سواء؛ فهو إما جهل أو نفاق ولكن يبدو أن التسامح الديني لابد له من المقومات الآتي[2] :

- رسوخ الإيمان وقوة الاقتناع بأن الإسلام يقوم على حرية الحوار ؛ قال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤)

بهذا المنطق الإيماني، وبحب الخير لجميع الناس، يتقدم المسلم بعرض دينه أمام الجميع ودعوتهم إليه دون فرضه على أحد. بل ولابد من ترك الناس أحرارًا في أن ينظروا في أمرهم ويختاروا أي دين أو معتقد يميلون إليه.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ / ٣١٧ ولم يعلق عليه، وابن حجر في الإصابة ٧/ ٦٩.
(٢) في هذا المضمون: الأستاذ المودودي - الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص٣٩ وما بعدها.

- رعاية شعور غير المسلمين وخاطرهم، بعدم إيذائهم بالقول أو الفعل فمن المنهي عنه سب معتقداتهم أو الاستهزاء بما يدينون به سدًا للذريعة، كذلك التضييق عليهم عند ممارسة دينهم.

- تمكينهم من ممارسة دينهم ومن توفيرهم لوسائلها اللازمة وإعطائهم الحرية الكافية في ذلك مع مراعاة النظام العام والشعور العام.

- تمكينهم من تعليم دينهم على أتباعه وعرضه على أبنائهم دون إرغام وإعطائهم حق الحوارالديني مع المسلمين[١].

وأتباع مختلف الملل والنحل في ظل دولة الإسلام لا تنقصهم حرية في ممارستهم الدينية ترتيبًا على كفالة حريتهم العقيدية. سواء أكانت سيادة الإسلام في البلد تمت بالفتح أم بالصلح؛ فلا يترتب على هذه السيادة الإسلامية تغيير وضع ديني للمواطنين غير المسلمين.

وكان مما جاء في وثيقة نبوية ثم وثائق الخلفاء الراشدين تباعًا: ولهم جوار الله وذمة رسول الله والمؤمنين على ملتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته[٢].

ولم يحدث في جميع الفتوحات الإسلامية أن هدم معبد من المعابد أو كنيسة من الكنائس. واستدل (ابن قدامة) على هذا بوجود الكنائس والبيع حتى في البلاد التي فتحت عنوة[٣]. بل أكثر من ذلك وتمكينًا لهم من ممارسة طقوسهم الدينية سمح الرسول الكريم ﷺ لوفد نجران النصراني بأداء العبادة على طريقتهم في جانب من المسجد النبوي كما روى لنا ابن كثير[٤].

ولهم كذلك أن يتمتعوا بكل ما لا يعتقدون حرمته في دينهم وإن كان محرمًا في الإسلام كالخمر والخنزير ونكاح المحارم؛ فقد كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله:ما بال من مضى من الأئمة قبلنا أقروا المجوس على نكاح الأمهات

---

[١] سو رحمن هدايت. التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم ص٣٤٤- ٣٤٦، ط. دار السلام.
[٢] أبو يوسف، الخراج ص٧٢-٧٤.
[٣] ابن قدامة، المغني ج٨ ص٥٢٦- ٥٢٧.
[٤] السيرة النبوية ج٤ ص٥١.

والبنات؟ وذكر أشياء من أمرهم قد سماها. فكتب إليه الحسن:أما بعد فإنما أنت متبع ولست بمبتدع. والسلام[1].

ولم يقتصر الأمر على ذلك داخل المعابد والكنائس فلهم إقامة أعيادهم والخروج بصلبانهم وشعاراتهم وضرب الناقوس على أن يراعوا الشعور العام بحيث لا يشعرون المسلمين بتحد أو إيذاء؛ فاشترط العلماء لذلك أن لا يكونوا في أمصار المسلمين. ومثل ذلك بالنسبة لتعاطيهم الخمور وتربيتهم الخنازير[2]وليس في هذا حد من حريتهم بل رعاية لما تتطلبه الحياة المشتركة.

النبي محمد يعقد مع اليهود معاهدة تحالف لتقرير حرية الاعتقاد :

يقول الأستاذ محمد حسين هيكل في كتاب حياة محمد : إن العمل السياسي الجليل حقاً والذي يدل على أعظم الاقتدار ، ذلك ما وصل به محمد إلى تحقيق وحدة يثرب والتحالف مع اليهود. وقد رأيت اليهود كيف أحسنوا استقباله أملاً في استدراجه إلى صفوفهم ، وقد بادر هو إلى رد تحيتهم بمثلها ، وإلى توثيق صلاتهم بهم ؛ فتحدث إلى رؤسائهم وتقرب إلى كبرائهم ، وربط بينه وبينهم برابطة المودة باعتبار أنهم أهل كتاب موحدون . **وبلغ من ذلك أن كان يصوم يوم صومهم ، وكانت قبلته في الصلاة ما تزال إلى بيت المقدس قبلة أنظارهم ومثابة بني إسرائيل جميعاً. وما كانت الأيام لتزيده باليهود أو لتزيد اليهود به إلا مودة وقربى ..** كما أن سيرته ، وعظيم تواضعه ، وجميل عطفه ، وحسن وفائه ، وفيض بره بالفقير والبائس والمحروم ، وما أورثه ذلك من قوة السلطان على أهل يثرب؛ كل ذلك وصل بالأمر بينه وبينهم إلى عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الاعتقاد ؛ معاهدة هي في اعتقادنا من الوثائق السياسية الجديرة بالإعجاب على مر التاريخ ، وهذا الطور من حياة الرسول لم يسبقه إليه نبي أو رسول.

كتب محمد ﷺ بين المهاجرين والأنصار كتابًا واعد فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم ، وهذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي بين المسلمين والمؤمنين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة دون الناس

---
[1] أبو عبيد، كتاب الأموال ج١ ص٣٩.
[2] نفس المرجع ص٩٨.

المهاجرون من قريش على ربعتهم[١] يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين - **ثم ذكر لبطون الأنصار بني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني النجار وبني عمرو بن عوف وبني الأوس وبني النبيت مثل هذا الشرط .**

ثم قال : وإن المؤمنين لا يتركون مفرحا[٢]منهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ... **إلى أن قال :** وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ؛ فإن المؤمنين بعضهم مولى بعض دون الناس ، وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة [٣]غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . وأن كل غازية غزت منا يعقب بعضها بعضاً . وأن المؤمنين يبيء ببعضهم على بعض مما نال دماؤهم في سبيل الله ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه. وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً إلا أن يرضى ولي المقتول ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا القيام عليه محدثاً ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه ، يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد – عليه الصلاة والسلام –وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وإن ليهود بني عوف ذمة من المؤمنين ؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ؛ إلا من ظَلَمٍ وإثم؛ فإنه لا يوتغ[٤] إلا نفسه وأهل بيته . وإن ليهود بني النجار ويهود بني الحارث ويهود بني ساعدة ويهود بني جشم ويهود بني الأوس ويهود بني ثعلبة ولجفنة ولبني الشطيبا مثل ما ليهود بني عوف ، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم . وإأن بطانة يهود كأنفسهم . وأنه لا يخرج منهم أحداً إلا بإذن محمد – عليه الصلاة والسلام – وأنه لا يتحجر على ثأر جرح[٥]. وأنه من فتك فبنفسه وبأهل بيته إلا من ظلم ، وإن ليهود بني

---

[١] على ربعتهم : أي على استقامتهم ؛ يريد على أمرهم الذي كانوا عليه .
[٢] المفرح : المثقل بالدين والعيال .
[٣] الأسوة : أي المساواة في المعاملة .
[٤] يوتغ : أي يهلك ويفسد .
[٥] أي لا يلتئم جرح على ثأر.

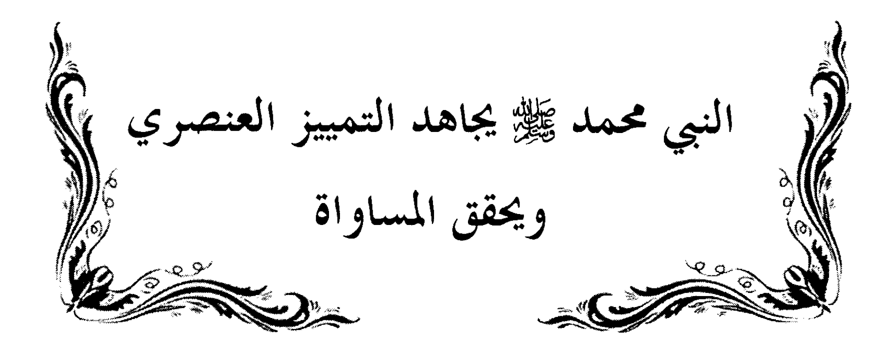
النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف؛ إلا من ظلم • وأن الله على أبر هذا • وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم • وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة• وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم • وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه• وأن النصر للمظلوم • وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة • وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم• وأنه لا تُجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ وأن الله على ما في أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره • وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها • وأن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونهم • وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب الدين على كل أناس حصتهم منة جانبهم الذي قبلهم • وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة • وأن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه • وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره • وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأن الله جار لمن بر وأتقى•

هذه هي الوثيقة السياسة التي وضعها محمد منذ ألف وثلاثمائة وخمسين سنة[١]، والتي تقر حرية العقيدة وحرية الرأي وحرمة المدينة وحرمة الحياة وحرمة المال وتحريم الجريمة • وهي فتح جديد في الحياة السياسية والحياة المدنية في عالم يومئذ ، هذا العالم الذي كانت تعبث به يد الاستبداد ، وتعيث فيه يد الظلم فساداً • لئن لم يشترك في توقيع هذه الوثيقة من اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع ، إنهم ما لبثوا بعد قليل أن وقعوا بينهم وبين النبي صُحفاً مثلها • وكذلك أصبحت المدينة وما وراءها حرماً لأهلها ، عليهم أن ينضجوا عنها ويدفعوا كل عادية عليها ، وأن يتكافلوا فيما بينهم لاحترام ما قررت هذه الوثيقة فيها من الحقوق ومن صور الحرية[٢] •

---

[١] الآن ألف وأربعمائة وثمان وعشرون سنة .
[٢] كتاب حياة محمد – د محمد حسين هيكل – الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٢٣٨ .

الباب الخامس



يقصد بالمساواة أن يكون الناس جميعاً طائفة واحدة، لا يتميز أحدهم عن الآخر في تطبيق القانون العام للدولة. وهذا يعنى تكافؤ الفرص والقضاء على أية امتيازات بسبب الجنس أو اللون أو العقيدة. وذلك للقضاء على التفرقة العنصرية بجميع أشكالها.

فالمساواة بهذا المفهوم تعنى المساواة بين جميع الأجناس، بل حتى بين الحكام والمحكومين في إقامة الحدود، و في الحقوق والواجبات المدنية كحق العمل وحق التعليم والثقافة وحق الملكية و ...، وهناك مساواة أخرى بين المسلمين خاصة تعنى المساواة أمام موازين الشريعة الغرَّاء لا تفاضل فيها بالمال أو الجاه أو الحسب والنسب، فالجميع أمام الشريعة متساوون ولا تفاضل إلا بالتقوى(١).

وهكذا فإن المساواة بمفهومها الواسع في الإسلام تحقق أقصى درجات الاستقرار الاجتماعي والسياسي، وتوفر مناخاً ملائماً لتحقيق درجات عالية من التنمية .. فإذا انحرف مؤشر المنهاج السديد، انحرفت النتائج بلا أدنى شك.

نهج النبي ﷺ في تحقيق المساواة :

لم يترك الرسول ﷺ مجالاً من مجالات الحياة: العقائدية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية إلا وأرسى فيه حجر الأساس لتحقيق المساواة على مستوى الأمة ككل .. وذلك لأن المساواة دعامة راسخة من دعائم تحقيق الاستقرار في الأمة، خاصة أن كل دولة تجمع طوائف شتى من الناس على اختلاف أديانهم وأجناسهم وألوانهم، وهذا الاختلاف يقتضي - بل ويحتم - المساواة لتحقيق الأمان والسلام بين الناس. والقضاء على الصراعات التي تهدم أركان الأمة .

ويمكن تحديد الإطار العام لهذا المنهاج في النقاط التالية :

المساواة أمام موازين الشريعة الغراء :

لم تفرق موازين الشريعة العادلة بين الرجال والنساء، أو بين الأحرار والعبيد، أو بين الأغنياء والفقراء، أو بين سادة القوم وضعفائهم، فالكل سواسية كأسنان المشط أمام التكاليف الإلهية والمنح الربانية، أى المساواة في شئون المسئولية والجزاء .. وتلك المساواة هى الحجر الراسخ الذى يقوم عليه بنيان المساواة في جميع مجالات

---

(١) الخصائص العامة للإسلام – د / يوسف القرضاوي – ط . مؤسسة الرسالة .

الحياة؛ لأن المساواة في موازين الآخرة تفرض المساواة في موازين الدنيا، وكل منهما مرآة تعكس وتتأثر بالمنهج السائد فيهما [(١)].

كيف رسخ الرسول ﷺ مفهوم المساواة أمام موازين الحق ؟

- **بين الرسول ﷺ أن المسلمين أخوة ، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ؛ وذلك اتباعًا لدستور الحق في قوله تعالى** ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣) .

وترجم النبي ﷺ تلك الحقيقة القرآنية بقوله : "المسلمون أخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى"[(٢)].

- وعن عمر قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ قاعدا مع بلال وعمار وصهيب وخباب بن الأرت في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم، فأتوا فخلوا به، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، وإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا فاكتب لنا كتابا، فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ودعا عليا ليكتب، فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية إذ نزل عليه جبريل فقال: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ إلى قوله ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[(٣)].

---

(١) النظريات السياسية الإسلامية د. محمد ضياء الدين الريس أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ، دار التراث.
- الفساد السياسى فى المجتمعات العربية والإسلامية ، محمد الغزالى ، دار نهضة مصر.
- الإنسان وعدالة الله ، محمد سعيد رمضان البوطى، الفارابى ، سوريا.
عوامل الهدم والبناء فى المجتمع الإسلامى، د.عبد الرحمن البر ، دار نور الإسلام المنصورة

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن ٤٩٨/٢ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد (٤١٢٧)عن خباب في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ إلى قوله ﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال : .. به .

- كما أرسى الرسول ﷺ دعائم المساواة بين جميع أبناء الأمة في شئون المسئولية والجزاء الخاصة بالعبادات المختلفة مثل تعلم القرآن والصلاة وشهود الأعياد والاجتماعات العامة والزكاة ؛ فقال ﷺ : "إن الله تعالى ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم، فإنهما صلاة وقراءة فإنهما صلاة وقرآن ودعاء"[1].

- وقال ﷺ : "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء"[2]

- وقال ﷺ : "لتخرجن العواتق وذوات الخدور والحيض ويشهدن الخير ودعوة المؤمنين وتعتزل الحيض المصلى"[3].

- وعَن ابْن عُمَرَ ﷺ قَالَ: فَرَضَ النَّبي ﷺ صَدَقَة الفِطْر - أَوْ قَالَ: رَمَضَانَ - عَلَى الذَّكَر وَالأنثَى، وَالحُرِّ وَالمَمْلُوكِ؛ صَاعًا مِنْ تَمْر، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِير، فَعَدَلَ النَّاسُ بِهِ نِصْفَ صَاع مِنْ بُرٍّ ، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ﷺمَا يُعْطِي التَّمْرَ، فَأعْوَزَ أهْلُ المَدِينَةِ مِنَ التَّمْر فَأعْطَى شَعِيرًا، فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُعْطِي عَن الصَّغِير وَالكَبير حَتَّى إنْ كَانَ لِيُعْطِي عَنْ بَنِيَّ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ يُعْطِيهَا الذِينَ يَقبَلُونَهَا، وَكَانُوا يُعْطُونَ قبْلَ الفِطْر بيَوْم أوْ يَوْمَيْن[4].

– ولقد حدد الرسول ﷺ قواعد المساواة في المسئولية ؛ حيث بين أن كل راع مسئول عن رعيته بدءًا من الحاكم في دائرة الأمة ، والرجل في الدائرة الاجتماعية ودائرة الأسرة ، والمرأة في أسرتها ، والخادم في المجال الذي يخدم فيه ، وتلك المساواة في المسئولية تحقق يقظة الضمير والتكافل الاجتماعي والإحساس بالمسئولية المشتركة ؛ فقال ﷺ : كلكم راع ومسؤول عن رعيته؛ فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم

---

(١) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن (٣٣٩٠)عن جبير بن نفير ان رسول الله ﷺ قال : .. به .

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٣٠٨) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : .. به .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٨/٢ ، والنسائى فى السنن (١٥٥٩) والبيهقى فى السنن ٢٠٦/٣

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣٨/٢ ، والنسائى فى السنن (١٥٥٩) والبيهقى فى السنن ٢٠٦/٣.

راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"(١).

- **وبين الرسول ﷺ أن الحساب الأخروي لا يهتم بالمقامات الدنيوية ؛ بل بالأعمال القلبية لافرق في ذلك بين سيد وعبد ؛ ويدل على ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال :**"إن رجلا دخل الجنة فرأى عبده فوق درجته فقال: يا رب هذا عبدي فوق درجتي؟ فقال له: نعم جزيته بعمله وجزيتك بعملك"(٢).

المساواة بين الحكام والمحكومين :

إن المساواة بين الحكام والمحكومين تعنى الديموقراطية في أجلى صورها، وتعنى بعث الإحساس بالمسئولية لدى كل منهما .. وتعنى بعث الرحمة والرفق في قلوب الحكام؛ حيث تنفي عنهم أحاسيس الغطرسة والكبرياء والاعتزاز بالسلطة .. و في نفس الوقت فالمساواة تؤدى إلى بعث الإحساس بالعزة والكرامة لدى المواطنين، حيث يشعرون بإلغاء الفوارق بين الطبقات والقضاء على المحسوبية والواسطة، واستغلال السلطات في تحقيق الأغراض.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه (٢٢٧٨)عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : .. به .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٢٩/٧، والعقيلي في الضعفاء ١٤٦/١، وابن عدي في الكامل ٤٥٢/٢.

الرسول ﷺ يحقق المثل الأعلى في المساواة بين القائد والرعية :

حقق الرسول ﷺ المساواة في الرأي بينه وبين الناس ؛ وذلك لتفجير الطاقات الكامنة في الإنسان المؤمن ؛ فلا يكبله الخوف أمام رسول الله أن يبدي رأيه في قضايا الأمة ؛ فعنه ﷺ أنه قال : "إنما أنا بشر مثلكم وإن الظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم: قال الله، فلن أكذب على الله"(١).

كما حقق النبي ﷺ المساواة في القصاص بينه وبين الشعب حتى يعلم القادة أن لا أحد فوق القانون؛ فالكل أمام القانون سواء ، ونرى هذا واضحًا في أفعاله وأقواله ﷺ ؛ فعن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه(٢).

- وعن الحسن أن النبي ﷺ لقي رجلا مختضبا بصفرة وفي يد النبي ﷺ جريدة فقال النبي ﷺ: "خط ورس، فطعن بالجريدة بطن الرجل وقال: ألم أنهك عن هذا! فأثر في بطنه وما أدماه فقال الرجل: القود يا رسول الله! فقال الناس: أمن رسول الله ﷺ تقتص؟ فقال: ما لبشرة أحد فضل على بشرتي، فكشف النبي ﷺ عن بطنه ثم قال: اقتص! فقبل الرجل بطن النبي ﷺ وقال: أدعها لك أن تشفع لي يوم القيامة"(٣).

- وعن حبيب بن مسلمة الفهري أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيالم يتعمده، فأتاه جبريل فقال: يا محمد! إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا، فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال: "اقتص مني! فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي! وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي؛ فدعا له بخير"(٤).

- وقد اتفق العلماء على وجوب القصاص بين الراعى والرعية ، وذلك بأن يستقيد السلطان من نفسه لغيره ، فإذا قارف الحاكم أو الوالى جناية على أحد من عباد الله بغير حق وجب للمجنى عليه أن يستقيد منه بالمثل إلا أن يعفو على الدية أو مطلقًا ، وهذه حقيقة من حقائق الإسلام القائم على المساواة والعدل بين الناس مهما تكن الظروف ، وهى حقيقة لا يغفل عنها إلا ظالم لنفسه خائر .

على أن وجوب القصاص بين الحاكم والمحكوم قد ثبت بكل من عمومات الكتاب ثم بالأخبار والآثار المتعلقة بهذه المسألة . أما الكتاب فمنه قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ (البقرة: من الآية ١٧٨) وهو يدل بعمومه على وجوب القود من الحاكم الذى يجنى على أحد من عامة الناس إلا أن يعفو عنه المجنى عليه . وقال سبحانه : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة:٤٥). وفي ذلك من العموم في الحكم ما يجب معه أن يحيق القصاص بكل نفس معتدية قارفت عدوانًا بغير حق على نفس أخرى وذلك بغض النظر عن منزلة الجانى في علوها ودنوها ؛ لأن الأصل في ذلك كله أن المسلمين جميعًا سواسية وهم بذلك تتساوى دماؤهم وأقدارهم الإنسانية من غير تمييز أو اعتبار لفوارق اللون أو الجنس أو المنزلة أو الهيئة .

- **كذلك نرى الخلفاء الراشدين ضربوا أروع الأمثلة في الاقتداء بهدى النبى الأمين ﷺ ، فأعطوا القود من أنفسهم وهم سلاطين . ومن ذلك** ما روى عن ابن شهاب أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان أعطوا القود من أنفسهم فلم يستقد منهم وهم سلاطين[1].

- **كما حقق الرسول ﷺ المساواة في المشاركة مع الشعب في السراء والضراء والصلاة والعمل على جميع المستويات ؛ وهذا ما نراه واضحًا في أفعاله وأقواله وهديه ﷺ** ؛ فعن أنس ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يخالطنا فيقول لأخ لي : "يا أبا عمير ، ما فعل النغير ، ونضع بساطا لنا فيصلي عليه"[2].

- وعن أبي جعفر أن سلمان الفارسي كان لناس من بني النضير فكاتبوه على أن يغرس لهم كذا وكذا ودية حتى تبلغ عشر سعفات، فقال له النبي ﷺ: "ضع عند كل نقير ودية"، ثم

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن باب ما جاء فى قتل الإمام ٥٠/٨.

(٢) أخرجه مسلم في الأدب (٢١٥٠) والترمذي في السنن (١٩٨٩) وابن ماجه في السنن (٣٧٢٠) وأحمد في مسنده ١٧٦/٣، ١٩٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٠٠/١.

غدا النبي ﷺ فوضعها له بيده ودعا له فيها، فكأنها كانت على ثبج البحر علت منها ودية، فلما أفاءها الله عليه وهي الميثب جعلها صدقة، فهي صدقة بالمدينة[١].

- كما دعا الرسول ﷺ إلى المساواة في الوقوف أمام الله تعالى ؛ فلا يحق للإمام أن يقف في مكان أرفع من بقية الناس ؛ وهذا نراه ماثلاً في قوله ﷺ : "إذا أم الرجل القوم فلا يقم في مكان أرفع من مقامهم"[٢]

المساواة في الحقوق والواجبات المدنية :

إن المساواة في الحقوق والواجبات المدنية تعني تكافؤ الفرص أمام كل المواطنين، فكل مواطن في الدولة له حق العمل والإنتاج والتملك والتعاقد والتعليم.. إلى آخر الحقوق المدنية، ولا يحق للحاكم أن يحرم أى مواطن من هذه الحقوق على أى أساس من التفرقة العنصرية، فهذا مرفوض أساسا في الشريعة الإسلامية؛ حيث يعيب القرآن على فرعون هذا المسلك في التفرقة بين المواطنين[٣].. يقول الحق تبارك وتعالى﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤).

ونلحظ ملامح المساواة في نهج الرسول ﷺ فيما يلى:

- لقد بين النبي ﷺ أن لكل إنسان الحق في العيش الكريم داخل الوطن ، ويتساوى الجميع في ذلك ، سواء أسلموا أم ظلوا على ديانتهم ، ويظهر ذلك في تعليمات الرسول سواء في السلم ، أم في وقت الحرب ؛ فقد بين الرسول ﷺ أن الإسلام يتسم بمرونة واسعة في قوانينه تسمح بالمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات المدنية ، فعن مجمع بن عتاب بن شمير ، عن أبيه قال : قلت للنبى ﷺ :

---

[١] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٧٦٦) - (ثبج: الثبج: وسط الشيء تجمع وبرز. جمع أثباج، وثبوج. ومنه ثبج البحر. المعجم الوسيط ٩٣/١. ب) - (الميثب: بالكسر: الأرض السهلة. أقرب الموارد. ب).

[٢] أخرجه أبو داود في السنن (٥٩٨) والبيهقي في السنن ١٠٩/٣.

[٣] انظر: عبد الرزاق محمد آل قاسم، إنسانية الإنسان بين النظرية والتطبيق. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة. محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني فى ظل الإسلام. عبد الحكيم العيلي، الحريات العامة.

إن لى شيخا كبيرا وإخوة ، فأذهب إليهم لعلهم أن يسلموا فآتيك بهم ؟ قال : "إن هم أسلموا فهو خير لهم ، وإن هم أقاموا ؛ فالإسلام واسع عريض" (١).

وعقد الرسول ﷺ معاهدات تقر المساواة في الحقوق المدنية بين الجميع يستوي في ذلك الحاكم والرعية؛ فعن سلمة بن بديل بن ورقاء قال : دفع إلى أبى بديل بن ورقاء هذا الكتاب فقال : يا بنى هذا كتاب النبى ﷺ فاستوصوا به ولن تزالوا بخير : "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بديل ابن ورقاء وبشر وسروات بنى عمرو سلام عليكم، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو، أما بعد فإنى لم أثم بالكم ولم أضع في جنبكم وإن أكرم أهل تهامة على لأنتم وأقربهم رحما، ومن تبعكم من المطيبين وإنى قد أخذت لمن هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسى، ولو هاجر بأرضه غير سكن مكة إلا معتمرا أو حاجا وإنى لم أضع فيكم إذا سلمتم وإنكم غير خائفين ممن قبلى ولا محضورين، أما بعد، فإنه قد أسلم علقمة بن عبلة وابنا هوذة وهاجرا وبايعا على من تبعهم من عكرمة وأخذ لمن تبعه منكم مثل ما أخذ لنفسه، وإن بعضنا من بعض في الحل والحرم، وإنى والله ما كذبتكم وليحيكم ربكم"(٢) .

وكانت وصاياه لمن خرجوا في سرية أن يقروا في معاهداتهم المساواة في الحقوق المدنية ؛ فعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ عَن ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أبيهِ قالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ رَجُلا عَلى سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ في خَاصَّةِ نَفْسِهِ بِتَقْوَى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ خَيْرًا فَقَالَ :"اغْزُوا باسْمِ الله وَ في سَبِيلِ الله، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا وَلا تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تَمْثُلُوا، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا أَنْتَ لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلى إِحْدَى ثَلاثِ خِلالٍ - أوْ خِصَالٍ - فَأَيَّتُهُنَّ أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ: ادْعُهُمْ إِلى الإسْلامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، وادْعُهُمْ إِلى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلى دَارِ المُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَنَّ لهمْ مَا لِلمُهَاجِرِينَ وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مَا عَلى المُهَاجِرِينَ، وَإِنْ أَبَوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ؛ يَجْرِى عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله الَّذِى يَجْرِى عَلى المُؤْمِنِينَ، وَلا يَكُونُ لهمْ في الفَيْءِ وَالغَنِيمَةِ شَيْءٌ؛ إلا أنْ يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا أَنْ يَدْخُلُوا في الإسْلامِ؛ فَسَلْهمْ إِعْطَاءَ

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٧/١٦٣، والبخارى فى التاريخ الكبير ٧/٥٤، وابن سعد فى الطبقات ٦/٣٠.

(٢) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد، باب ما جاء فى الحلف ٦/١٤، وقال: رواه أبو يعلى وأحمد باختصار ورجالهما رجال الصحيح.

الجِزْيَةِ، فَإِنْ فَعَلُوا؛ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا؛ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَيْهِمْ وَقَاتِلْهِمْ، وَإِنْ حَاصَرْتَ حِصْنًا فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّكَ؛ فَلا تَجْعَلْ لهمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلا ذِمَّةَ نَبِيِّكَ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لهمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَبِيكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ آبَائِكُمْ أَهْوَنُ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُوله، وَإِنْ حَاصَرْتَ حِصْنًا فَأَرَادُوكَ أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ اللهِ؛ فَلا تُنْزِلهمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلهمْ عَلَى حُكْمِكَ؛ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لا" [١].

- **ويعطي الإسلام كل إنسان الحق في الإمامة والقيادة ، لا فرق في ذلك بين الألوان والأجناس ، أو بين السيد والعبد ، أو بين الأعمى والبصير ، فالكل له نفس الحق طالما تتوافر فيه المواصفات المطلوبة للقيادة ؛** فعَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ، عَن النَّبِى ﷺ قَالَ:"اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِن اسْتُعْمِلَ حَبَشِي كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ"[٢].

- وعن نافع قال: أقيمت الصلاة في مسجد بطائفة المدينة ولعبد الله بن عمر هناك أرض ، وإمام ذلك المسجد مولى فجاء ابن عمر يشهد الصلاة فقال المولى: تقدم فصل فقال ابن عمر: أنت أحق أن تصلى في مسجدك فصلى المولى[٣].

- وعن الشعبى أن النبى ﷺ استخلف ابن أم مكتوم يوم غزوة تبوك، فكان يؤم الناس وهو أعمى [٤].

- **اهتم النبي ﷺ اهتماما بالغا بالمساواة بين أصحاب النفوذ والضعفاء والمساكين، فحذر من التفرقة في قضاء المصالح بينهم وبين ذوى الجاه في المجتمعات ومن ذلك ما** روى عن أبى **هريرة قال: قال رسول الله ﷺ** :"إياكم والإقراد، يكون أحدكم أميرا أو عاملا فتأتى الأرملة واليتيم والمسكين فيقال: اقعد حتى ننظر في حاجتك فيتركون مقردين لا تقضى لهم حاجة ولا يؤمروا فينفضوا،

---

[١] أخرجه مسلم فى الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٧٣١) والترمذى فى الديات، باب ما جاء عنه ﷺ فى القتال (١٤٠٨) وابن ماجه فى الجهاد، باب وصية الإمام (٢٨٥٨) وأبو داود فى الجهاد، باب فى دعاء المشركين (٢٦١٢).

[٢] أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى (٦٩٣)، وابن ماجه فى الجهاد، باب طاعة الإمام (٢٨٦٠)، وأحمد فى مسنده ١٤/٣، والبيهقى فى السنن ١٥٥/٨.

[٣] أخرجه الشافعى فى مسنده ١ / ٥٥، والبيهقى فى السنن الكبرى، باب الإمام الراتب أولى من الزائر ٣ / ١٢٦، عبد الرزاق فى مصنفه ٢ / ٣٩٩ (ح ٣٨٥٠).

[٤] أخرجه عبد الرازق في مصنفه ٣٩٥/٢ (٣٨٢٨) وسعيد بن منصور في السنن ٣١٥/١ .

ويأتى الرجل الغنى الشريف فيقعده إلى جانبه ثم يقول: ما حاجتك فيقول: حاجتى كذا وكذا، فيقول: اقضوا حاجته وعجلوا" (١) .

- المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات المدنية :

تتساوى المرأة مع الرجل فى الحقوق والواجبات المدنية، فلها حق التصرف في مالها كيفما شاءت، ولها نفس الأجر الذي يناله الرجل من الله وقد وضح الفقهاء ذلك الأمر .

- فقال الأحناف : إن الولاية على الصغيرة إنما كانت لقصر عقلها ، وفيما نحن فيه ليس بموجود - يعني البالغة الرشيدة - ؛ لأنه قد كمل بالبلوغ ؛ بدليل توجه الخطاب فصار الإجبار عليها كالإجبار على الغلام ، فإن كان صغيرًا جاز لقصور العقل وإن كان بالغًا لا يجوز كالتصرف في المال - أي مال البكر البالغة - فإنه لا يجوز للأب التصرف فيه(٢).

- وقال المالكية : إذا عرف بعد البناء رشد المرأة وصلاح حالها جاز بيعها وشراؤها في مالها كله ، وإن كره الزوج إذا لم تحاب فإن حابت أو تكفلت أو أعتقت أو تصدقت أو وهبت أو صنعت شيئًا من المعروف كان ذلك في ثلثها.

- وقال الحنابلة : إن المحجور عليه إذا انفك عنه الحجر لرشده وبلوغه ودفع إليه ماله ثم عاد إلى السفه عاد الحجر عليه . قال ابن قدامة : وظاهر كلام الخرقي في أن للمرأة الرشيدة التصرف في مالها كله بالتبرع والمعاوضة وهذه إحدى الروايتين عن أحمد .. ثم قال : وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وابن المنذر .. ثم قال : وعن أحمد رواية أخرى ليس لها أن تتصرف في مالها بزيادة عن الثلث بغير عوض إلا بإذن زوجها . وقال أيضًا : أن الجارية إذا بلغت وأونس رشدها بعد بلوغها دفع إليها مالها .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى مسند الشاميين ٢ / ٣٣، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ١٠٨/٦ - (والإقراد: يقال أقرد الرجل إذا سكت ذلا، وأصله أن يقع الغراب على البعير فيلقط القردان فيقر ويسكن لما يجد من الراحة. وفى الحديث (إياكم والإقراد، قالوا: يا رسول الله، وما الإقراد؟ قال: الرجل يكون منكم أميرا أو عاملا فيأتيه المسكين والأرملة فيقول لهم: مكانكم حتى أنظر فى حوائجكم، ويأتيه الشريف الغنى فيدنيه، ويقول: عجلوا قضاء حاجته، ويترك الآخرون مقردين). النهاية (٣٦/٤) ب) - (فينفضوا: فض القوم فانفضوا، أى فرقهم فتفرقهم. المختار (٣٩٨) ب).

(٢) راجع العناية على الهداية للبابرتي شرح فتح القدير (٢ص٣٩٥) .

- وقال ابن حزم : وبيع المرأة منذ تبلغ البكر ذات الأب وغير ذات الأب، والثيب ذات الزوج والتي لا زوج لها جائز وابتياعها كذلك[١].

وقال : لا يجوز الحجر على امرأة ذات زوج ولا بكر ذات أب ولا غير ذات أب وصدقتهما ووصيتهما نافذ كل ذلك من رأس المال إذا حاضت كالرجل سواء بسواء .. إلى أن قال : وكل من تصدق وفعل الخير عن ظهر غنى نفذ ولم يحل رده، وكل ما اعتق وتصدق عن غير ظهر غنى رد وبطل؛ لأنه لا طاعة إلا ما أمر الله تعالى به ولا معصية إلا ما نهى الله عنه، فالصدقة بما لا يبقى غنى معصية، والصدقة بما يبقى غنى طاعة[٢].

وبعد فيتضح لنا من تلك النصوص السابقة ما يلي :

- أن الفقهاء جميعًا قد اتفقوا على أن المرأة البالغة الرشيدة ، مع اختلافهم في معنى الرشد عند كل منهم ، أنه يجوز لها التصرف المطلق في المال ، ولقد كانت السنة المشرفة هي الموضحة لرأي هؤلاء الفقهاء حيث جاءت نصوصها لتوضح ذلك؛ فالأحاديث التي جاءت لتوضح دور المرأة في أداء الزكاة معناها انفراد الذمة المالية للمرأة وحقها في التصرف في أموالها ؛ وذلك على سبيل المثال لا الحصر .

وقد كانوا يعتقدون في العالم القديم، نتيجة الأوهام والإيمان بالخرافات، أن المرأة أدنى من الرجل، ومما تعرضت له المرأة نتيجة هذه الفكرة، حرمانها من الوراثة . فلم تكن تحصل على نصيبها من ممتلكات العائلة . وقد حدد الإسلام - لأول مرة في التاريخ البشري - حقها المعلوم في الميراث .

ويقول ج.م. روبرتز[٣]: كان مجيء الإسلام ثورة من نواح متعددة، فقد أبقى على المرأة في وضع أدنى، ولكنه أعطاها الحقوق القانونية في الممتلكات، وهي الحقوق التي لم تحصل عليها المرأة في كثير من البلاد الأوروبية، حتى القرن التاسع عشر . وكانت هناك حقوق حتى للعبيد . ولم يكن في مجتمع المؤمنين طوائف اجتماعية، ولا

---

[١] المحلى لابن حزم (ج٩ ص٥٤)

[٢] المحلى لابن حزم (ج٨ ص٣٠٩) .

[٣] J.M. Roberts, The Pelican History of the World (New York) p.٣٣٤.

مكانات موروثة . وكانت هذه الثورة نابعة من دين، لم يكن يميز بين مختلف جوانب الحياة بل كان يحتضنها كلها .

ويعلق المفكر الهندي الكبير وحيد الدين خان على هذا بقوله : والذين يشيدون بمزايا الإسلام في رحابة صدر، ثم يرددون أن المرأة تحظى بمرتبة أدنى من الرجل في الإسلام، إنما يناقضون أنفسهم . فمنذ العهد القديم إلى العصر الحاضر، والوراثة من أهم القضايا الاجتماعية؛ لأنها تحدد مراتب الأفراد في أي مجتمع . فإقرار الإسلام بإشراك المرأة في وراثة العقارات والممتلكات ـ رغم العرف السائد آنذاك ـ يدل بوضوح على أنه رفع مكانة المرأة، وأعز كرامتها بلا شك .

ويقول القاضي (راجندار اساشار) رئيس المحكمة العليا السابق بدلهي : إنه من الناحية التاريخية كان الإسلام متحررا جدا وتقدميا، في إعطاء المرأة حقوق الملكية . والحقيقة هي أنه لم يكن للمرأة الهندوسية من حقوق في الملكية حتى سنة ١٩٥٦، حين ووفق على مشروع قانون الأحوال الشخصية الهندوسية، بينما أعطى الإسلام هذه الحقوق للمرأة المسلمة قبل ١٤٠٠ سنة[١].

قال تعالى في كتابه الكريم معلنا إشراق عصر الحرية المالية للمرأة :

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء:٧) .

قال سعيد بن جبير وقتادة[٢]: كان المشركون يجعلون المال للرجال الكبار، ولا يورثون النساء ولا الأطفال شيئا . فنزلت تلك الآية : أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى، يستوون في أصل الوراثة، وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم، بما يدلى به إلى الميت من قرابة أو زوجية أو ولاء . وروى أحمد بسنده عن جابر قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيدا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا، ولا ينكحان إلا ولهما مال .. قال : "يقضي الله في ذلك" فنزلت تلك الآية، ثم

---

[١] جريدة ستيتسمان (دلهي الجديدة) ٢٦ إبريل ١٩٨٦ (نقلا عن المرجع السابق) .
[٢] تفسير ابن كثير (ج ١ ص٤٥٤) ط. دار إحياء الكتب العربية .

نزلت آية الميراث توضح الأنصبة : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء: من الآية١١) ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال : "اعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك" .

ولقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق العامة ، ولا يفرق في ذلك بين المرأة المتزوجة أو غير المتزوجة ، وبالمصطلح القانوني الحديث فإن المرأة لها شخصيتها القانونية المستقلة والكاملة فالمرأة المتزوجة لا تفقد أهليتها ولا شخصيتها القانونية كما في أمم الغرب ، فتظل المرأة بعد الزواج تملك حق إبرام العقود ، وتحمل الالتزامات فتحتفظ بحقها في التملك فلها شخصيتها وثروتها الخاصة المستقلة عن شخصية وملك زوجها كما يجب على الزوج ألا يأخذ شيئا من زوجته إلا برضاها ، سواء أكان هو الذي أهدى إليها هذا المال أو حصلت عليه بأي طريق مشروع من طرق التملك[1]. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ (النساء: ٢٠) فلا يجوز للزوج أن يأخذ من زوجته شيئا مما أعطاها ولا مما آل إليها من أي طريق آخر إلا برضاها فقط ، ، يقول جل وعلا : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ (النساء:٤).

المساواة في الحقوق المدنية بين السادة والخدم :

نرى فيما يلي صوراً للمساواة في الحقوق المدنية بين السادة والخدم للقضاء على العصبية والعنصرية فلا وجود لهما في شريعة الإسلام :

[1] حقوق الإنسان في الإسلام – د. على عبد الواحد وافي.

- **فالمساواة تتطلب اختيار الألفاظ التي لا تنم عن العبودية ، بل تدل على الإنسانية** ؛ قال رسول الله ﷺ : "لا يقولن: أحدكم: عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي"(١).

- **والمساواة تتحقق في المشاركة الوجدانية مع الخادم بتناول الطعام معه** ؛ قال ﷺ :"من لم يأنف من ثلاث فهو مؤمن: خدمة العيال والجلوس مع الفقراء، والأكل مع الخادم، هذه الأفعال من علامات المؤمنين الذين وصفهم الله في كتابه أولئك هم المؤمنون حقا" (٢).

- وقال ﷺ :"ما استكبر من أكل مع خادمه وركب الحمار بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها" (٣).

- وقال ﷺ :"إذا جاء خادم أحدكم بطعامه فليقعده معه أو ليناوله منه، فإنه هو الذي ولي حره ودخانه"(٤).

- وقال ﷺ : "صدقت أرض تنبت على شدة تهلك، ولن تهلك بأنهم يعملون بأيديهم ويؤاكلون عبيدهم"(٥).

- **وصورة أخرى للمساواة يحددها الرسول ﷺ بأنه يجب إكرام الخادم مثل الأولاد، ويجب أن يأكلوا من نفس طعام الأسرة** ؛ قال ﷺ :"مملوكك يكفيك فإذا صلى فهو أخوك، فأكرموهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون"(٦).

والمساواة تتحقق في نوعية المأكل والملبس بين أهل البيت والخادم، للقضاء على الفوارق بين الطبقات وهى من نزعات الجاهلية ؛ قال ﷺ :"من لاءمكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، ومن لا يلائمكم منهم فبيعوه، ولا تعذبوا خلق الله"(٧).

---

(١) أخرجه مسلم في الألفاظ من الأدب (١٣)، وأحمد في مسنده ٢/٤٢٣، ٤٦٣، والبغوي في شرح السنة ١٢/٣٥٢.
(٢) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٢/٩٩.
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٠) والبيهقي في شعب الإيمان (٨١٨٨).
(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن (٣٢٩١).
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ ٢٤٦.
(٦) أخرجه ابن ماجه في السنن (٣٦٩١) بنحوه.
(٧) أخرجه أبو داود في السنن (٥١٣٩).

- وعن المَعْرُور بْن سُوَيْدٍ قالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقالَ لِي النَّبِي ﷺ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ؛ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ" [١].

- وقال ﷺ :"أخوك في الإسلام لا تكلفه من العمل إلا ما أطاق، وأطعمه من طعامك وألبسه من لباسك، فإن كرهته فبعه يعني العبد"[٢].

المساواة في مجال القضاء :

يجب أن تتحقق المساواة في ساحة القضاء ليحصل الجميع على حقوقهم بدون تحيز يؤدى إلى الميل عن الحق :

- فالمساواة تعني عدم التمييز بين ذوي النفوذ والجاه وبين الضعفاء والمساكين ؛ فعن أبي رواحة يزيد بن أيهم قال: كتب عمر بن الخطاب إلى الناس، اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء قريبهم كبعيدهم وبعيدهم كقريبهم، وإياكم والرشا والحكم بالهوى وأن تأخذوا الناس عند الغضب فقوموا بالحق ولو ساعة من نهار[٣].

- وعن الشعبي قال: كان بين عمر وبين أبي بن كعب خصومة فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلا، فجعلا بينهما زيد بن ثابت فأتياه فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا وفي بيته يؤتى الحكم فلما دخلا عليه وسع له زيد عن صدر فراشه فقال: ها هنا يا أمير المؤمنين، فقال له عمر: هذا أول جور جرت في حكمك ولكن أجلس مع خصمي فجلسا بين يديه فادعى أبي وأنكر عمر فقال زيد لأبي: أعف أمير المؤمنين من اليمين

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الإيمان، باب المعاصى من أمر الجاهلية (٣٠)، ومسلم فى الإيمان، باب سنان المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه (١٦٦١)، وأحمد فى مسنده ١٥٨/٥، وأبو داود فى الأدب، باب فى حق المملوك (٥١٥٨)، وابن ماجه فى الأدب، باب الإحسان إلى المماليك (٣٦٩٠) - (خولكم: الخول: حشم الرجل وأتباعه، واحدهم خائل، وقد يكون واحدا، ويقع على العبد والأمة، وهو مأخوذ من التخويل: التمليك. وقيل من الرعاية. النهاية ٨٨/٢].

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٧/٤، وعزاه للطبراني في الأوسط.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن ١٣٥/١٠ - (الرشا: والرشوة بكسر الراء وضمها والجمع رشا بكسر الراء وضمها، وقد رشاه من باب عدا. وارتشى: أخذ الرشوة واسترشى في حكمه: طلب الرشوة عليه. المختار (١٩٤) ب).

وما كنت لأسألها لأحد غيره فحلف عمر، ثم أقسم لا يدرك زيد القضاء حتى يكون عمر ورجل من عرض المسلمين عنده سواء[١].

- **والمساواة تقتضي عدم استضافة خصم دون الآخر؛ لأن هذا يعني الميل القلبي له دون الآخر**؛ فعن أبي الأسود عن علي قال: نهى النبي ﷺ أن نضيف أحد الخصمين دون الآخر[٢].

- وعن أبي حرب بن الأسود الديلي عن علي قال: كان النبي ﷺ لا يضيف الخصم إلا ومعه خصمه[٣].

- **والمساواة تستلزم السماع من الخصمين معا في جلسة واحدة**؛ قالَ ﷺ: "إذا جلس إليك خصمان فسمعت من أحدهما فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء"[٤].

- وقضى رسول الله ﷺ أن الخصمين يقعدان بين يدي الحاكم[٥].

وتتحقق المساواة في الحياة الاجتماعية لا فرق بين مسلم وغيره في المظهر العام للعلاقات الاجتماعية ولا بين شريف ووضيع فالكل له نفس الحق في حضور الاجتماعات والمجاملات؛ فعن أبي موسى عن النَّبى ﷺ قالَ :"إذَا مَرَّتْ بِكُمْ جِنَازَةٌ فَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا أَوْ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فقُومُوا لها ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لها نَقُومُ وَلَكِنْ نَقُومُ لِمَنْ مَعَهَا مِنَ المَلائِكَةِ"[٦].

- وعَنْ أبى هُرَيْرَةَ قَالَ : عَطَسَ رَجُلان عِنْدَ النَّبى ﷺ أَحَدُهُمَا أَشْرَفُ مِنَ الآخَرِ ، فَعَطَسَ الشَّرِيفُ ، فَلَمْ يَحْمَدِ الله ، فَلَمْ يُشَمِّتْهُ النَّبى ﷺ ، وَعَطَسَ الآخَرُ فَحَمِدَ الله فَشَمَّتَهُ النَّبى ﷺ ، قَالَ : فَقَالَ الشَّرِيفُ : عَطَسْتُ عِنْدَكَ فَلَمْ تُشَمِّتْنِى وَعَطَسَ هَذَا عِنْدَكَ فَشَمَّتَّهُ ، قَالَ : فَقَالَ :"إِنَّ هَذَا ذَكَرَ الله فَذَكَرْتُهُ، وَإِنَّكَ نَسِيتَ الله فَنَسِيتُكَ"[٧].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن كتاب آداب القاضي (١٣٦/١٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٤/ ١٨٣.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب آداب القاضي (١٣٨/١٠).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١١١، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٥، والبيهقي في السنن ١٠/ ٨٦.

(٥) أخرجه أبو داود في السنن (٣٥٨٨) وأحمد في مسنده ٤/ ٤، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٦.

(٦) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٩١/٤، والتبريزى فى مشكاة المصابيح (١٦٨٥)، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٧/٣.

(٧) أخرجه أحمد فى مسنده ٣٢٨/٢، والحاكم فى المستدرك ٢٦٥/٤، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وابن حبان فى صحيحه ٢ / ٣٦٤.

المساواة في توزيع الثروات :

لقد سبق التشريع الإسلامي كل نظريات المالية العامة فىعدالة توزيع الثروات ، بل يمكن القول إن قوانين الشريعة هى النور الذى بدد ظلمات الاستبداد ، واستغلال الحكام وتسلط الطبقات الغنية على الفقيرة .. حيث تعتبر تلك القوانين هى الرحمة المهداة للبشرية التى حررتها من كل أنواع الظلم والانتهازية ؛ فالإسلام وهو يهدف إلي عدالة توزيع الثروات فهو يرتكز على عدة محاور فى الإصلاح :

أولها : أن التفاوت الكبير فى توزيع الدخول يمكن أن يؤدى إلي أخطار كبيرة فى الاقتصاد القومي أهمها على الإطلاق التضخم وما يصحبه من ويلات وركوداً إقتصادى نتيجة ارتفاع الأسعار .

ثانيها - أن الاختلال الكبير فى الدخول يصحبه اختلال فى المفاهيم الاجتماعية مما قد يهدد الوحدة السياسية للأمة .

ثالثها - أن وجود طبقة كبيرة بدخول منخفضة يعنى انخفاض المستوى الصحي وما يتبعه من انخفاض كفاءة العمل وانخفاض الإنتاجية وهذا يعنى التأثير على الاقتصاد القومي فى مجموعة .

لهذا حرص الإسلام حرصاً شديداً على عدالة توزيع الثروات حرصاً على دوران رأس المال بما يحقق الصالح العام للأمة معنوياً ومادياً فقال تعالى﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾(الحشر: ٧).

وسنرى من خلال نهج سنة النبى ﷺ ونهج الخلفاء الراشدين كيف كان شغلهم الشاغل هو عدالة توزيع الثروات لتحقيق المساواة فى إشباع الحاجات العامة . ولدفع حركة الرخاء الاقتصادى إلي الازدهار.

- حقق الرسول المساواة بين الحاكم والرعية في توزيع الثروات ؛ فعن علي قال: مرت على رسول الله ﷺ إبل الصدقة فأخذ وبرة من ظهر بعير، فقال: "ما أنا أحق بهذه الوبرة من رجل من المسلمين"[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٨٤، وأبو يعلى في مسنده ١/ ٣٥٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٤٦٠، والبخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٧٧.

- **وحقق الرسول ﷺ المساواة في توزيع الثروات بين الرجل والمرأة** ؛ فعن حشرج بن زياد الأشجعي عن جدته أم أبيه أنها غزت مع النبي ﷺ عام خيبر وهي سادسة ست نسوة، فبلغ رسول الله ﷺ، فبعث إلينا، فقال: بأمر من خرجتن؟ ورأينا فيه الغضب، فقلنا: خرجنا ومعنا دواء نداوي به، ونناول السهام ونسقي السويق ونغزل الشعر نعين به في سبيل الله، فقال لنا: "أقمن" قالت: فكنا نداوي الجرحى، ونصلح لهم الطعام، ونرد لهم السهام، ونصلح لهم الدواء ونصيب منهم، فلما فتح الله عليه خيبر قسم لنا كما قسم للرجال، قلت: يا جدة وما كان ذلك؟ قالت: تمرا[(١)].

- **وحقق الرسول ﷺ المساواة حسب الأعباء المعيشية** ؛ فعن عوف بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه فيء قسمه من يومه فأعطى الأهل حظين وأعطى العزب حظا واحدا، فدعينا وكنت أدعى قبل عمار بن ياسر فدعيت وأعطاني حظين وكان لي أهل، ثم دعا بعدي عمار بن ياسر فأعطي حظا واحدا، فتسخط حتى عرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهه ومن حضره، وبقيت قطعة سلسلة من ذهب فجعل النبي ﷺ يرفعها بطرف عصاه فتسقط ثم يرفعها وهو يقول: "فكيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا؟" فلم يجبه أحد، فقال عمار: وددنا والله لو قد أكثر لنا منه فصبر من صبر وفتن من فتن، فقال له رسول الله ﷺ: "لعلك تكون فيه شر مفتون"[(٢)].

- **وسار الخليفة عمر على نهج النبي محمد ﷺ فوضع الإطار العام الذي يدور في إطاره توزيع الثروات بما يحقق المساواة في إشباع الحاجات العامة** ؛ فعن أسلم قال: سمعت عمر يقول: اجتمعوا لهذا المال، فانظروا لمن ترونه، وإني قد قرأت آيات من كتاب الله، سمعت الله يقول: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ إلى قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ والله ما هو لهؤلاء وحدهم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية،

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب قسم الفيء والغنيمة باب المملوك والمرأة يرضخ لهما ولا يسهم (٣٣٣/٦). ورواه أبو داود في كتاب الجهاد باب المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة رقم (٢٧١٢). وقال المنذري: أخرجه النسائي وإسناده ضعيف لا تقوم به الحجة. وفي التلخيص: في إسناده حشرج وهو مجهول.عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤٠١/٧). وعن حشرج هو: حشرج بن زياد الأشجعي. يقول ابن حجر: قرأت بخط الذهبي لا يعرف.تهذيب التهذيب (٣٧٧/٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٢٥، وأبو داود في السنن (٢٩٥٣)، والبيهقي في السنن ٦/ ٣٤٦، وابن حبان في صحيحه ١١/ ١٤٥.

والله ما هو لهؤلاء وحدهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ الآية والله ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال، أعطي منه أو منع حتى راع بعدن[1].

- كما حقق الخليفة عمر المساواة في توزيع الثروات كأفضل ما يكون مع التوصية بالقبط وعدم ظلمهم في جميع المجالات ؛ فعن موسى بن جبير عن شيوخ من أهل المدينة قالوا: كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أما بعد، فإني قد فرضت لمن قبلي في الديوان ولذريتهم ولمن ورد علينا بالمدينة من أهل اليمن وغيرهم ممن توجه إليك وإلى البلدان، فانظر من فرضت له فنزل بك فاردد عليه العطاء وعلى ذريته، ومن نزل بك ممن لم أفرض له فافرض له على نحو مما رأيتني فرضت لأشباهه، وخذ لنفسك مائتي دينار فهذه فرائض أهل بدر من المهاجرين والأنصار ولم أبلغ بهذا أحدا من نظرائك غيرك؛ لأنك من عمال المسلمين فألحقتك بأرفع ذلك، وقد علمت أن مؤنا تلزمك فوفر الخراج وخذه من حقه، ثم عف عنه بعد جمعه، فإذا حصل لك وجمعته أخرجت عطاء المسلمين وما يحتاج إليه مما لا بد منه، ثم انظر فيما فضل بعد ذلك فاحمله إلي واعلم أن ما قبلك من أرض مصر ليس فيها خمس وإنما هي أرض صلح وما فيها للمسلمين فيء تبدأ بمن أغنى عنهم في ثغورهم وأجزأ عنهم في أعمالهم، ثم تفيض ما فضل بعد ذلك على من سمى الله واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يريد أن يقتدى به، وأن معك أهل ذمة وعهد وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم وأوصى بالقبط فقال: "استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما" ورحمهم أن أم إسماعيل منهم وقد قال ﷺ: "من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة"، احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصما فإنه من خاصمه خصمه، والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية هذه الأمة وآنست من نفسي ضعفا، وانتشرت رعيتي ورق عظمي، فاسأل الله أن يقبضني إليه غير مفرط، والله إني لأخشى لو مات جمل بأقصى عملك ضياعا أن أسأل عنه يوم القيامة[2].

---

[1] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب قسم الفيء والغنيمة، باب ما جاء في قول أمير المؤمنين (٣٥١/٦).

[2] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٩٩/٣.

ـ كما سار الخليفة علي بن أبي طالب على نفس الدرب فضرب أروع الأمثلة في تحقيق المساواة في توزيع الثروات ؛ فعن كليب قال قدم علي عليٍّ مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فكسره على سبعة وجعل على كل قسم منها كسرة، ثم دعا أمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولا(١).

ـ وعن عيسى بن عبد الله الهاشمى عن أبيه عن جده قال: أتت عليا امرأتان تسألانه: عربية ومولاة لها ، فأمر لكل واحدة منهما بكر من طعام وأربعين درهما ، فأخذت المولاة التى أعطيت وذهبت ، وقالت العربية: يا أمير المؤمنين تعطينى مثل الذى أعطيت هذه وأنا عربية وهى مولاة ، فقال لها علي: إنى نظرت في كتاب الله عز وجل فلم أر فيه فضلا لولد إسماعيل على ولد إسحاق(٢).

٥ - المساواة في إقامة الحدود :

يقصد بالمساواة في إقامة الحدود عدم تميز أى مواطن عن الآخر في تطبيق القانون العام للدولة . .وهذا يعنى القضاء على التفرقة العنصرية بجميع أنواعها ، ويعنى الحفاظ على أمن المجتمع وسلامته من دواعى الإرهاب؛ لأنها تكفل حماية الأرواح والأموال والأعراض لكل المواطنين بفرض العقاب على كل من ارتكب جريمة من المواطنين ، بصرف النظر عن العقيدة أو المركز الاجتماعى أو الجنس أو اللون (٣).

ونرى منهاج السنة النبوية لتحقيق تلك المساواة في النقاط التالية:

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ١٠/ ٢٥٩.

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى كتاب قسم الفيء والغنيمة باب التسوية بين الناس فى القسمة (٣٤٩/٦) وكان فى الحديث تصحيفا فاستدركته منه.

(٣) يراجع فى ذلك: محمد خضر، الإسلام وحقوق الإنسان. ابن تيمية، السياسية الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية. مصطفى الزرقا، المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام. عبد الوهاب الشيباني، حقوق الإنسان وحرياته الإنسانية فى النظام الإسلامى والنظم المعاصرة. أمير عبد العزيز، نظام الإسلام.

المساواة في إقامة الحدود بين الرجل والمرأة :

لقد وضح النبى ﷺ حقيقة المساواة بين العباد وأنهم من حيث الدم إذا سفح أو أهريق ؛ فإنهم متكافئون ، ولا قيمة في ذلك لأى فارق من الفوارق ، فالجميع في إقامة الحد سواء الرجل والمرأة.

فوجوب الرجم على الزانى (رجلا كان أم امرأة) قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار في مختلف الأعصار ولا نعلم فيه مخالفًا إلا الخوارج فإنهم قالوا : الجلد عقوبة البكر والثيب[١] ؛ لقوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (النور: من الآية ٢) .

وكذلك حد السرقة الجميع فيه سواء قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة:٣٨) . **ويفهم من ظاهر الآية أن كل من سرق تقطع يده.**

ولقد وردت النصوص النبوية التى توضح ذلك ؛ فعن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن:"أيما رجل أرتد عن الإسلام فادعه، فإن تاب؛ فاقبل منه، وإن لم يتب؛ فأضرب عنقه، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام؛ فادعها؛ فإن تابت فاقبل منها، وإن أبت فاستتبها" .[٢]

المساواة في إقامة الحدود بين الشريف والوضيع ، بدون أى تفرقة في المكانة الاجتماعية :

إن تلك المساواة أن الكل أمام القانون سواء مما يمنع انتشار الجريمة بين المترفين أو ذوي النفوذ والعراقة ؛ فعَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ مَسْعُودِ بْنِ الأَسْوَدِ ، عَنْ أَبِيهَا قَالَ : لَمَّا سَرَقَتِ المَرْأَةُ تِلْكَ القَطِيفَة مِنْ بَيْتِ رَسُول ﷺ أَعْظَمْنَا ذَلِكَ ، وَكَانَتِ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ، فَجِئْنَا إِلَى النَّبِي ﷺ

ﷺ :"تُطَهَّرَ خَيْرٌ لها" فلمَّا سَمِعْنَا لِينَ قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ ، أتَيْنَا أُسَامَةَ فقُلْنَا : كَلِّمْ رَسُولَ الله ﷺ ، فلمَّا رَأى رَسُولُ الله ﷺ ذَلِكَ قَامَ خَطِيبًا فقالَ :"مَا إكْثَارُكُمْ عَلَى في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَقَعَ عَلَى أمَةٍ مِنْ إمَاءِ الله؟ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ ابْنَةُ رَسُولِ الله نَزَلَتْ بِالَّذِى نَزَلَتْ بِهِ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا" .[1]

- وعن ابن عمر قال كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها[2].

المساواة في إقامة الحدود بين السيد والعبد :

فقد ذهب الحنفية والثورى وابن أبى ليلى إلى القول بأن يقتل القاتل كيفما كانت حاله ، وقد استندوا في ذلك إلى عموم الآية : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ (البقرة: من الآية ١٧٨) فقالوا : إن ذلك كلام عام ومستتم ومستقل بنفسه ويدل بمفهومه على العموم في الحكم فاقتضى وجوب القصاص على كل قاتل عمدًا إلا ما خصه الدليل سواء كان المقتول عبدًا أو ذمياً ذكرًا أو أنثى ؛ وذلك لشمول لفظ القتلى للجميع ، وكذلك فإنه ليس في الآية ما يوجب خصوص الحكم في بعض القتلى دون بعض [3].

وعلى هذا فقد ذهب هؤلاء إلى قتل الحر بالعبد ، وقالوا - في وجه دلالة الآية على وجوب القصاص بين الأحرار والعبيد في النفس : إن الآية لم يفرق مقتضاها بين العبد المقتول والحر القاتل فهى عموم فيهما جميعًا ، ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة: من الآية ١٧٩)، فأخبر بذلك على وجوب القصاص لما فيه من حياة لنا ، وذلك خطاب شامل للحر والعبد ؛ لأن صفة أولى الألباب تشملهم جميعًا .

---

[1] أخرجه ابن ماجه فى الحدود، باب الشفاعة فى الحدود (٢٥٤٨) والحاكم فى المستدرك ٣٨٠/٤، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

[2] أخرجه مسلم في الحدود (٣١٩٧) والنسائي في السنن (٤٨٠٤) وأبو داود في السنن (٣٨٠٢)، وأحمد في مسنده (٦٠٩٤).

[3] أحكام القرآن للجصاص (ج١ ص١٣٣) وبداية المجتهد (ج٢ ص٣٦٤) وأحكام القرآن لابن العربى (ج١ ص٦١).

وقالوا أيضًا : إن القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهى (العصمة) متحققة بالدين أو الدار ، والعبد في ذلك معصوم على التأبيد ؛ لأنه من أهل الدار ، فهما بذلك يستويان في جريان القصاص[١].

واستدلوا كذلك من السنة بما يلى:

- عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ :"من قتل عبده قتلناه، ومن جدعه جدعناه"[٢].

- وعن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : "المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم، ويرد على أقصاهم" [٣].

- وعَنْ قَتَادَةَ ، عَنِ الحَسَنِ ، عَنْ سَمُرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : "مَنْ قَتَلَ عَبْدَهُ قَتَلْنَاهُ، وَمَنْ جَدَعَهُ جَدَعْنَاهُ، وَمَنْ أَخْصَاهُ أَخْصَيْنَاهُ" [٤].

المساواة في إقامة الحدود بين المسلم وغير المسلم :

ذهب الحنفية إلى أنه إذا قتل ذمى مسلم أو العكس فإنه يجب في حقه القصاص وهو قول النخعي والشعبي ، واحتجوا لذلك بعموم قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ (المائدة: من الآية ٤٥). وعموم هذه الآية يفيد وجوب القصاص للذمى من المسلم ؛ لأن الذمى في دار الإسلام يعتبر معصوم الدم فلا يقتل وكذلك قوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ﴾ (البقرة: من الآية١٧٨)، فهو عام يشمل كل مصون محقون الدم على التأبيد كالمسلم ، واستدلوا كذلك بما أخرجه البيهقى عن

---

[١] أحكام القرآن للجصاص (ج١ ص١٣٥) والهداية (ج٤ ص١٦٠) .
[٢] ابن ماجه (ج٢ ص٨٨٨).
[٣] ابن ماجه (ج٢ ص٨٩٥).
[٤] أخرجه النسائى فى القسامة، باب القود من السيد للمولى (٤٧٣٦) والترمذى فى الديات، باب ما جاء فى الرجل يقتل عبده (١٤١٤) وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وقد ذهب بعض أهل العلم من التابعين منهم إبراهيم النخعى إلى هذا وقال بعض أهل العلم منهم الحسن البصرى وعطاء بن أبى رباح ليس بين الحر والعبد قصاص فى النفس ولا فيما دون النفس وهو قول أحمد وإسحاق، وقال بعضهم إذا قتل عبده لا يقتل به وإذا قتل عبد غيره قتل به، وهو قول سفيان الثورى وأهل الكوفة، وابن ماجه فى الديات، باب هل يقتل الحر بالعبد (٢٦٦٣) وأبو داود فى الديات، باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد منه (٤٥١٥).

عبد الرحمن البيلماني أن رسول الله ﷺ قتل مسلمًا بمعاهد وقال : "أنا أكرم من و في بذمته"[١] .

- وعَن ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ : أُتِي رَسُولُ الله ﷺ بيَهُودِي وَيَهُودِيَّةٍ قَدْ أَحْدَثَا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهمْ : "مَا تَجِدُونَ في كِتابكُمْ ؟" قَالُوا : إِنَّ أَحْبَارَنَا أَحْدَثُوا تَحْمِيمَ الوَجْهِ وَالتَّجْبِيةَ ، قَالَ عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ : ادْعُهُمْ يَا رَسُولَ الله بِالتَّوْرَاةِ ، فَأُتِي بِهَا ، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ وَجَعَلَ يَقرَأُ مَا قَبْلها وَمَا بَعْدَهَا ، فَقَالَ له ابْنُ سَلَامٍ : ارْفَعْ يَدَكَ ؛ فَإِذَا آيَةُ الرَّجْمِ تَحْتَ يَدِهِ ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ الله ﷺ فَرُجِمَا ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَرُجِمَا عِنْدَ البَلَاطِ ، فَرَأَيْتُ اليَهُودِي أَجْنَأَ عَلَيْهَا[٢].

المساواة في الدية بين المسلم وغير المسلم :

فقد ذهبت الحنفية إلى أن دية الذمى مساوية لدية المسلم ونساؤهم كنسائهم في النفس وما دونها وهو قول الثوري ، وهو مروى عن عبد الله بن مسعود وعمر وعثمان ، وبه قال جماعة من التابعين[٣].

- فعن أبى حنيفة عن الحكم بن عتيبة أن عليا قال: دية اليهودى والنصرانى وكل ذمى مثل دية المسلم - قال أبو حنيفة: وهو قولي[٤].

واستدلوا على ذلك بكل من المأثور والنظر ، أما المأثور : فعن ابن عباس قال : "ودى رسول الله ﷺ رجلين من المشركين ، وكانا منه في عهد دية الحرين المسلمين"[٥].

وذهبت المالكية إلى أن دية الذمى على النصف من دية المسلم ، وكذا نساؤهم على النصف من دية نساء المسلمين ، وكذلك ديات الجراحات ، وهو قول عمر بن عبد العزيز .[٦]

---

[١] رواه الدارقطنى (٨٩/٣) وقال: لم يسنده غير إبراهيم بن أبى يحيى وهو متروك الحديث. وقال الألبانى فى السلسلة الضعيفة: منكر (٤٧١/١) برقم (٤٦٠)،وانظر سبل السلام (ج٤ ص٣٥) ومسند الإمام أبى حنيفة ص١٥٢.

[٢] أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الحدود، باب الرجم فى البلاط، (٦٨١٩) ومسلم فى صحيحه كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة فى الزنى (١٦٩٩).

[٣] **شرح فتح القدير (ج١٠ ص٢٧٨) وبداية المجتهد (ج٢ ص٣٧٨، ٣٧٩).**

[٤] **أخرجه البيهقى فى السنن باب دية أهل الذمة ١٠٢/٨، وعبد الرزاق فى مصنفه ٩٧/١٠ (ح١٥٧٣٣).**

[٥] **أخرجه البيهقى فى السنن (ج٨ ص١٠٢).**

[٦] **بداية المجتهد (ج٢ ص٣٧٨) وأسهل المدارك (ج٣ ص١٣٢).**

- وعن معمر عن الزهرى قال: دية اليهودى والنصرانى والمجوسى وكل ذمى دية المسلم ، قال: وكذلك كانت على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان ، حتى كان معاوية فجعل في بيت المال نصفها وأعطى أهل المقتول نصفها [١].

ومن الأسس الثابتة التى أقرتها الشريعة الإسلامية للمساواة أنها أصلت أنه لا ينجو أحد من العقاب في أية جريمة يرتكبها تحقيقا لمبدأ المساواة في إقامة الحدود ، فقد قال الكاسانى في بدائعه : "ولا خلاف في حد الزنا والشرب والسكر والسرقة أنه لا يحتمل العفو والصلح والإبراء بعدما ثبت بالحجة أنه حق لله تعالى خالصًا لا حق للعبد فيه فلا يملك إسقاطه"[٢].

ويعلنها الرسول ﷺ قوية مدوية أنه لا أحد فوق القانون فالكل سواء في تلقي الجزاء ؛ فعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ الله ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: "مَنْ قَتَلَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، أَوْ أَحْرَقَ نَخْلا، أَوْ قَطَعَ شَجَرَةً مُثْمِرَةً، أَوْ ذَبَحَ شَاةً لإِهَابِهَا؛ لَمْ يَرْجِعْ كَفَافًا" .[٣]

المساواة في القيمة الإنسانية :

- يقرر الإسلام أنه لا فرق بين الناس بحسب أصلهم فكلهم لآدم وآدم من تراب، لا فرق بين رجل وآخر، ولا بين رجل وامرأة، وإنما التفاضل بين الناس يكون بالعمل الصالح، ومدى ما يقدمه كل إنسان نحو ربه ونحو أقربائه ومجتمعه وبلده، بل والإنسانية جمعاء .. وهذا يجعل الأمة متماثلة لا مكان فيها للاستغلال أو الظلم أو إهدار كرامة الإنسانية الذى يخمد الأفكار والمواهب ويدفع إلى السلبية. فالإسلام أرسى حجر الأساس للمساواة في القيمة الإنسانية المشتركة وذلك في حالة القوانين الدنيوية، أما في القوانين الأخروية فيحكمها موازين أخرى يحددها قوله تعالى : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ (الأعراف : ٨).

وننتقل إلى بحار السنة الشريفة لنتعرف فيها على معاني سامية للمساواة لم تعرفها البشرية بأى حال من الأحوال قبل الرسالة المحمدية ﷺ، فهو المبعوث بحق رحمة

---

[١] أخرجه أبو حنيفة فى مسنده (١٧٠) وابن رشد فى بداية المجتهد ٢ / ٣١٠.
[٢] بدائع الصنائع ٥٦/٧.
[٣] أخرجه أحمد فى مسنده (٢١٣٣٤).

للعالمين ليحررها من التعصب المهين والتمييز العنصري الذي يهدر كرامة الآدميين؛ فالتطبيق الفعلي لسنة النبي ﷺ حقق المساواة بكل صورها وفي أجلي معانيها، وهذا ما سنتعرف عليه بوضوح فيما يلي :

- **حرم النبي ﷺ الفخر بالآباء لأن ذلك من العصبية الجاهلية** ؛ قال رسول الله ﷺ: "إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن"[١].

- **ونهى ﷺ الرسول عن الصراعات الطائفية واعتبر أن هذا رجوع إلى الجاهلية التي تدعو إلى الشقاق والتنافر** ؛ فعن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فكسع رجل من المهاجرين، رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجر: يا للمهاجرين. فسمع رسول الله ﷺ فقال: "ما بال دعوى الجاهلية" ﷺ فأخبروه بالذي كان، فقال النبي ﷺ: "دعوها فإنما منتنة" وكان المهاجرون لما قدم رسول الله ﷺ أقل من الأنصار ثم إن المهاجرين كثروا بعد فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال: أقد فعلوها؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه"[٢].

- **ووضع الرسول ﷺ قواعد تبين وحدة الإنسانية في أصلها ، ولذلك فالتفاضل يكون بالتقوى وما تترجمه تلك التقوى من أعمال صالحة تفيد الإنسانية** ؛ فقال رسول الله ﷺ : "انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى"[٣].

- وقال رسول الله ﷺ : "إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ودينكم واحد، ونبيكم واحد، ولا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى"[٤].

---

[١] أخرجه أبو داود في السنن (٥١١٦)، وأحمد في مسنده ٣٦١/٢، والبيهقي في السنن ٢٣٢/١٠.

[٢] أخرجه مسلم في البر والصلة (٦٣)، والترمذي في السنن (٣٣١٥)، وأحمد في مسنده ٣٩٣/٣، وعبد الرزاق في مصنفه (١٨٠٤٨).

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ١٥٨/٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨٤/٨، والسيوطي في الدر المنثور ٩٩/٦.

[٤] أخرجه أحمد في مسنده ٤١١/٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨٤/٨.

- ودعا الرسول ﷺ إلى التواضع الذي لا يؤدي إلى الفخر والبغي بل يؤدي إلى الإحساس العميق بالمساواة في القيمة الإنسانية بين الأجناس ؛ فقال رسول الله ﷺ : "إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"[1].

وهكذا فإن المساواة التي أرساها النبي محمد ﷺ تعتبر نور أضاء في ظلمات التاريخ فأعاد للإنسانية المعذبة كرامتها الضائعة وحطم القيود والأغلال التي كانت تئن تحت ضغوطها وتعوق انطلاقها في الحياة بخطوات ثابتة ، تعلن عن إرادة الإنسان المؤمن في صنع الحياة ونشر الحب والمساواة على ربوعها.

[1] أخرجه مسلم في الجنة (٦٤)، وأبو داود في السنن (٤٨٩٥)، وابن ماجة في السنن (٤١٧٨)، والبيهقي في السنن ٢٣٤/١٠.

الباب السادس

الرسول ﷺ يضرب المثل الأعلى
في مواصفات القيادة للشعوب والأمم

انفرد محمد ﷺ عن جميع الأنبياء كما شرحنا فيما سبق بأنه لم يكن نبياً أو رسولاً فقط ، ولكنه كان قائداً أحيا الأمة من العدم وعلمها أرقى النظم السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية ، بما لم يكن مألوفاً من قبل في شبه الجزيرة العربية ، بل في العالم أجمع. حقيقي أنه كانت هناك حضارات ونظم حكم متطورة قبل البعثة المحمدية ، ولكن المبادئ الجديدة التي جاء بها محمد ﷺ لتحديد مواصفات الحكم والقيادة ، تعتبر فريدة في حدثها ، وخاصة ذلك السمو في تطبيق مبادئ الرحمة والعدل والسلام والحرية والمساواة بحيث اتخذت أبعاداً جديدة في مفهوم البشرية ، نقلها من إطار الأنانية والصراعات المادية إلى التفاعل والتعايش السلمي مع الإنسانية ، ونعرض في هذا الباب كيف ضرب الرسول ﷺ المثل الأعلى في مواصفات القيادة سواء بالمبادئ التي أرساها ، أو بالتطبيق العملي، حيث بدأ بنفسه ليكون قدوة يقتدي بها كل من تولى القيادة للأمة؛ حيث إنها أمانة عظيمة ومسئولية جسيمة؛ لأنها تعني مصير الشعوب ، ومدى ما تحققه من عزة وحضارة وتقدم ، أو مهانة ومرارة وتخلف ، وسنرى كيف بين معلم البشرية الأكبر بسلوكه التطبيقي أن القيادة تعني روح المسؤولية في التفاعل الحقيقي مع آمال الشعب والأمة ، كي تتخذ القرارات البناءة التي تحقق مصلحة الأمة وتدفع بها إلى الارتقاء الحضاري ، وتعني قبل هذا وذاك تنظيم حركة المعاملات في الحياة القائمة على الالتزام بالقواعد والضوابط التي تضمن تحقيق الأمن والاستقرار في جميع الميادين ، بما يدفع حركة الحياة في الأمة نحو التقدم المنشود وإعلاء كلمة الحق التي تحقق لتلك الأمة العزة والكرامة المطلوبين لاحتلال مكانتها اللائقة بها بين شعوب العالم.

وتتمثل مواصفات القيادة الحكيمة التي اتصف بها رسول الله ﷺ فيما يلي :

١- القوة المادية والمعنوية

إن قوة القائد المادية والمعنوية تتفق مع موقع القيادة الذى يحتله ، فهو الربان والمرشد وهو الفارس فى ميادين القتال ، وهو فى مقدمة المهمومين ، إذا أحاطت بالأمة الخطوب .. وهو على قمة سلم المسئولية سواء الداخلية أو الدولية .. وكل هذا يستلزم نوعاً من القوة التى يدعو إليها الإسلام ويحث عليها ، فهي ضرورية وحيوية لكل أفراد الأمة ، أما بالنسبة للقائد فهي أشد ضرورة حتى يمكنه قيادة شعب يموج بمشاعر واحتياجات ، وتواجهه كثير من المصاعب والتحديات .

وهكذا فقد اتصف الرسول ﷺ وهو يقود أمة الإسلام سواء في السلم أو الحرب بكل مواصفات القوة في ذروة معانيها التي يمكن أن تتخيلها الإنسانية؛ لأنها ليست قوة البطش والانتقام التي تهدف إلى تحقيق المصالح المادية ، ولكنها قوة الحق التي تهدف إلى الارتقاء بالنفس البشرية ٠٠ ولذلك فهو يضع القوة قاعدة أساسية في اختيار القائد حيث يقول ﷺ : "الإمام الضعيف ملعون"[١].

لأن قائد الأمة يستطيع أن يقود الأمة إلى إعلاء كلمة الحق والعدل، أما القائد الضعيف ، فهو يشيع في الأمة الفوضى والاضطراب .. ولذلك فقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ بأنه ما ثار أبداً لظلم وقع عليه ، ولكنه كان يثور بقوة لمحارم الله .. فعن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ: منتصرا من ظلامة ظلمها قط إلا أن ينتهك من محارم الله شيء، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك، وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما[٢].

ويقول د. حسين مؤنس عن قوة الرسول ﷺ الحربية في الغزوات :

ونرى أن فكرة الخوف لم تخطر قط على بال الرسول أو أحد من أصحابه وهم في أعسر المواقف وأحفلها بالخطر؛ لأن رسول الله ﷺ كان من أثبت الناس جنانًا وأوفرهم شجاعة ، وعندما كانت أحلام بعض أصحابه تطيش عند صدمة اللقاء ، كنت تراه صلوات الله عليه ثابتًا مالكًا زمام نفسه، يدبر الأمر في ثقة وكأنه ليس في ميدان قتال ، وما أهمته نفسه قط في ساحة الوغى ، إنما كان همه أصحابه ومصير المعركة .. وما فكر بعد معركة في حساب أحد من أصحابه على خطأ وقع فيه؛ لأنه كان يرى نفسه معلمًا وهاديًا

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٠٩، وابن عبد البر في التمهيد ٢/ ٢٨٤.

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده ١/ ١٢٥، وأبو يعلى في مسنده ٧/ ٤٣١، والترمذي في الشمائل ١/ ٢٨٨.

يعلم الناس بالمثل يضربه ، ويهديهم بالقدوة يمثلها لهم ، فيشعر الصحابي بخطئه ولا يعود إلى مثله دون أن يشعره بأنه وقع في خطأ.

ومن دلائل فطنته ﷺ أنه كان يعرف وجوه كل أصحابه حتى في كبار المغازي ، وكان دائم التصفح لوجوههم ، فإن وجد فيهم وجهًا غريبًا أنكره وأقبل على صاحبه يسأله عن أمره ، وفي أكثر من مرة يتبين أن الوجه الغريب لدسيس على المسلمين ، دخل في جملتهم يستطلع أمورهم ليبلغ الأعداء ما رأى وسمع ، فيكون الرسول ﷺ من دون عامة أصحابه هو الذي يكشف أمر الجاسوس الدسيس ، فإذا انكشف أمره دعاه الرسول ﷺ إلى دخول الإسلام ، فإذا دخل فيه عفا عنه ؛ لأن الإسلام يجب ما قبله .. بل يبلغ الأمر أن يكون الدسيس قد اندرج في جملة المسلمين يريد بالرسول أذى ، فلا يكاد يرى وجه الرسول ويسمع صوته حتى تزول من نفسه كراهته ويصبح من أحب الناس إليه ، فيسلم على يديه وينتهي الأمر[1].

مظاهر قوة الرسول ﷺ التي تكلم عنها الناس :

كان النبي ﷺ أشجع الناس ، وأحسنهم وأجودهم كما وصفته زوجته السيدة عائشة : فعنها رضى الله عنها قالت : "كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس"[2].

- **وكان ﷺ لا يبالي فيما أصابه في سبيل الدفاع عن الحق ومواجهة قوى الباطل** ؛ عن عنبسة بن الأزهر عن أبي الأسود النهدي عن أبيه قال: ركب رسول الله ﷺ إلى الغار فأصيب إصبع رجله فقال: "هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت"[3].

- وعن عبد الله بن أبي بكر عن رجل قال: هشمت البيضة على رأس رسول الله ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته، وجرح في وجهه،ودووي بحصير محرق؛ وكان علي بن أبي طالب ينقل إليه الماء في الحجفة[4].

---

[1] دراسات في السيرة النبوية. د. حسين مؤنس – الزهراء للإعلام العربي ص١١٧، ١١٨

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب باب حسن الخلق والسخاء (١٦/٨).

[3] أخرجه مسلم كتاب الجهاد رقم (١٧٩٦). والترمذي كتاب التفسير من سورة الضحى رقم (٣٣٤٥) وقال: حسن صحيح.

[4] أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٤/ ٥٤٠، والبيهقي في السنن ٢/ ٤٠٢، والطبراني في الكبير ٦/ ١٤٤، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٧٣.(يدوه ودووى: من باب دوي يدوي دوى فهو دو إذا هلك بمرض باطن، والمراد باللفظين التداوي والعلاج. النهاية (١٤٢/٢).

- وكان ﷺ في الحروب من أشد الناس بأساً على العدو، أشدهم قرباً منه بحيث لا يقترب منه إلا أشجع الرجال من العرب ؛ عن حذيفة قال: كنا إذا احمر البأس نتقي برسول الله ﷺ، وإن الشجاع للذي يحاذي به[١].

- وعن علي قال: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً[٢].

- وكان ﷺ أكثر الناس صموداً أمام العدو حيث كان يستميت في الدفاع ببطولة نادرة ؛ فعن ابن عباس قال: ما بقي مع النبي ﷺ يوم أحد إلا أربعة أحدهم عبد الله بن مسعود[٣].

- وعن جابر قال : كان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم حنين أيمن ابن أم أيمن وهو أيمن بن عبيد[٤].

- وعن الحارث بن بدل قال: شهدت رسول الله ﷺ يوم حنين فانهزم أصحابه أجمعون إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث فرمى رسول الله ﷺ وجوهنا بقبضة من الأرض، فانهزمنا فما خيل إلي أن لا شجر ولا حجر إلا وهو في آثارنا[٥].

- وكان ﷺ شجاعاً في مواجهة المتكبرين الذين يريدون القضاء عليه ، ولا يحتاج إلى حرس لحمايته منهم ؛ فعن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن النبي ﷺ استقبله رجل من المشركين يوم أحد مصلتا يمشي فاستقبله رسول الله ﷺ يمشي فقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فضربه رسول الله ﷺ فقتله[٦].

- وعن جابر قال: رأيت رسول الله ﷺ يوما ضرب بسيفين في سبيل الله قال: خذها وأنا ابن العواتك من سليم[٧].

- وكان الصحابة يلجأون إليه في الشدائد التي لا يقدرون عليها ، فعندما عجزوا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٧٦) وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٤٢٦، وأحمد في مسنده ١/ ١٥٦، وأبو يعلى في مسنده ١/ ٢٥٨.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٨٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٥٤.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ٩٥.
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١/ ٢٨٨.
(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٢٦٧، وأحمد في مسند الشاميين ٢/ ٣٢٩.
(٦) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢٤/١) بلفظ: أنا النبي لا كذب... الخ. (مصلتا: يقال: أصلت السيف إذا جرده من غمده. النهاية ٤٥/٣).
(٧) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٠، والألباني في الصحيحة (٩٦، ١٥٦٩).

عن كسر صخرة لشدة الجوع الذي أصابهم ، كان هو القائد القوي الذي كسرها رغم أنه كان يقاسي الجوع مثلهم ويضع على بطنه حجراً ؛ فعن جابر قال: مكث النبي ﷺ وأصحابه يحفرون الخندق ثلاثا ما ذاقوا طعاما، فقالوا: يا رسول الله إن هنا كدية من الجبل، فقال رسول الله ﷺ: "رشوا عليها الماء فرشوها، ثم جاء النبي ﷺ فأخذ المعول أو المسحاة ثم قال: بسم الله، ثم ضرب ثلاثا فصارت كثيبًا ، قال جابر: فحانت مني التفاتة فرأيت رسول الله ﷺ قد شد على بطنه حجرا" [١].

- **وكان ﷺ ذكياً في التخطيط للمعارك وفي التعبئة المعنوية للجيش ؛** فعن الشعبي قال: مكر رسول الله ﷺ بالمشركين يوم أحد وكان أول يوم مكر فيه بهم[٢].

- وعن البراء بن عازب قال: لا والله ما ولى النبي ﷺ ولكن ولي سرعان الناس، فلقيهم هوازن بالنبل والنبي ﷺ على بغلته البيضاء، وقال أبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته والنبي ﷺ يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب [٣].

- وعن جابر أن النبي ﷺ قال يوم حنين: "الآن حمي الوطيس، ثم انتحى ركابه وقال: هزموا ورب الكعبة"[٤].

- وكان ﷺ ذا إرادة وعزيمة مذهلة في خوض القتال، وخاصة بعد اتخاذ القرار، فعندما اختلف المسلمون يوم أحد على طريقة لقاء العدو ، هل يخرجون للقاء العدو أم يتحصنوا بالمدينة ، وبعد ما استقر رأي العامة على الخروج وأعد النبي عدته الحربية ، رأى البعض التحصن في المدينة أفضل فرفض الرسول التردد وقال ﷺ : "ما ينبغي لنبي أن يضع أداته بعد أن لبسها حتى يحكم الله ﷻ بينه وبين عدوه"[٥].

تلك كانت بعض مظاهر قوة محمد ﷺ التي اقتبسنا منها شعاعات تتناسب مع قدرتنا المحدودة ، أما قوته الحقيقية فهي تتمثل في صموده أمام قوات المشركين التي تحالفت

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤/ ٤١٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٤١٦(كدية: الكدية: قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس. النهاية ١٥٦/٤) كثيبا (كثيبا: الكثيب: الرمل المستطيل المحدود. النهاية ١٥٢/٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٢٢٠، ٧/ ٣٧١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٧١٩) ومسلم في صحيحه (١٧٧٦) والترمذي في السنن (١٦٨٨) وأحمد في مسنده ٤/ ٣٠٤.

(٤) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٣٩، ٦/ ١٨٠.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٢٩، والبيهقي في السنن ٧/ ٤١، وابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٣٤١.

ضده تريد القضاء عليه ، وصموده أمام تحويل النفوس البشرية من ظلمات الشرك والعبودية ، إلى نور التوحيد والحرية ، وهذا الصمود سرت أنواره في كيان أصحابه ، فحولتهم إلى فرسان بالنهار ، رهبان بالليل ، وكانوا منارات هدى أضاءت للبشرية طريقها فعلمتهم الصمود والتصدي بقوة الحق أمام كل قوى البغي والطغيان.

٢- العدل

رغم أننا شرحنا كيف أرسى رسول الله ﷺ دعائم العدل في الباب الثاني ، إلا أننا نعود فنتكلم عن بعض مواصفات العدل المطلوبة في القائد لتحقيق التوازنات المطلوبة لرقي الأمة ؛ لأن العدل مع الرعية يحقق المناخ اللازم لازدهار الكفاءات والمواهب في جميع المجالات ، ويحقق السلام الاجتماعي ويحقق وحدة الأمة وتماسكها ، أما الظلم فهو يؤدي إلى انهيار البناء الاجتماعي وسيادة الطبقية ، وقد عبر عن ذلك معلم البشرية الأكبر حيث قال ﷺ : "ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت، فيعز بذلك من أذل الله، ويذل من أعز الله، والمستحل لحرم الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي"(١).

العدل مع غير المسلمين ضرورة حيوية للأمة :

شرحنا أهمية العدل عموما في الباب الثاني كدعامة من دعائم المنهج الإسلامي ولأهمية العدل القصوى من الحاكم لحفظ كيانها بيَّن الرسول القائد ﷺ أن ظلم غير المسلمين في الدولة الإسلامية يؤدي إلى سيادة الأعداء على المسلمين بسبب اختلال موازين الحق في الأمة ؛ فقال ﷺ : "إذا ظلم أهل الذمة كانت الدولة دولة

(١) أخرجه الترمذي في كتاب القدر (٢١٥٤)عن عمرة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ : ..به . وقال أبو عيسى : هكذا روى عبد الرحمن بن أبي الموالي هذا الحديث عن عبيد بن عبد الرحمن بن موهب عن عمرة عن عائشة عن النبي ﷺ ، ورواه سفيان الثوري وحفص بن غياث وغير واحد عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب عن علي بن حسين عن النبي ﷺ مرسلا وهذا أصح ..

العدو، وإذا كثر الربا كثر السبا ،وإذا كثر اللوطية رفع الله يده عن الخلق ولا يبالي في أي واد هلكوا"[١].

- وسبب ذلك أن الله يكره الظلم ويحرمه، فهو القائل عز وجل في حديثه القدسي : "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا"[٢].

فإذا ظلم أحد لا يستطيع رد الظلم عن نفسه ، اشتد غضب الله على هذا الظالم ؛ قال ﷺ : "اشتد غضب الله على من ظلم، من لا يجد ناصرا غير الله"[٣].

- وعن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي أنه كان ليهودي عليه أربعة دراهم فاستعدى عليه فقال : يا محمد إن لي على هذا أربعة دراهم ، وقد غلبني عليها؟ قال :"أعطه حقه" ، قال : والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها ، قال :"أعطه حقه"، قال : والذي نفسي بيده ما أقدر عليها قد أخبرته أنك تبعثنا إلى خيبر ، فأرجو إن تغنمنا شيئا فأرجع فأقضيه ، قال :"أعطه حقه". وكان رسول الله ﷺ إذا قال ثلاثا لم يراجع ، فخرج ابن أبي حدرد إلى السوق وعلى رأسه عصابة وهو متزر ببردة ، فنزع العمامة عن رأسه فاتزر بها ، ونزع البردة فقال : اشتر مني هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم ، فمرت عجوز ، فقالت : مالك يا صاحب رسول الله ﷺ ؟ فأخبرها ، فقالت : ها دونك هذا البرد عليها طرحته عليه[٤].

كيف يحقق القائد العدل مع الرعية؟

يحقق القائد العدل بالامتناع عن تكريم ذوي النفوذ والجاه وقضاء حاجاتهم ، وإقصاء الضعفاء من الأرامل واليتامى والمساكين والتكاسل عن تلبية احتياجاتهم .. حيث بين الرسول ﷺ أن من وُليَ من أمور المسلمين شيئاً فاحتجب عن ذوي الاحتياجات من الفقراء والمساكين وأغلق بابه عن الضعفاء والمظلومين ، احتجب الله عنه يوم القيامة :

---

[١] أخرجه الطبراني في الكبير ٢/ ٢٠٠، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ١١١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٥٥.

[٢] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم (٢٥٧٧)عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : .. به .

[٣] أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٩.

[٤] أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ٤٢٣، والطبراني في الأوسط ٥ / ٥، والهيثمي في مجمع الزوائد، باب منع الماوردي من السفر ٤ / ١٢٩ وقال: رواه أحمد والطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات إلا أن محمدًا ابن أبي يحيى لم أجد له رواية عن الصحابة فيكون مرسلا صحيحا

- قال ﷺ : "من ولي من أمور المسلمين شيئا فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم وفاقتهم احتجب الله عنه يوم القيامة دون خلته وحاجته وفاقته وفقره"(١).

- وقال ﷺ : "من ولي من أمر المسلمين شيئا فاحتجب عن ضعفة المسلمين وأولي الحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة"(٢).

- وبيّن الرسول ﷺ أن القائد الذي يغلق بابه أمام ضعفاء الأمة، فإن الله يغلق أمامه أبواب رحمته في وقت يكون أشد احتياجا لتلك الرحمة ؛ قال ﷺ : "من ولي من أمر الناس شيئا فأغلق دون المسلمين أو المظلوم أو ذوي الحاجة أغلق الله دونه أبواب رحمته عن حاجته، وفقره أفقر ما يكون إليه"(٣).

مواصفات القائد العادل :

- **يحدد الرسول ﷺ مواصفات القائد العادل بأنه يقبل النقد البناء ويحكم للناس كحكمه على نفسه** ؛ قال ﷺ : "أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل! الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم"(٤).

الرسول القائد ﷺ قدوة في العدل الأمثل :

- **ضرب الرسول ﷺ في موقع القيادة المثل الأعلى في العدل؛ حيث يسمح للرعية بالقصاص منه في حالة الخطأ** ؛ فقد روي أن أسيد بن حضير كان رجلا ضاحكا مليحا فبينا هو عند رسول الله ﷺ يحدث القوم ويضحكهم فطعن رسول الله ﷺ بأصبعه في خاصرته، فقال: أوجعتني! قال: اقتص، قال: يا رسول الله! إن عليك قميصا ولم يكن علي قميص، فرفع رسول الله ﷺ قميصه، فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه يقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله أردت هذا(٥).

- وعن حبيب بن مسلمة الفهري أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده، فأتاه جبريل فقال: يا محمد! إن الله لم يبعثك جبارا ولا

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الخراج والفيء والإمارة باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية رقم (٢٩٣٢) - (وخلتهم: الخلة بالفتح الخصلة، وهي أيضا الحاجة والفقر.انتهى.المختار (١٤٦).
(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢١٠) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤ / ١٠٦) وصححه ، ووافقه الذهبي .
(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٦٧/٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٦/١، ١٨٧/٢، وابن كثير في التفسير ٤٩٠/٧.
(٥) أخرجه البيهقي في السنن ٤٩/٨، والطبراني في الكبير ١٧٥/١، والعجلوني في كشف الخفاء ٥٣/٢ - (كشحه: الكشح: الخصر. أ ه (١٧٥/٤) النهاية.

متكبرا، فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال: اقتص مني! فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي! وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي؛ فدعا له بخير[(١)].

- ويصل إحساس الرسول ﷺ إلى درجة متناهية من السمو؛ حيث يخشى حياء بعض المسلمين من طلب القصاص منه ، فيدعو الله أن تكون مغفرة لـه وقربة لهم في الآخرة ، قال ﷺ : "لقد اشترطت على ربي شرطا لا خلف له، فقلت: اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضبون، وأجد كما يجدون، فأي المسلمين ضربت أو سببت أو لعنت أو آذيت فاجعلها له مغفرة ورحمة وقربة تقربه بها يوم القيامة"[(٢)].

- وحث الرسول ﷺ عامة الناس على المطالبة بالقصاص منه ليكون قدوة في تحقيق سيادة العدل في أرجاء الأمة ؛ فقال ﷺ : "يا أيها الناس! إنما أنا بشر مثلكم، ولعله أن يكون قد قرب مني خفوف من بين أظهركم، فمن كنت أصبت من عرضه أو من شعره أو من بشره أو من ماله شيئا، هذا عرض محمد وشعره وبشره وماله فليقم فليقتص! ولا يقولن أحد منكم: إني أتخوف من محمد العداوة والشحناء؛ ألا! وإنهما ليستا من طبيعتي وليستا من خلقي"[(٣)].

- ونهى الرسول القائد ﷺ عمر بن الخطاب عن زجر من يطالب بحقه من رسول الله ، وبيَّن أن الأولى حسب موازين العدل الإيماني أن يطلب من الرسول حسن الأداء ؛ فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدي زيد بن سعنة ، قال زيد بن سعنة : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا شيئين لم أخبرهما منه : هل يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما ، فكنت ألطف به لئن أخالطه فأعرف حلمه من جهله ، قال زيد بن سعنة : فخرج رسول الله ﷺ يوما من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال : يا رسول الله إن بصرى قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا آتاهم الرزق رغدا وقد أصابتهم سنة وشدة وقحوط من الغيث ، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعًا كما دخلوا فيه طمعًا ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت ، فنظر إلي رجل وإلى علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ما بقي منه شيء ، قال زيد بن سعنة : فدنوت إليه فقلت : يا محمد هل لك أن تبيعني

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٨٨/٣، ٣٣١/٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٣٧/٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٠٧/٦، وبنحوه مسلم في صحيحه (٢٦٠٢)، والبيهقي في السنن ٦١/٧.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن ٣٣٩/٣ - (خفوف: أي حركة وقرب ارتحال. يريد الإنذار بموته ﷺ. النهاية ٥٤/٢.

تمرًا معلومًا بني فلان إلى أجل كذا وكذا ، فقال : لا يا زفر ولكن أبيعك تمرًا معلومًا إلى أجل كذا وكذا ، ولا بني فلان ، فقلت : نعم ، فبايعني فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاها الرجل فقال : اعدل عليهم وأعنهم بها فقال زيد بن سعنة : فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له : ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله ما علمتم يا بني عبد المطلب سيء القضاء مطل ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم ، ونظرت إلى عمر فإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره فقال : يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به ما أرى ، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال : "يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا؛ أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه، اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان مارعته"[1]

٣ - الشورى

إن الشورى التى كفلتها الشريعة للمواطنين تهدف إلى استخلاص عصارة الفكر و تحصيل التجارب و الخبرات التى أصقلتها السنون لصالح الأمة الإسلامية. وهى تعنى الارتقاء بالإنسان إلى مستوى المسئولية فى الوطن، مما يمكنه من المساهمة الإيجابية فى التعبير عن الرأى تجاه أمته و المشاركة الوجدانية مع هموم الوطن و مشكلاته. وهى تعنى تكوين رأى عام إيجابى يعكس نظاما متكاملا للحكم بين القائد و الشعب لا يفقد فيه أى من الطرفين حريته أو يمكنه أن يتهرب من مسئوليته.

لقد بين الرسول ﷺ أن الشورى لها ضوابط شرعية و دوافع إيمانية يجب عدم التقصير فيها، سواء من القائد أو الرعية وإلا تعرضت الأمة بأسرها إلى ركود عام فى جميع مجالات الحياة؛ لأن الشورى تهدف إلى القضاء على ديكتاتورية القائد في إصدار القرارات وبالتالي تجميع مواهب الأمة و طاقاتها، مما يسهل اتخاذ القرار الذى يحقق المصلحة العليا للوطن:

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٢/٢، ٦٠٥، والبيهقي في دلائل النبوة ٢٧٩/٦، وفي السنن ٥٢/٦ - (رعته: الروع بالفتح، الفزع، وراعه من باب قال فارتاع أي: أفزعه ففزع وروعه ترويعا. المختار (٢٠٩).

أهمية الشورى في الحكم :

أرست السنة الشريفة بقوانينها السامية ضرورة الشورى كأساس ينبني عليه نظام الحكم تنفيذا لأوامر الحق جل شأنه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

ووضع الرسول ﷺ للشورى ضوابط تحقق لها الهدف المنشود منها، من تحقيق الاستقرار السياسى والاجتماعى والاقتصادى للأمة الإسلامية بأسرها.. ورغم أن المسلمين يتكلمون كثيرا عن الشورى، إلا أنهم لم يعرفوا قدر الشريعة وسموها فى أنها جعلته حقا وواجبا على كل مسلم؛ لأن الشورى تعنى حماية المواطن من عثرات رأى الفرد، وتعنى حماية الدولة من تشتت السبل بها، وتعنى أولا وأخيرا فاعلية المواطن وإيجابيته فى الأمة[١].

ولقد كاد الإجماع ينعقد على أن الشورى هى الفلسفة الإسلامية للحكم فى الدولة الإسلامية وللمجتمع الإسلامى وللأسرة المسلمة.. أى للسلطة الإسلامية، أيا كان ميدان هذه السلطة دولة أو مجتمعا أو أسرة، لكن الإجماع يكاد ينعقد أيضا على أنه بمقدار الحظ الوافر والغنى لمنابعنا الفكرية ولأصول مواريثنا الحضارية فى هذه الشورى، كان الفقر والجدب الذى أصاب تاريخنا وتطبيقاتنا فى هذا الميدان، وفى التاريخ نجد الفردية والاستبداد يحرمان الواقع التاريخى والإنسان الذى عاشه، من ثمرات هذه الفلسفة المقدسة، بل ويصيبان الفكر الذى عبر عن هذا الواقع التاريخى بالفقر الشديد، إذا ما كان البحث فى فلسفة الحكم وضوابط السلطة والسلطان[٢].

---

[١] يراجع فى ذلك: الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ابن تيمية: السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، محمد عبد الوهاب خلاف: السياسة الشرعية، محمد سلامة جبر: الشورى، عدنان النحوي: الشورى وممارستها الإيمانية، محمد متولى الشعراوي: الشورى والتشريع فى الإسلام، محمد سليم العوا: فى النظام السياسى للدولة الإسلامية، عبد الكريم زيدان: الفرد والدولة فى الشريعة الإسلامية .

[٢] محمد عمارة: الإسلام وحقوق الإنسان ضرورة لا حقوق ص٣١، ٣٢.

ونرى من الأحاديث التالية كيف جعلت السنة الشورى واجبا ضروريا على كل مسلم لتوفير الكوادر المدربة على الشورى بما يحقق تجميع الآراء والطاقات لتحقيق الصالح العام للأمة ؛ فعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؛ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ" (١).

- عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ: أَنَّ النَّبِى ﷺ قَالَ:" الدِّينُ النَّصِيحَةُ" قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ:" لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" (٢).

- عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ" قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ" (٣).

مرونة الشورى في الإسلام :

لم يحدد الإسلام صورة معينة للشورى يلتزم بها المسلمون فى نظامهم السياسى طيلة الزمان كيلا يكون فى ذلك حرج عليهم أو عسر. وإن من المبادئ الأساسية فى الإسلام أن هذا الدين ينفى الحرج، وأنه يقيم حياة المسلمين على الاعتدال والتيسير. وفى ذلك يقول سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج :من الآية٧٨).ويقول تباركت أسماؤه: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: من الآية١٨٥).

وبذلك أرسى الإسلام قاعدة الشورى لتكون أساسا يقوم عليه نظام الحكم فى هذا الدين. ولكن هذا الإرساء غير محدد الصورة والكيفية فيكون على نحو ملزم ومعلوم. ولو كانت الشورى على كيفية محددة معينة أو على صورة معلومة بالذات، لوقع المسلمون فى كثير من الأحوال والأزمنة فى حرج. فإن صورة من

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى الأدب، باب المستشار مؤتمن (٣٧٤٧) وعبد الرزاق فى مصنفه ٨ / ٢٠٠.

(٢) أخرجه مسلم فى الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٩٥) و الترمذى فى البر والصلة، باب ما جاء فى النصيحة (١٩٢٦) و النسائى فى البيعة، باب النصيحة للإمام (٤١٩٨)، و أحمد فى مسنده ٢٩٧/٢، و الدارمى فى الرقاق، باب الدين النصيحة (٢٧٥٤) والطبرانى فى الكبير ٤١/٢.

(٣) مسلم فى صحيحه كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام (٥) وأحمد فى مسنده (٣٧٢/٢، ٤١٢) والألبانى فى الصحيحة ٤٤٨ ، ٤٧٠ - البيهقى فى السنن، باب الرخصة فى معونته ونصيحته إذا استنصحه ٣٤٧/٥ ، ١٠٨/١٠.

صور الشورى قد تناسب المسلمين فى ظرف من الظروف أو فى حال من الأحوال، لكن مثل هذه الصورة قد لا تناسب حال المسلمين فى أوضاع وأزمنة أخرى جديدة.

دور أهل الشورى :

إن الشورى قضية تناط بأهل الحل والعقد من العلماء والمفكرين وأولى الرأى والخبرة أو المتخصصين فى مختلف شئون الحياة الاقتصادية والزراعية والتجارية والصناعية والعسكرية. فهؤلاء ينبغى أن يستفاد من علمهم وتبصرهم بأمور الشريعة وكذلك من خبرتهم ودرايتهم فى شئون الحياة المختلفة. وهم كذلك يضطلعون بعظيم من المهام الخطيرة، منها اختيار رئيس الدولة أو ترشيحه للإمامة العظمى لكى يبايعه المسلمون جميعا.

ويناط بهم كذلك أن يحاسبوا رئيس الدولة ويسائلوه مساءلة تثير فى ذهنه دوام الحرص والاهتمام. وهم فى ذلك يحق لهم أن يطالبوه بالاعتزال إذا أيقنوا أنه عاجز عن حكم البلاد أو أنه مفرط فيما يترتب عليه نحو الأمة من واجبات[١].

وأهل الحل والعقد هم الفئة الطليعة من علماء المسلمين، الذين تناط بهم وظيفة الاستنباط للأحكام الشرعية من أدلتها وكذلك استجلاء المواقف الصحيحة التى تستند إلى العلم بالكتاب والسنة، كاختيار الإمام ونحو ذلك من كبير القضايا. وهم فى ذلك كله فئة واعية بصيرة يكشف عنها إخلاصها لهذا الدين، وسعة إطلاعها على علومه، وكذلك احتواؤها لمقتضياته ومراميه، من غير حاجة لدعايات مصطنعة مزيفة ؛ فعن على قال: قلت يا رسول الله إن عرض لى أمر لم ينزل فيه قضاء فى أمره ولا سنة كيف تأمرني؟ قال:"تجعلونه شورى بين أهل الفقه والعابدين من المؤمنين، ولا تقضى فيه برأى خاصة"[٢].

ضوابط الشورى في نهج الرسول ﷺ :

وضعت السنة ضوابط للشورى، حيث يجب على المسلم أن يدلى برأيه بناء على علم وبصيرة ودراية بأمانة الكلمة ومسئوليتها الإيمانية، وأن تكون الشورى محصلة

---

(١) د. محمد أبو فارس: النظام السياسى فى الإسلام ص١٢٥- ١٢٨.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١١ / ٣٧١، والهيثمى فى مجمع الزوائد، باب فى الإجماع ١ / ١٧٨.

آراء الخبراء، وأن تحصن بالإخلاص ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ"(١).

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ"(٢).

الرسول القائد ﷺ يمارس الشورى سابقا جميع الديموقراطيات الحديثة:

لقد كان التزام الرسول بمشاورة أصحابه يدعو إلى العجب والدهشة- إلى الحد الذي جعل أبا هريرة يقول:"ما رأيت أحدا قط أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله" - كان هذا السلوك منارة تشع على صحابته فكرًا يعلمهم هذا السلوك ويدعوهم إلى اتباعه كنهج تشريعي .. ففي غزوة مؤتة كانت عدة جيش المسلمين ثلاثة آلاف، وكان أمير الجيش زيد بن حارثة، وأوصاهم الرسول"إن أصيب زيد فأميركم جعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فأميركم عبد الله بن رواحة الأنصاري" فإن أصيب كان عليهم أن يختاروا بالشورى لهم أميرًا جديدًا. ولقد سلك جيش مؤتة هذا السبيل، فاختاروا بالشورى خالد بن الوليد أميرًا عليهم، بعد استشهاد الأمراء الثلاثة، فقادهم إلى النصر في أولى معارك الإسلام مع الروم البيزنطيين (٣).

- وعن أنس قال: لما بلغ رسول الله ﷺ إقفال أبي سفيان قال: أشيروا علي فقام أبو بكر فقال له: اجلس فقام عمر فقال له: اجلس فقام سعد بن عبادة فقال؛ إيانا تريد يا رسول الله فلو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ذلك (٤).

- وعن أبي عمرة الأنصاري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها فأصاب الناس مخمصة، فاستأذن الناس النبي ﷺ في نحر بعض ظهورهم، فهم رسول الله ﷺ أن يأذن لهم في ذلك فقال عمر بن الخطاب: أرأيت يا رسول الله إذا نحن نحرنا ظهورنا ثم لقينا عدونا غدا ونحن جياع رجال! فقال رسول الله ﷺ فما ترى يا عمر قال: تدعو الناس ببقايا أزوادهم ثم تدعو لنا فيها بالبركة، فإن الله تبارك وتعالى

---

(١) أخرجه أبو داود في العلم، (٣٦٥٧) والحاكم في المستدرك ١٠٣/١ وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن، باب إثم من أفتى أو قضى ١٠٣/١، ١١٦/١٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في الأدب، (٢٨٢٣).

(٣) رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة (ج٤ ص٣٣١). دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. ط. بيروت ١٩٧٧م.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير (١٧٧٩) عن أنس : به .

سيبلغنا بدعوتك إن شاء الله، فدعا بثوب فأمر به فبسط، ثم دعا الناس ببقايا أزواجهم، فجاءوا بما كان عندهم، فمن الناس من جاء بالحفنة من الطعام، ومنهم من جاء بمثل البيضة، فأمر به رسول الله ﷺ فوضع يده على ذلك الثوب ثم دعا فيه بالبركة وتكلم بما شاء أن يتكلم ثم نادى في الجيش، فجاءوا ثم أمرهم فأكلوا وطعموا وملأوا أوعيتهم ومزاودهم؛ ثم دعى بركوة فوضعت بين يديه، ثم دعا بماء فصبه فيها ثم مج فيها وتكلم بما شاء الله أن يتكلم ثم أدخل خنصره فيها، فأقسم بالله لقد رأيت أصابع رسول الله ﷺ تفجر ينابيع من الماء! ثم أمر الناس فشربوا وسقوا وملأوا قربهم وأداويهم، ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، لا يلقاه بهما أحد يوم القيامة إلا دخل الجنة على ما كان.

- ونرى توجيهات الخليفة الراشد أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأمرائه بضرورة المشورة والبعد **عن استبداد الرأى**، فعن الحارث بن الفضيل قال: لما عقد أبو بكر ليزيد بن أبى سفيان فقال: يا يزيد إنك شاب تذكر بخير قد رؤى منك، وذلك شيء خلوت به فى نفسك، وقد أردت أن أبلوك وأستخرجك من أهلك، فانظر كيف أنت وكيف ولايتك؟ وأخبرك فإن أحسنت زدتك، وإن أسأت عزلتك، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد، ثم أوصاه بما أوصاه يعمل به فى وجهه وقال له: أوصيك بأبى عبيدة بن الجراح خيرا، فقد عرفت مكانه من الإسلام، وإن رسول الله ﷺ قال: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، فاعرف له فضله وسابقته، وانظر معاذ بن جبل فقد عرفت مشاهده مع رسول الله ﷺ، وإن رسول الله ﷺ قال: يأتى إمام العلماء بربوة، فلا تقطع أمرا دونهما، وإنهما لن يألوا بك خيرا، قال يزيد: يا خليفة رسول الله أوصهما بى كما أوصيتنى بهما، قال أبو بكر: لن أدع أن أوصيهما بك، فقال يزيد: يرحمك الله وجزاك الله عن الإسلام خيرا [١].

[١] أخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب معرفة الصحابة (٦٦/٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

٤ - النزاهة والشرف في الحكم

يحذر الإسلام تحذيراً بالغاً من الرشوة والغلول ، حرصاً منه على المال العام الذى هو مصدر قوة الدولة فى استثماراتها وفى دفاعها وفى رعاية ذوى الحاجات ، ولمواجهة الكوارث وكل ما يتعلق بالإنفاق العام فى جميع المجالات ، قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة ٦٢،٦٣).

وإذا كان التحذير من الرشوة والغلول موجه لجميع موظفى الدولة ، فهو للحكام أشد؛ لأنهم قدوة بوجودهم فى أعلى مناصب السلطة وأعظمها مسئولية .

وقد تكرر مفهوم النزاهة والشرف فى القرآن فى مواقف متعددة نذكر منها :-

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٥٥).

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (القصص:٢٦).

ومرة أخرى نقول : إذا كانت النظم الحديثة سواء الشرقية أو الغربية منها تتيه بقدرتها على مساءلة الحكام عن العبث بالمال العام ، فنحن نقول لها : إن أساس من حرر البشرية من طغيان الحكام واستبدادهم هو الإسلام .. ولا أدل على ذلك من أن بعض الحكام فى الماضى مثل فرعون قد اعتبر نفسه الإله الأعلى وبالتالي كل الشعب وما يملكه فهو ملكه. فالإسلام هو أول من أيقظ الإنسانية من سباتها وحطم قيودها ولقنها كل المبادئ السامية فى حكم شعوبها .

عقاب الرشوة في الحكم :

لقد نهى الرسول ﷺ عن الرشوة في الحكم نهياً قاطعاً؛ لأنها تقلب موازين المعاملات في الأمة ، بحيث تضيع الحقوق ، ويظلم أصحاب الكفاءات ، وتشيع الفوضى والازدواجية في التقييم ؛ قال ﷺ : "من ولي على عشرة فحكم بينهم بما أحبوا أو كرهوا جيء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، فإن عدل ولم يرتش ولم

يحف فك الله عنه، وإن حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه شدت يساره إلى يمينه ثم رمي به في قعر جهنم فلم يبلغ قعرها خمس مائة عام"[١].

- وقال ﷺ : "لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم"[٢].

ما هي الرشوة ؟

وبين الرسول ﷺ القائد تعريف الرشوة : وهي ما أخذ من المال العام زيادة عن الأجر المستحق ، أو قدم إلى الحاكم على سبيل الهدية والهدف من ورائها تحقيق مصلحة شخصية على حساب الغالبية الكادحة من الجمهور :

- **بالنسبة لمن يأخذ من ميزانية الدولة زيادة عن أجره** ؛ قال ﷺ : "من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول"[٣].

- وقال ﷺ : "من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذ، وما نهى عنه انتهى"[٤].

- **وبالنسبة لهدايا الحكام** ؛ قال ﷺ : "هدايا الأمراء غلول"[٥].

- وقال ﷺ : "إني لأبعث رجالا في الصدقات فيأتي أحدهم فيقول: والله ما تعديت ولا تركت لهم حقا ولقد أهدى إلي فقبلت الهدية ألا جلس ذلك في حفش فينظر ما هذا الذي يهدى له، إياكم أن يأتي أحدكم على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها يعار، اللهم هل بلغت"[٦].

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الأحكام (١٠٣/٤) ما بين الحاصرين استدركته منه. وقال: سعدان بن الوليد البجلي: كوفي قليل الحديث ولم يخرجا عنه وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠٦/٥) رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعدان بن الوليد لم أعرفه.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الأحكام (١٠٣/٤) وسكت عنه.

[٣] أخرجه أبو داود في الخراج ب ١٠، والبيهقي في السنن ٦/ ٣٥٥ والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٥٦١، والبغوي في شرح السنة ١٠/ ٨٩.

[٤] أخرجه مسلم في الإمارة ٣٠، أحمد في مسنده ٤/ ١٩٢، والطبراني في الكبير ١٧/ ١٠٦، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٥٦٤.

[٥] أخرجه البيهقي في السنن ١٠/ ١٣٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ١٥١، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦/ ١٦٢، ١٦٣.

[٦] أخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ٢٣١.

فضل الشرف والنزاهة في الحكم :

- **بين الرسول ﷺ أن الإنسان القائم بالشرف والنزاهة في تداول المال العام يعتبر كالمجاهد في سبيل الله؛** قال ﷺ : "العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته"[١].

- **وبيَّن الرسول ﷺ أن المال العام من وظائفه إشباع الحاجات العامة لكل المواطنين فمن أخذه بحقه بارك الله له فيه ، ومن أسرف في الحصول عليه بدون وجه حق جنى من عاقبته أمره الخسران المبين حيث ليس له إلا النار يوم القيامة ؛** قال ﷺ : "إن هذا المال خضرة حلوة فمن أصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار"[٢].

نزاهة النبي في الحكم :

- **يضرب الرسول ﷺ المثل بنفسه؛ حيث لا يحل له إلا ما حدده المولى عز وجل في كتابه وهو الخمس من الغنائم ؛** فقد قال ﷺ : "مالي من هذا المال إلا مثل ما لأحدكم إلا الخمس وهو مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط فما فوقها، وإياكم والغلول، فإنه عار ونار وشنار على صاحبه يوم القيامة"[٣].

- **ويبيِّن الرسول ﷺ خوفه من أموال الصدقات؛ لأنها حق للفقراء والمساكين واليتامى وابن السبيل** فيقول ﷺ : "إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي أو في بيتي فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها"[٤].

- وقال ﷺ : "إني وجدت تمرة ساقطة فأكلتها ثم ذكرت تمرا كان عندنا من تمر الصدقة فما أدري أمن ذلك كانت التمرة أو من أهلي فذلك أسهرني"[٥].

- **وعرض الرسول ﷺ التحديات التي واجهته في دعوته للحق وكيف واجه شظف العيش؛ ولكنه صبر ليكون قدوة لكل القادة في القناعة والنزاهة ؛** قال ﷺ :

---

[١] أخرجه الطبراني في الكبير ١/ ٩٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٨٤.
[٢] أخرجه الترمذي في السنن ٢٣٧٤، والسيوطي في جمع الجوامع ٧٣٧٨.
[٣] أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٣٣٧. والألباني في الصحيحة ٦٦٩.
[٤] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٠٠) ومسلم في صحيحه (١٠٧٠) وأحمد في مسنده ٢/ ٣١٧، والبيهقي في السنن ٥/ ٣٣٤.
[٥] أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٨٩.

"لقد أوذيت في الله ومايؤذي أحد وأخفت الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال"(١).

٥ – مراعاة الكفاءة في التعيين في الوظائف العامة

يحرص الإسلام فى تشريعه على تحقيق التنمية فى جميع المجالات؛ لذلك فإن تعيين العناصر ذوى الكفاءة العالية فى مواقع القيادة يعتبر من الأهمية بمكان ، نظراً لدور القيادة الريادي فى تحقيق التفوق بكل أشكاله ومعانيه فالقيادة لها دورها الأساس فى التخطيط والتنفيذ والمتابعة والرقابة ، بما يتبع ذلك من جزاء أو عقاب .. وقد أجمع علماء الإدارة على أن ٨٨% من فشل المشروعات راجع إلي سوء الإدارة أو بمعنى أصح سوء القيادة (٢).

من هنا كان حرص الرسول ﷺ على غرس مفهوم مراعاة الكفاءة في وجدان المسلمين بحيث يعتبر الانحراف عن هذا المنهج خيانة لله ولرسوله . وهذا يعنى البعد عن المحسوبية والواسطة والرشوة ورفع شعار " الرجل المناسب فى المكان المناسب " فإذا انحرفت الأمة عن هذا النهج ، فهو يعنى تخلفها وانهيارها فى جميع المجالات ، لضعف القيادة وعجزها عن القيام بمهامها ... فالإسلام يدعو إلي القوة المادية والمعنوية ، وخاصة فى المجالات القيادية ؛ لأن المؤمن القوى خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف كما بيَّن الرسول في أحاديثه ، فالقوة هى مفتاح القيادة فى جميع المجالات ، ليس على مستوى الشعوب الإسلامية فقط ، بل على مستوى العالم بأسره ، ذلك العالم الذى يعشق القوة بكل أشكالها ويخضع للأقوى فالكفاءة عنصر فعال وحيوي لإحياء الشعوب والأمم من مراقدها والأخذ بيدها إلي مجال التقدم والسيادة (٣).

نهج الرسول ﷺ في اختيار ذوي الكفاءات :

١- يبين الرسول ﷺ أن المحاباة في التعيين في الوظائف أو الاستعانة بأهل التجبر من الأعداء تعتبر خيانة لله ولرسوله؛ لأنها عصيان لأوامر الشريعة وخيانة للأمة؛ لأنه يحرمها من الكفاءات التي تمتلك الخبرات لدفع حركة التقدم في جميع

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم الباب (٣٤) ورقم الحديث (٢٤٧٢) وقال: حسن غريب.
(٢) علم الإدارة. د. سيد الهواري.
(٣) نظام الحكم في الإسلام. الشيخ منصور الرفاعي عبيد – الدار الثقافية للنشر.

المجالات ؛ قال ﷺ : "من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"[١].

- وقال ﷺ : "إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداوة فأظهرهم الله عليهم - يعني أهل الضعف - فعمدوا إلى أهل التجبر هم عدوهم، فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم القيامة"[٢].

- وقال ﷺ : "من ولي من أمَّر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئا بغير حقه، فعليه لعنة الله، أو قال تبرأت منه ذمة الله"[٣].

٢- يبين الرسول ﷺ أن مراعاة الكفاءة في التعيين للوظائف تعتبر من علامات رقي الأمم ، فإذا أسند الأمر إلى غير أهله فهذا يؤذن بهلاك الأمم وانهيارها ؛ قال رسول الله ﷺ : "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: كيف إضاعتها؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"[٤].

- وقال ﷺ : "ليأتين على الناس زمان يكون عليهم أمراء سفهاء يقدمون شرار الناس ويظهرون حب خيارهم، يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا خازنا"[٥].

٣-ويوضح الرسول ﷺ أن الكفاءة تتنوع من مجال لآخر:

- ففي حالة الإمامة في الصلاة : يكون ترتيب الأولوية بين الناس لأكثرهم حفظا للقرآن، ثم أعلمهم بالسنة، ثم أقدمهم في الهجرة ، ثم أكثرهم في الفقه ، ثم أكبرهم في السن أو المقام إذا كان الرجل صاحب سلطان أو صاحب الدار. فالإمامة في الصلاة تتطلب الخيرية؛ لأنه يمثل السفارة بين المأمومين وبين الله ؛ قال ﷺ :

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الأحكام (٩٢/٤) وقال صحيح الإسناد ولم يتعرض له الذهبي.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ٤٠٧/٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٢/٥، وابن كثير في تفسيره ٣٢٨/١، ١١٤/٨ - (فعمدوا: عمد للشيء قصد له أي: تعمد، وهو ضد الخطأ. المختار (٣٥٧).

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ٦/١، والحاكم في المستدرك ٩٣/٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٤/٤، ٢٣٢/٥.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣/١، ١٢٩/٨، والبيهقي في السنن ١١٨/١٠، والتبريزي في مشكاة المصابيح٥٤٣٩.

[٥] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٠/٥.

"يؤم القوم أكثرهم قرآنا، فإن كانوا في القرآن واحدا فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة واحدا، فأفقههم فقها، فإن كانوا في الفقه واحدا، فأكبرهم سنا"(١).

- وقال ﷺ : "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم [سلما]، ولا تؤمن الرجل في أهله ولا في سلطانه ولا تقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه"(٢).

- وقال ﷺ :"اجعلوا أئمتكم خياركم؛ فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم"(٣).

- **وفي حالة خوض ميادين القتال فإن الكفاءة تأخذ معيارا آخر يختص بالخبرة في أمور الحرب والشجاعة والصمود في مواجهة الأعداء ؛** قال ﷺ : "أشهد الله على الوالي من بعدي لما رق على جماعة المسلمين ورحم صغيرهم إني لأؤمر الرجل على القوم وفيهم من هو خير منه؛ لأنه أيقظ عينا وأبصر بالحرب" (٤).

- وعن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: "لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار، يفتح الله عليه، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فبات الناس متشوقين فلما أصبح قال: أين علي؟ قالوا: يا رسول الله! ما يبصر قال: ائتوني به، فلما أتي به قال النبي ﷺ: ادن مني، فدنا منه فتفل في عينيه ومسحها بيده، فقام علي من بين يديه كأنه لم يرمد"(٥).

- وعن جبلة بن حارثة: كان رسول الله ﷺ إذا لم يغز أعطى سلاحه عليا أو أسامة بن زيد(٦).

- **وفي مجال التعليم يحتاج الأمر إلى ذوي الفقه والمثابرة على حسن التعليم والأدب وسعة المعلومات ؛** قال رسول الله ﷺ : "استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل"(٧).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٤٣/٢، ويذكر الحاكم تخريج الحديث في صحيح مسلم ما عدا لفظة (أفضلهم فقها)، وقال الذهبي: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد باب من أحق بالإمامة (٦٧٣).

(٣) أخرجه الدارقطني في السنن ٨٨/٢، والزيلعي في نصب الراية ٢٦/٢، والعجلوني في كشف الخفاء ١٤٠/٢.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن ٤٠/٩.

(٥) أخرجه النسائي في تهذيب خصائص علي (١٥).

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٨٦/٢، والأوسط ٢٧٥/٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧١/٦، وأحمد في فضائل الصحابة ٨٣٧/٢.

(٧) أخرجه الطبراني في الكبير ٦٦/٩.

- وعن حذيفة قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: "إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي : أبو بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وما حدثكم ابن مسعود بشيء فصدقوه"(١).

- وعن أبي ثعلبة قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! ادفعني إلى رجل حسن التعليم، فدفعني إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم قال: "دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك"(٢).

- وقال رسول الله ﷺ : "إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر"(٣).

- وفي حالة الإمارة يحتاج الأمر إلى القوي الأمين الذي يحافظ على الأموال العامة للشعب ويقوم بمتطلبات الإمارة ؛ فعن عمر قال: ما تعرضت للإمارة وما أحببتها غير أن ناسا من أهل نجران أتوا رسول الله ﷺ فاشتكوا إليه عاملهم فقال: لأبعثن عليكم الأمين - وفي لفظ: لأبعثن عليكم رجلا أمينا حق أمين - وفي لفظ: سأبعث عليكم أمينا، فكنت فيمن تطاول رجاء أن يبعثني، فبعث أبا عبيدة وتركني (٤).

- وفي حالة التنمية الاقتصادية بمجالاتها المختلفة يحتاج الأمر إلى المهارات الفنية المتنوعة كل في مجاله ؛ عن طلق بن علي: بنينا مع رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فقال: "قربوا اليمامي من الطين، فإنه من أحسنكم له مسا، وأشدكم له ساعدا"(٥).

- وفي حالة إعلاء كلمة الحق بوسائل الآداب المختلفة من شعر وقصة ورواية ومسرح و ... فالأمر يحتاج إلى اختيار الكفاءات الصالحة في ذلك المجال ؛ فعن محمد بن سيرين قال: هجا رسول الله ﷺ ثلاثة رهط من المشركين، عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبعري وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال المهاجرون: يا رسول الله ألا تأمر عليا أن يهجو عنا هؤلاء القوم؟ فقال رسول الله ﷺ: "ليس علي هنالك، ثم قال رسول الله ﷺ: إذا القوم نصروا نبي الله بأيديهم وأسلحتهم فبألسنتهم أحق أن ينصروه" فقالت الأنصار: أرادنا فأتوا حسان بن ثابت

---

(١) أخرجه ابن ماجة في السنن ٩٧، وأحمد في مسنده ٣٨٥/٥، وابن أبي شيبة في مصنفه ١١/١٢، ٥٦٩/١٤.
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٦٤/٧.
(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٥٧/١، والألباني في الصحيحة ٦٩٥.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٦٥/٣.
(٥) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير ٤٢٤/٢.

فذكروا ذلك له فأقبل يمشي، حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق، ما أحب أن لي بمقولي ما بين صنعاء وبصرى، فقال رسول الله ﷺ: "أنت لها" فقال: يا رسول الله إنه لا علم لي بقريش، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: أخبره عنهم، ونقب له في مثالبهم، فهجاهم حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك. قال ابن سيرين: انبئت أن رسول الله ﷺ بينا هو يسير على ناقة وشنقها بزمامها حتى وضعت رأسها عند قادمة الرحل، فقال: أين كعب؟ فقال كعب: ها أنا ذا يا رسول الله، قال: خذ، وفي لفظ: قال: أنشد فقال:

قضينا من تهامة كل ريب * وخيبر ثم أجممنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت * قواطعهن دوسا أو ثقيفا

قال: فأنشد الكلمة كلها، فقال رسول الله ﷺ : "والذي نفس محمد بيده لهي أشد عليهم من رشق النبل". قال ابن سيرين: فنبئت أن دوسا إنما أسلمت بكلمة كعب هذه[1].

٦- الوفاء بالعهد

إن الوفاء بالعهد سمة أساسية من سمات التشريع الإسلامي . فأساس العهد هو عهد الإنسان مع الله سبحانه وتعالى وهو عهد أخذه الله من بنى آدم كلهم فى عالم الغيب ، وهو عهد ماض إلي يوم القيامة، لا يغفر لأحد مات وقد نقض العهد وأسسه. ومن هذا العهد تنبثق العهود فى حياة الإنسان، يحكمها منهاج الله ويقتضيها واقع الإنسان المؤمن ، فكل عقد وعهد فى حياة المؤمن يجب أن ينبع من عهده مع الله سواء فى ذلك عهد الإمامة والإمارة ، المعاهدات السياسية والدولية – عهود التجارة وعقودها – عهود الزواج وعقودها .. عقد العمل وأمانة الوظيفة إلي آخر المعاملات والعهود.

---

[1] أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية ٣٤٥/٤، والسيوطي في الجامع الكبير ٨٠٨/٢.

فإذا كان هذا هو المطلوب من كل المؤمنين ، فهو مطلوب بصورة أقوى وأوضح من الحاكم ، حتى **تنصلح أحوال الرعية .. وعلى قدر وفائه بالعهود ترتقى الأمة ويعلو شأنها؛ فالسياسة فى الإسلام ليست خداع أو كذب أونفاق، بل تقوم على دعائم راسخة من المبادئ السامية التى تستمد منابعها من دستور الحق جل شأنه ،**

قال تعالى : ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ (البقرة : ١٧٧).

و قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ (المؤمنون:٨).

- إن نقض العهد ليس من الإيمان إطلاقاً بل هو من سمات المنافقين والكافرين وذلك فى قوله تعالى :

{ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} (الأعراف:١٠٢).

حقا إن أعظم ما يميز الإسلام هو قيامه على مبادىء الشرف والوفاء بالعهود والمواثيق طالما ساد السلام ولم يواجهنا العدو بالمكر والخديعة وإعلان الحرب لانتهاك الثروات الاقتصادية[١].

دور الرسول ﷺ في إرساء الوفاء بالعهد منهاجا وسلوكا :

- **بين الرسول ﷺ أن الوفاء بالعهد من أساسيات الإيمان ؛** حيث قال ﷺ : "اقضوا الله تعالى فالله أحق بالوفاء" [٢].

- وقال ﷺ : "إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، ألا! إن الله فرض فرائض، وسن سننا، وحد حدودا، وأحل حلالا، وحرم حراما، وشرع الدين فجعله سهلا سمحا واسعا، ولم يجعله ضيقا، ألا! إنه لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، ومن نكث ذمته طلبته، ومن نكث ذمتي خاصمته، ومن خاصمته فلجت عليه، ومن نكث ذمتي لم ينل شفاعتي ولم

---

(١) العهد والبيعة وواقعنا المعاصر ، د. عدنان علي رضا النحوي. دار النحوي للنشر والتوزيع.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣/٣، والنسائي في السنن ١١٦/٥، وأحمد في مسنده ٢٤٠/١، والدارمي في السنن ٢٤/٢.

يرد على الحوض، ألا! إن الله لم يرخص في القتل إلا ثلاثة: مرتد بعد إيمان، أو زان بعد إحصان، أو قاتل النفس فيقتل بقتله، ألا! هل بلغت"[١].

- وقد بين الرسول ﷺ أن الوعد مثل الدَيْن يجب الوفاء به وإلا عرض نفسه لمخاطر دنيوية وأخروية عظيمة حيث قال ﷺ : "إن خيار عباد الله يوم القيامة الموفون المطيبون" [٢].

- وبين الرسول ﷺ أن عدم الوفاء بالعهود والشروط يعني خسارة وهلكة لمن اعتمد على تلك العهود وبنى عليها جانباً من حياته وبالتالي فإن عاقبته وخيمة من الله ؛ فقال ﷺ : "من شرط لأخيه شرطا لا يريد أن يفي له به فهو كالمدلي جاره إلى غير منعة" [٣].

- وبين الرسول ﷺ أن الذي يضر مؤمنا نتيجة عدم الوفاء بالوعد أو الغش أو المكر والخداع فهو يستحق اللعنة من الله ، ويخرج من رحاب الإسلام ؛ قال ﷺ : "ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به"[٤].

- وقال ﷺ : "من غشنا فليس منا، والمكر والخداع في النار"[٥].

- وبين الرسول ﷺ عقاب الغدر يوم القيامة ، ويشتد هذا العقاب للقائد في موقع المسئولية ، نظراً لما يترتب عليه هذا الغدر من ضياع مصالح الجماهير العريضة من الشعب ؛ قال ﷺ : "لكل غادر لواء يوم القيامة، يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة" [٦].

دور الرسول القائد في الوفاء بالعهد :

---

(١) أخرجه النسائي في السنن ٢٤٧/٦، وأبو داود في السنن ٢٨٧٠، ٣٥٦٥، وابن ماجة في السنن ٢٧١٣، ٢٧١٤، والترمذي في السنن ٢١٢٠، ٢١٢١ - فلجت عليه: وقد فلج أصحابه وعلى أصحابه إذا غلبهم، والاسم: الفلج بالضم. أ ه ٤٦٨/٣ النهاية.

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير ٩٩/٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٩٠/١٠.

(٣) (أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الخيانة والغش رقم (١٩٤٢) وقال حديث غريب. في سنده أبو سلمة الكندي وهو مجهول من السابعة. تحفة الأحوذي (٧٢/٦).

(٤) (أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الخيانة والغش رقم (١٩٤٢) وقال حديث غريب . في سنده أبو سلمة الكندي وهو مجهول من السابعة . تحفة الأحوذي (٧٢/٦).

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان ١٦٤، وأحمد في مسنده ٤٩٨/٣، والدارمي في السنن ٢٤٨/٢، والبيهقي في السنن ٢٥٥/٥، والحاكم في المستدرك ٩/٢.

(٦) (أخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب تحريم الغدر (١٦).

- يضرب الرسول القائد ﷺ المثل بنفسه بأنه أكرم وأحق من وفى بذمته؛ لأنه إمام المؤمنين في تطبيق مبادئ الحق واقعاً حياً تعيشه الأمة الإسلامية ؛ قال ﷺ : "أنا أكرم من وفى بذمته"(١).

- وقال ﷺ : "أنا أحق من وفى بذمته"(٢).

- ولا تختلف قاعدة التعامل بالوفاء بالعهد حتى مع الأعداء في وقت الحرب ، وذلك ما تتميز به الشريعة الإسلامية عن كل الشرائع ، وهو وحدة التعامل الداخلي أو الخارجي سواء في السلم أو الحرب ؛ فعن حذيفة، أن المشركين أخذوه وأباه وأخذوا عليهم أن لا يقاتلوهم يوم بدر فقال النبي ﷺ: "وفوا لهم ونستعين الله عليهم" (٣).

٧ - الصدق والأمانة مع الرعية

إن تلك الصفة تتمشى مع ما اتصف به محمد ﷺ منذ شبابه بين العرب، حيث كان يسمى الصادق الأمين .. وهذا يتفق مع اتصافه بالقوة المعنوية ، التي تدفعه إلى قول الحق لا يخشى في الله لومة لائم. فالكذب يعني ضعف الشخصية والجبن مما يلجئ الإنسان إلى الكذب اتباعاً للأهواء، ولتحقيق المصالح .

وإن ما نراه في الديموقراطيات الحديثة من محاكمة القائد على كذبه على الشعب وخداعه لهم ، فما هذا إلا من وحي المبادئ التي اتصفت بها الشخصية المحمدية ودعا جميع الناس إليها ، فسرت في كيان الإنسانية وأصقلت مفاهيمها عبر الأزمان ؛ لأن المبادئ العظيمة دائماً تستقي من الشخصيات العظيمة .. وها نحن نعرض تعاليم الصدق والأمانة مع الرعية التي دعا إليها معلم البشرية الأكبر والتزم بها في قيادته للأمة الإسلامية .وتتمثل تلك التعاليم فيما يلي :

- الوالي الذي يغش رعيته ولا يتحرى الصدق في قوله فهو يستحق النار ويستحق لغضب الله عليه جزاءاً وفاقاً لعمله ، فهو بغشه يقود الأمة إلى الإنهيار، لأن الكلمة التي يتفوه بها الإنسان يجب أن يكون لها هدفها وأصالتها ومسئوليتها وخاصة

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٣٠/٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٨٥٦٤، وأبو حنيفة في مسنده ١١٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٧/٥، والطبراني في الكبير ١٨٢/٣.

في موقع القيادة؛ حيث يمكن أن يسفك بها الدم الحرام أو يكتسب بها المال الحرام أو ينتهك بها العهود والمواثيق مما يعرض الأمة إلى تزلزل أركانها وتداعي بنيانها :

فعن معقل بن يسار قال : سمعت النبي ﷺ يقول : "ما من راع غش رعيته، إلا وهو في النار" (١).

- ويبين الرسول ﷺ أهمية الصدق حتى إن رأي القائد فيه هلاك نفسه فإنه نجاة لشعب بأكمله ، ويحذر من الكذب ، فإذا رأى القائد فيه نجاته فهو يؤدي إلى هلاك أمة بأسرها إذا استشرى ذلك الكذب بين الحكام ؛ قال ﷺ : "تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة ؛ فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة ؛ فإن فيه الهلكة"(٢).

- وقال ﷺ : "إن الصدق يهدي إلى البر ؛ وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ؛ وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ؛ وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا" (٣).

وبين الرسول ﷺ أن أساس استمرار الحكم هو العدل والرحمة والصدق في القول ، وتنفيذ الوعد ؛ قال ﷺ : "إن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا ائتمنتم ، واصدقوا إذا حدثتم ، وأحسنوا جوار من جاوركم"(٤).

- وعن الحسن أن نبي الله ﷺ قال : "إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته" (٥).

الرعية أمانة جسيمة في عنق القائد :

- وضح النبي ﷺ أن أي قائد لا يُحِط رعيته بالأمانة الموكلة في عنقه ويقدم لها النصيحة التي تحقق لها الرقي المطلوب فهو محروم من رحمة الله ؛ لأن الحاكم يجب أن يكون على ثقافة واسعة بعلوم عصره، علاوة على الوعي الإيماني بالقرآن والسنة وذلك حتى تكون آراءه رشيدة وقراراته سديدة، وعنده القدرة على الاجتهاد

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠ / ٢٢٨) عن معقل بن يسار قال : سمعت النبي ﷺ يقول : .. به .
(٢) أخرجه هناد في الزهد ٦٣٥/٢ ، وابن عبد البر في التمهيد ٢٢٩/٤.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٤٣) ، والبيهقي في السنن ٢٤٣/١٠.
(٤) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٥/٣) وقال : أخرجه الطبراني.
(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٤٤/١٠) عن الحسن أن نبي الله ﷺ قال : .. به.

بما يوائم تغيرات العصر ، بحيث يكون القرار نابعاً من المنهج القرآني ومتوافقاً مع طاقات الأمة وقدرتها على تحمل تبعات القرار ؛ قال ﷺ : "أيما راع استرعي رعية فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء"[1].

- وقال ﷺ : **"أيما وال ولي شيئا من أمر أمتي فلم ينصح لهم ويجتهد لهم** كنصيحته وجهده لنفسه، **كبه الله على وجهه** يوم القيامة في النار"[2].

- وعن **الحسن أن نبي الله ﷺ قال** : "إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع ، **حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**" [3].

٨- العفو والرأفة

إن الرعية نفوس بشرية تحتاج إلى نوع من الرفق والعفو والحلم ٠٠ ولذلك فقد علم الرسول ﷺ المسلمين وخاصة القادة في موقع القيادة كيفية التغلب على إغراءات المنصب ، ومقاومة طغيان المادة الذي يؤدي إلى تكبر النفوس والغرور والترفع على عباد الله ، الذين هم في أشد الاحتياج إلى الرأفة والعفو من الرؤساء ، وخاصة أن فيهم الضعفاء والمساكين والشيوخ والمرضى واليتامى وأصحاب الكوارث والابتلاءات٠٠ وكل هؤلاء في حاجة إلى من يأخذ بيدهم وينتشلهم مما قد يعرضهم للهلكة والضياع في متاهات الحياة ٠

وقد وضع الحق جلَّ وعلا مبدأ العفو كوسيلة لتعامل الرسول مع الناس سواء المسلم منهم وغير المسلم ، بما يعتبر منهاجاً تطبيقياً يشمل الأمة بصفة عامة والقادة بصفة خاصة ، قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران ١٥٩).

---

[1] أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠/ ١٢٧، والزبيري في إتحاف السادة المتقين ٧/ ٧١، **والسيوطي في جمع الجوامع ٩٤٨٤. يحطها (لدى رجوعي لتاريخ بغداد (١٠/١٢٧) تبين: فلم يحفظها. ص).**

[2] **أخرجه الطبراني في الصغير ١/ ٢٨٢.**

[3] **أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠ / ٣٤٤) عن الحسن أن نبي الله** ﷺ قال : .. به .

الرسول القائد يتصف بالعفو والرأفة في صورة مثالية :

نفذ الرسول ﷺ التعليمات الإلهية بكل دقة وأمانة تتناسب مع مقام النبوة الشريف ؛ فهو يعفو عن المسلمين الذين يجانبهم الصواب في مخاطبة الرؤساء ، فإذا تكلم الأعرابي بكل جفاء ، فلا يؤاخذه الرسول بخطئه ويعفو عنه وينفذ له طلبه ؛ فعن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ يوما المسجد وعليه برد نجراني غليظ الصنعة، فأتاه أعرابي من خلفه، فأخذ بجانب ردائه حتى أثرت الصنعة في صفح عنق رسول الله ﷺ، فقال:يا محمد أعطنا من مال الله الذي عندك، فالتفت رسول الله ﷺ فتبسم فقال: "مروا له"[١].

- وعن معاوية قال: كنا نقعد مع رسول الله ﷺ بالغدوات في المسجد فإذا قام إلى بيته لم نزل قياما حتى يدخل بيته، فقام يوما فلما بلغ وسط المسجد أدركه أعرابي فقال: يا محمد احملني على بعيرين فإنك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك وجذب بردائه حين أدركه فاحمرت رقبته، فقال رسول الله ﷺ: لا، وأستغفر الله لا أحملك حتى تقيدني قالها ثلاث مرات، ثم دعا رجلا فقال له: "احمله على بعيرين، على بعير شعير وعلى بعير تمر"[٢].

- ويعفو عن المشركين في تجنيهم بالحكم على الرسول ﷺ وادعائهم عليه غير الحق ، طالما أنهم في ضيافته ؛ فعن معاوية بن حيدة أخذ النبي ﷺ ناسا من قومي فحبسهم، فجاء رجل من قومي النبي ﷺ وهو يخطب فقال: يا محمد علام تحبس جيراني؟ فصمت النبي ﷺ فقال: إن ناسا يقولون: إنك تنهى عن الشر وتستخلي به؟ فقال النبي ﷺ: ما تقول؟ فجعلت أعرض بينهما بكلام مخافة أن يسمعها، فيدعو على قومي دعوة لا يفلحون بعدها، فلم يزل النبي ﷺ حتى فهمها، فقال: "أقد قالوها أو قال قائلها منهم؟ والله لو فعلت لكان علي وما كان عليهم، خلوا له عن جيرانه"[٣].

- ويعفو عن الانتقام بالمثل في الحروب ، وكذلك يعفو عن كل من ناصبه العداء طالما هو في موقع قوة ومقدرة ؛ فعن أبي بن كعب لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا، ومن المهاجرين ستة، منهم حمزة فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ

---

[١] أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٤/٣، وابن حجر في فتح الباري ٥٠٦/١٠.
[٢] أخرجه أبو داود في السنن ٣٢٦٠، ٤٧٧٥، والنسائي في السنن ٢٠٩٣، وأحمد في مسنده ٢٨٨/٢.
[٣] أخرجه أحمد في مسنده ١٣٩/٦، والحاكم في المستدرك ٤٦٢/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤٨٥/٣.

مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ (النحل : ١٢٦) فقال رجل لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: "نصبر ولا نعاقب كفوا عن القوم إلا أربعة" [١].

- وعن عمر بن الخطاب أنه قال: لما كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلى صفوان ابن أمية وإلى أبي سفيان بن حرب وإلى الحارث بن هشام قال عمر: فقلت قد أمكن الله منهم لأعرفنهم بما صنعوا حتى قال رسول الله ﷺ: "مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)" قال عمر: فانفضحت حياء من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بدر مني وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال[٢].

- ويدعو جميع المسلمين والقادة إلى العفو عند المقدرة ، فهذا دليل على القوة المعنوية ، وأعظم وسيلة لتحقيق الوحدة السياسية والسلام الاجتماعي في الأمة ؛ قال ﷺ : "من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة"[٣].

- وقال ﷺ : "من أقال مسلما عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة"[٤].

- وقال ﷺ : "الصرعة كل الصرعة الذي يغضب فيشتد غضبه، ويحمر وجهه ويقشعر شعره فيصرع غضبه" [٥].

٩- الزهد والورع

إن تلك التعاليم السامية التي اتسم بها الرسول ﷺ وهو في موقع القيادة ، كانت تعتبر من المعاني الغريبة على الأذهان ٠٠ حيث الحكم كان يعني التمتع بمباهج الدنيا ، وخاصة أن الحاكم يتمتع بالسيادة الكاملة ، وهو في أعلى سلطة في الدولة ، والجميع كان يسعى للقيادة لتحقيق مصالح شخصية ومتعة دنيوية ٠٠ وإذا كان هناك

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٣٥/٥، والسيوطي في الدر المنثور ١٧٩/٥.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٠٢/١/٢، وابن عساكر في تاريخه ١٠/٤، ٤٣١/٦.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٥١/٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٠/٨.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٥/٢، والبغوي في شرح السنة ١٦١/٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥٠٤/٥، ٢٥٦/٦.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٣٦٧/٥، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤٤٧/٣، وابن كثير في التفسير ١٠١/٢، وابن حجر في فتح الباري ٥١٩/١٠ - (الصرعه: قال في القاموس كهمزة هو من يصرع الناس).

من القادة من يتسم بالزهد والورع بعد البعثة المحمدية ، فذلك من نبع المبادئ التي استقتها البشرية من تلك الشخصية العظيمة التي أنقذت العالم من أسر العبودية للأهواء والمطامع الشخصية ، وعلمتهم أن القوة الحقيقية ليست في الثروات المادية ، ولكنها في المبادئ النورانية التي يؤمن بها الإنسان فتضفي على سلوكياته معاني جديدة ترتقي به عن درك الحيوانية .

معاني الزهد في نهج الرسول القائد ﷺ :

- لقد حدد الرسول ﷺ معالم جديدة لمعنى الزهد : فهي ليست في تحريم الحلال والاستغناء عن الأموال ، ولكن الزهد معنى قلبي ، يتحقق باليقين فيما عند الله أكثر مما يملكه الإنسان مما يحقق للنفس قناعتها وعزتها وطمأنيتها فلا تتزلزل أمام الأحداث الدنيوية ، قال ﷺ : "الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك"[(١)].

- وبين الرسول أن التمتع في الحياة الدنيا يجب أن يكون من مصدر حلال ، أما الاعتداء على حقوق الآخرين من أجل إشباع الشهوات ، فهذا لا يكافئه إلا النار يوم القيامة ؛ فقال ﷺ : "الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار"[(٢)].

- وبين الرسول ﷺ أن الغنى ليس عن كثرة المال ، ولكن الغنى هو غنى القلب عن الطمع الذي يخرج النفس عن منهاج الحق ويجهدها في التجني على حقوق الخلق ؛ فقال ﷺ لأبي ذر : "يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى؟ وقلة المال هو الفقر؟ إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، من كان الغنى في قلبه فلا يضره ما لقي من الدنيا، ومن كان الفقر في قلبه فلا يغنيه ما أكثر له في الدنيا وإنما يضر نفسه شحها" [(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي في باب ما جاء في الزهادة في الدنيا رقم (٢٣٤١) عن أبي محمد وتعريف **الزهادة: بفتح الزاي أي ترك الرغبة فيها. وقال الترمذي: هذا حديث غريب** تحفة الأحوذي **(٣/٧). وفي رواية ابن ماجه: أوثق منك بما في يد الله،** أي بخزائنه الظاهرة والباطنة. وفيه **نوع من المشاكلة.**

(٢) أخرجه **الطبراني في المعجم الكبير ٣٥٠/١٩، والبغوي في** شرح السنة ١٢/٨.

(٣) أخرجه **ابن حبان في صحيحه ٢/ ٤٦١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٦٣، والمنذري في** الترغيب **والترهيب ١/ ٣٣٤.**

- ولذلك حذر الرسول ﷺ من سحر الأطماع الدنيوية التي تبعد عن الأهداف الأخروية ؛ قال ﷺ: "الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله عز وجل"(١).

زهد الرسول ﷺ وترشيد الإنفاق العام :

- ضرب الرسول المثل بنفسه وهو في موقع القيادة في الحرص على ترشيد الإنفاق العام إلى أقصى مدى بحيث منع كل مظاهر الثراء والفخامة في حياته ؛ قال ﷺ : "ما لي وللدنيا وما للدنيا وما لي والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها" (٢).

- وعن الحسن قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ فرآه على حصير أو سرير قد أثر بجنبه، وفي البيت أهب عطنة، فبكى عمر، فقال: ما يبكيك يا عمر؟ قال: أنت نبي الله وكسرى وقيصر على أسرة الذهب، قال: " يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة" (٣).

- وعن عروة قال: قالت عائشة: إن كنا لنمكث أربعين صباحا لا نوقد في بيت رسول الله ﷺ نارا مصباحا ولا غيره، قلت: بأي شيء كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين التمر والماء إذا وجدنا(٤).

- عنها رضى الله عنها قالت: أهدى أبو بكر رجل شاة فإني لأقطعها أنا ورسول الله ﷺ في ظلمة البيت فقيل لها: فهلا أسرجتم؟ قالت: لو كان لنا ما نسرج به أكلناه(٥).

- وكان الرسول بزهده في الأطماع الدنيوية مثلا لكل من يعاني نقص الاحتياجات المادية من أبناء الشعب ؛ فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل علي النبي ﷺ فسألته وشكوت إليه فجعل يعتذر إلي، وجعلت ألومه، ثم حانت صلاة الأولى، فدخلت بيت ابنتي وهي عند شرحبيل بن حسنة، فوجدت زوجها في البيت فوقعت به ألومه حضرت الصلاة الأولى وأنت ها هنا، فقال: يا عمة لا

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٢/١٠.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٣٠١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٤٤، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٣٦٥، وأبو يعلى في مسنده ٩/ ١٩٥.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٦٢٩)، وأحمد في مسنده ١٣٩/٣، وأبو يعلي في مسنده ١٦٨/٥، وهناد في الزهد ٣٨١/٢.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١١٩/٤، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٥) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٢/١٠) بلفظ: لو كان عندنا دهن مصباح لأكلناه.

تلوميني كان لي ثوبان استعار أحدهما رسول الله ﷺ ، فوجدت في نفسي من ذلك، فقلت: ومن يلومه وهذا شأنه[١].

١٠- التواضع

إن التواضع ضد التكبر الناتج عن الشعور بعظمة المنصب وسطوته ، ولذلك فإن الرسول القائد بتواضعه مع الرعية وضع قيماً رفيعة لم يعرفها التاريخ من قبل ، تلك القيم تقضي على التمييز العنصري، وتحقق مفاهيم سامية للمساواة ووحدة الأمة والسلام الاجتماعي ، وتحقق مفهوماً أروع للديموقراطية العصرية ٠ وكل معاني الحب والإخاء التي تنشدها البشرية ٠

مفهوم التواضع في نهج الرسول القائد ﷺ :

-إن دعوة الرسول ﷺ إلى التواضع لا تعني ترك المظهر الحسن وما يتبعه من جمال الصورة التي تعبر عن جمال الجوهر، بل التواضع في نهج الرسول ﷺ هو ضد الكبر الذي يطمس معاني الحق في القلب، ويؤدي إلى احتقار الناس والتعالي عليهم ، مما يسبب الشحناء والبغضاء بين أبناء الأمة الواحدة ، قال ﷺ :"لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا" [٢].

- وقال ﷺ : "لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من الكبر، فقال رجل: يا رسول الله إني ليعجبني أن يكون ثوبي جديدا، ورأسي دهينا، وشراك نعلي جديدا، قال: ذاك جمال، والله تعالى جميل يحب الجمال، ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس"[٣].

- وعن ثابت بن قيس بن شماس قال: ذكر الكبر عند النبي ﷺ، فشدد فيه، فقال: "إن الله لا يحب كل مختال فخور، فقال رجل من القوم: والله يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها، ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي، فقال: ليس ذاك الكبر، إنما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس"[٤].

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٤/٤.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه ١٨٣/٧، وابن ماجة في السنن ٣٥٧٤ والبغوي في شرح السنة ٩/١٢.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٩/١، ٤٥١، والحاكم في المستدرك ٢٦/١، ٤١٦/٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨٣٣٨.

[٤] أخرجه أحمد في مسنده ٤٨٢/٣، والحاكم في المستدرك ١٨٦/٤، والطبراني في الكبير ٦٠/٢، وابن كثير في التفسير ٣٤٢/٦.

- ودعا الرسول ﷺ المسلمين إلى التواضع حتى لا يؤدي الفخر بين الناس إلى البغي والتجبر على الضعفاء :

- وقال ﷺ : "إن الله تعالى أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"[(١)].

- ويبين الرسول ﷺ أن التواضع القلبي يعني الأخوة الإيمانية التي تؤدي إلى السلام الاجتماعي ، حيث يشعر كل فرد بعزة النفس مهما بلغ مستواه من الفقر؛ لأن الإيمان بالله يعطي قوة دافعة للإنسان :

- وقال ﷺ : "عليكم بالتواضع فإن التواضع في القلب، ولا يؤذين مسلم مسلما فلرب متضاعف في أطمار لو أقسم على الله لأبره"[(٢)].

- والتواضع يعني المشاركة الإيجابية مع جميع طبقات الشعب لا فرق بين غني وفقير ، أو بين صاحب الجاه والمسكين ، وتعني الاعتماد على النفس في قضاء الحاجات الأساسية ؛ قال ﷺ : "تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله، وتخرجون من الكبر"[(٣)].

- "ما استكبر من أكل مع خادمه وركب الحمار بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها" [(٤)].

- والتواضع يعني كبت رغبة النفس في حب الظهور الذي يؤدي إلى رياء العامة لإرضاء غرور القائد ؛ فقال ﷺ : "من تواضع لله رفعه الله، فهو في نفسه ضعيف، وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبر وضعه الله، فهو في أعين الناس صغير، وفي نفسه كبير، حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير"[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها عن عياض بن حمار المجاشعي باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار برقم (٢٨٦٥) و (٢١٩٩/٤)- وعياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع المجاشعي التميمي نسبه خليفة سكن البصرة، روى عن النبي ﷺ وله عند مسلم هذا الحديث المذكور انظره بطوله، وأخذ المصنف هنا آخر فقرة منه وأوله: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم...". وعاش عياض إلى الحدود الخمسين. تهذيب التهذيب (٢٠٠/٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢١٩/٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨٢/٨ - (الطمر: الثوب الخلق. النهاية في غريب الحديث (١٣٨/٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٩٧/٨) عن ابن عمر وقال أبو نعيم: غريب.

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل ٤١/٢.

(٥) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٥٦٠/٣، ١٩٧/٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨٢/٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٢٩/٧، ٤٦/٨.

- وقال ﷺ : "من تواضع لله تخشعا لله رفعه الله، ومن تطاول تعظما وضعه الله، والناس تحت كنف الله يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت ذنوبه"[1].

- وجاهد الرسول ﷺ داء حب الظهور عند ذوي الجاه والسلطان. فبين أن هذا من الآثام الكبيرة في قوانين الشريعة :

- وقال ﷺ : "كفى بالمرء من الإثم أن يشار إليه بالأصابع، قالوا: يا رسول الله وإن كان خيرا؟ قال: وإن كان خيرا فهو شر له، إلا من رحمه الله، وإن كان شرا فهو شر"[2].

- وقال ﷺ : "من أحب أن يمثل له الرجال قياما وجبت له النار" [3].

الرسول القائد ﷺ يضرب المثل الأعلى في التواضع :

- ضرب الرسول ﷺ من نفسه قدوة في التواضع ، فرفض أن يبالغ الناس في مدحه حتى لا يتعلم الشعب النفاق ؛ فعن يزيد بن عبد الله بن الشخير، قال: وقد أتى وفد بني عامر على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله أنت سيدنا وذو الطول علينا قال: مه مه قولوا بقولكم ولا يستجرينكم الشيطان، السيد الله السيد الله" [4].

- وقال ﷺ : "لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تعالى قد اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا"[5].

- وعن الأسود بن سريع قال: قلت يا رسول الله: إني قلت شعرا، أثنيت فيه على الله ومدحتك، فقال ﷺ :" أما ما أثنيت فيه على الله فهاته، وأما ما مدحتني فيه فدعه"[6].

- وعن أنس أن رجلا قال للنبي ﷺ: يا خير الناس! قال: "ذاك إبراهيم"، قال: يا أعبد الناس! قال: "ذاك داود"[7].

---

[1] أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١١٤/٤.
[2] أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢٨/١٨.
[3] أخرجه أبو داود في الأدب ب ١٦٦.
[4] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤٩٨/٥، وابن كثير في التفسير ٦٩/٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٢/٧.
[5] أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٩/٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢١/٩.
[6] أخرجه الطبراني في الكبير ٦١/٦ - (الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي السعدي من بني منقر صحابي غزا مع النبي ﷺ ونزل البصرة توفي يوم الجمل سنة ٤٢ ـ تهذيب التهذيب ٣٣٨/١).
[7] أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٩٢/٥، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ٢٦٧/١.

- وطبق الرسول ﷺ بتواضعه أسمى معاني الديموقراطية مع جميع الناس بدون تفرقة فهو لا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي لهم حاجتهم :

- وكان ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته(١).

- وكان يركب خلفه أي إنسان يراه ماشيا ليخفف عنه وطأة الطريق ، ويضع طعامه على الأرض بدون أية مظاهر للعز والفخامة، ويجيب دعوة المملوك بدون استهانة به لرفع روحه المعنوية وغرس الغيرة الإيمانية في النفوس البشرية :

- وكان ﷺ يردف خلفه، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار(٢).

وضرب الرسول أروع مظاهر البروتوكولات الحديثة فلا ينصرف حتى ينصرف الرجل الذي معه ، ولا ينزع يده عند السلام إلا إذا نزعها الذي يسلم ، ولا يعرض وجهه عن أحد ولا يمدد رجليه أمام الجالسين :

- وكان ﷺ إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول أذنه ناوله إياها ثم لم ينزعها عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها عنه(٣).

- وعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزعها، ولم يعرض بوجهه عنه، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليسه(٤).

- ولم يفرق الرسول ﷺ في الاستجابة لرغبات الشعب والجلوس معهم سواء الرجال أو النساء ؛ فعن أنس قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن لي إليك حاجة ، فقال لها:"يا أم فلان! اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك"(٥).

---

(١) أخرجه النسائي كتاب الجمعة باب ما يستحب من تقصير الخطبة رق (١٤١٥).
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١١٩/٤، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢٤١/٥، ١٤٢/٧.
(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠٩/٧، وابن سعد في الطبقات الكبري ٩٩/٢/١.
(٤) أخرجه البغوي في شرح السنة ٢٤٥/١٣، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٨٢٤.
(٥) أخرجه مسلم كتاب الفضائل باب قرب النبي ﷺ من الناس رقم (٢٣٢٦).

إنه الرسول القائد الذي ضرب أروع الأمثلة في التواضع القائم على عزة النفس والسعي لإعلاء مبادئ الحق ، وكان في تواضعه هذا عظيماً في نفسه ، عظيماً في إرساء أسس الحضارة العريقة على مبادئ تسعد البشرية وتحقق لها الأمن والكرامة في أسمى صورها .

المشاركة الوجدانية مع الشعب

إن تلك الصفه التى نختتم بها صفات الحاكم التى استقيناها من نبع السنة النبوية، لتبين عظمة الإسلام فى سبق كل مفاهيم الديموقراطية ، لأنه بتشريعه السامي ، ألغى كل الحواجز الطبقية ، فلم يعد هناك طبقات مستعبدة ، أو سيد ومسود ، بل الكل مواطنون أحرار يعيشون ازدواجية الحكم ، فكل فرد راع ومرعىٌ فى نفس الوقت ، أى حاكم ومحكوم ، يمارس سلطانه وعليه مسئولياته. وبهذا يشعر الحاكم أنه فرد فى دائرة كبيرة ليس له أن يترفع على عامة الشعب، بل هو مع ضعيفهم حتى يقوى ، ومع صغيرهم حتى يكبر ، ومع مسافرهم حتى يعود ، ومع مريضهم حتى يشفى ، ومع المظلوم حتى يأخذ الحق له .

تلك هى المشاركة الوجدانية مع الشعب التى وضعها الإسلام فى أسمى صورة لها ، وبدأ بها الرسول القائد ﷺ، ومارسها من بعده الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم، وساعدهم على ذلك كل المسلمين ؛ لأن الجميع يؤمن بمبادئ واحدة ، مما يهيئ المناخ العام لمساعدة الحاكم على نهج تلك المبادئ بسهولة ويسر .

كيف شارك الرسول ﷺ الشعب وجدانيا ؟

إن مشاركة الرسول ﷺ مع الرعية تنبع من كل صفاته الشخصية التي عرضناها سابقاً ، وهي تعتبر نموذجاً فريداً لسلوك القائد مع الشعب مما يحقق نهضة الأمم ورفعتها وإحساس كل فرد منها بمسئوليته المطلقة نحوها ، فهو ابن الأمة التي تتكون من أبنائها المحبين المتضامنين الذين يشعرون بالمساواة بينهم وبين الحكام ويشعرون بالعدالة الاجتماعية في أسمى صورها ؛ **فالرسول كان يشاركهم في السراء والضراء، لا فرق بين الأغنياء والفقراء ؛ فقد كان رسول الله ﷺ** : إذا صلى بالناس

الغداة أقبل عليهم بوجهه فقال: "هل فيكم مريض أعوده؟ فإن قالوا: لا، قال: هل فيكم جنازة أتبعها؟ فإن قالوا: لا، قال: من رأى منكم رؤيا يقصها علينا"[١].

- وكان رسول الله ﷺ: إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائبا دعا له، وإن كان شاهدا زاره، وإن كان مريضا عاده[٢].

- وكان رسول الله ﷺ: يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم[٣].

- وقال رسول الله ﷺ: "لأعرفن ما مات منكم ميت ما كنت بين أظهركم إلا آذنتموني به، فإن صلاتي عليه له رحمة" [٤].

- وعن عباد بن زاهر قال: سمعت عثمان يخطب فقال: إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر،وكان يعود مرضانا ويشيع جنائزنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناسا يعلموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط[٥].

وكان رسول الله ﷺ: يشاركهم في رفع الروح المعنوية في الحروب؛ حيث يضحك معهم وينقل التراب في حفر الخندق ويرتجز الشعر ويردده مع المسلمين ليزيل عنهم العناء والإجهاد ؛ فعن سعد قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال النبي ﷺ لي: ارم فداك أبي وأمي فنزعت بسهم فيه نصل فأصابت جبهته فوقع فانكشفت عورته فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[٦].

- وعن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب شعر صدره وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الأقدام إن لاقينا

---

(١) أخرجه البخاري قريبا من لفظه ومعناه عن سمرة بن جندب، كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين انظر الحديث بطوله وهذا صدره (١٢٥/٢).
(٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٨٦/٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩٥/٢، والعجلوني في كشف الخفاء ٩٨/٢.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٦٦/٢.
(٤) أخرجه ابن ماجه كتاب الجنائز رقم ١٥٢٨.
(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٦٩/١.
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠٤/١، وابن عساكر في تاريخه ٣٦٢/٥، ٣٦٤.

إن الأولى قد بغوا علينا * وإن أرادوا فتنة أبينا[١].

- وخرج رسول الله ﷺ غداة باردة والمهاجرون والأنصار يحفرون الخندق فلما نظر إليهم قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة * فاغفر للأنصار والمهاجرة

فأجابوا:

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا [٢].

- وكان ﷺ يمزح معهم ويتباسط في مداعبتهم؛ لأنه واحد منهم ولكن هذا المزاح والمداعبة لا يخرج عن حدود الحق : قال رسول الله ﷺ: "إني وإن داعبتكم فلا أقول إلا حقا" [٣].

- وعن صهيب قال: قدمت على رسول الله ﷺ وهو بقباء ومعه أبو بكر وعمر، وبين أيديهم رطب، وقد رمدت في الطريق فأصابني مجاعة شديدة، فوقعت في الرطب، فقال عمر: يا رسول الله ألا ترى صهيبا يأكل الرطب وهو أرمد؟ فقال رسول الله ﷺ: "يا صهيب تأكل الرطب وأنت أرمد؟" فقال صهيب: يا رسول الله إنما آكل بشق عيني هذه الصحيحة، فتبسم[٤].

- وكان رسول الله ﷺ: يعجبه أن يدعى الرجل بأحب أسمائه إليه وأحب كناه[٥].

- وعن ابن عباس وزيد بن أرقم عن أبي الأشهب عن رجل من مزينة أن رسول الله ﷺ رأى على عمر ثوبا غسيلا فقال: جديد ثوبك هذا؟ قال: غسيل يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ :"البس جديدا، وعش حميدا، ومت شهيدا، يعطك الله قرة عين في الدنيا والآخرة" [٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الخندق (١٤٠/٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٢/٣، ٢٧٦، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١٨٠/١/٣ -

(٣) أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة - باب ما جاء في المزاح رقم (١٩٩٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٥٣/٦، وابن سعد في الطبقات الكبري ١٦٣/١/٣.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٦/٨

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٠٢/١٠.

- وكان يعطي عناية خاصة في رعاية الأطفال وتشجيعهم ورفع روحهم المعنوية ، فقد كان ﷺ يقول : "ارموا يا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا، وأنا مع محجن بن الأدرع، قالوا: من كنت معه غلب، قال: فارموا وأنا معكم كلكم" [١].

- وعن أنس رضي الله عنه قال :"كان رسول الله ﷺ يخالطنا فيقول لأخ لي: يا أبا عمير ما فعل النغير، ونضع بساطا لنا فيصلي عليه"[٢].

- وعن بشير بن عقربة قال: لما قتل أبي عقربة يوم أحد أتيت النبي ﷺ وأنا أبكي فقال: "يا حبيب! ما يبكيك؟ أما ترضى أن أكون أنا أباك وعائشة أمك؟ قلت: بلى يا رسول الله بأبي أنت وأمي! فمسح على رأسي فكان أثر يده من رأسي أسود وسائره أبيض، وكانت لي رتة فتفل فيها فانحلت، وقال لي: ما اسمك؟ قلت: بحير، قال: بل أنت بشير"[٣].

- **وكان ﷺ يهتم بالنساء ويشفق عليهن** ؛فعن أبي الطفيل قال: كنت غلاما أحمل عضو البعير ورأيت رسول الله ﷺ يقسم لحما بالجعرانة فأقبلت امرأة بدوية، فلما دنت من النبي ﷺ بسط لها رداءه فجلست عليه، فسألت: من هذه؟ فقالوا: أمه التي أرضعته[٤].

- وعن الشعبي قال: لما أتى رسول الله ﷺ قتل جعفر بن أبي طالب ترك رسول الله ﷺ امرأته أسماء بنت عميس حتى أفاضت عبرتها فذهب بعض حزنها، ثم آتاها فعزاها ودعا بني جعفر فدعا لهم ودعا لعبد الله بن جعفر أن يبارك في صفقة يده؛ فكان لا يشتري شيئا إلا ربح فيه، فقالت له أسماء: يا رسول الله! إن هؤلاء يزعمون أنا لسنا من المهاجرين، فقال: كذبوا، لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلي"[٥].

- **وكان ﷺ يعبر عن حبه والوفاء بجميع من حوله والاستعداد لمساعدتهم** ؛ فعن معاذ بن جبل قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: "إني لأحبك يا معاذ، وأنا أحبك يا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥٩/٦، وأحمد في مسنده ٥٠/٤، والبيهقي في السنن ١٧/١٠، والطبراني في الكبير ١٧٤/٣، ٣٦/٧.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب باب استحباب تحنيك المولود، رقم (٢١٥٠).
(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٦٩/٣ - (رتة: الأرت: الذي في لسانه عقدة وحبسة. ويعجل في كلامه فلا يطاوعه لسانه. النهاية ١٩٣/٢).
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٨١/٤، وابن حبان في صحيحه ٤٤/١٠.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٢٠/١٤.

رسول الله، قال: فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة، رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[١].

- وكان رسول الله ﷺ: يتخلف في المسير فيزجي الضعيف ويردف، ويدعو لهم[٢].

- وكان رسول الله ﷺ: مما يقول للخادم:"ألك حاجة؟"[٣].

- وعن جابر قال:قال رسول الله ﷺ: "انطلقوا بنا إلى البصير الذي في بني واقف نعوده وكان رجلا أعمى"[٤].

- وكان ﷺ لا يحب أن يكون متميزاً عن أصحابه في أي شيء ؛ قال رسول الله ﷺ: "إني لست بأغنى من الأجر منكما ولا أنتما بأقوى على المشي مني"[٥].

- وكان ﷺ لا يبخل عن الرعية بما يملك حتى لو كان في أشد الحاجة إليه ؛ فعن سهل بن سعد قال: حيكت لرسول الله ﷺ حلة أنمار صوف سوداء فجعل حاشيتها بيضاء، فخرج فيها إلى أصحابه، فضرب بيده على فخذه فقال: "ألا ترون إلى هذه ما أحسنها؟" فقال أعرابي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هبها لي، وكان رسول الله ﷺ لا يسأل شيئا أبدا فيقول: لا، فقال: نعم فأعطاه الجبة ودعا بمعوزين له فلبسهما وأمر بمثلها فحيكت له، فتوفي رسول الله ﷺ وهي في المحاكة[٦].

- وعن الحسن قال: أهدى أكيدر دومة الجندل إلى رسول الله ﷺ جرة فيها المن الذي رأيتم وبالنبي ﷺ وأهل بيته يومئذ والله بها حاجة، فلما قضى الصلاة أمر طائفا فطاف بها على أصحابه فجعل الرجل يدخل يده فيستخرج فيأكل، فأتى على خالد بن الوليد، فأدخل يده فقال: يا رسول الله أخذ القوم مرة وأخذت مرتين، فقال: "كل وأطعم أهلك"[٧].

تلك كانت بعض مواصفات القيادة التي أرساها الرسول ﷺ وهو يقود الأمة الإسلامية وحقق لها حضارة مثالية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً ، تلك الحضارة استمدت عراقتها من روح القيادة التي لا تستطيع أقلامنا أن تسجلها؛ لأنها تمثل

---

[١] أخرجه النسائي في السنن ١٣٠٤، وأبو داود في السنن ١٥٢٢.

[٢] أخرجه أبو داود في السنن ٢٦٣٩، والبيهقي في السنن ٢٥٧/٥ - (زجا: فيزجي: أي يسوقه ليلحقه بالرفاق. النهاية [٢٩٧/٢].

[٣] أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١١٠/٧.

[٤] أخرجه البيهقي في السنن ٢٠٠/١٠، وابن حجر في فتح الباري ٢٨٦/١١، والخطيب البغدادي في تاريخه ٤٣١/٧.

[٥] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٩/٣، والحاكم في المستدرك ٩١/٢.

[٦] أخرجه الطبراني في الكبير ١٧٨/٦.

[٧] أخرجه البيهقي في السنن ١٢٩/٣، وأحمد في مسنده ٢٨٠/٥.

العزيمة والإرادة الصلبة التي لا تلين ، وفي نفس الوقت يغمرها الحب والتواضع والإحساس العميق بمشاعر الإنسانية ومشكلتها في كل الأوقات ومع كل الأزمات .. إنها بحق قيادة النبوة التي تتشوق إليها الشعوب على مر العصور ، لتنتشلها من هجير المادية الذي كاد يقضي على كل معاني الرحمة والوفاء والبر والعطاء.

الخاتمة

لقد بدأنا هذا البحث يدفعنا الشوق والعزيمة للتعريف بنبي الرحمة .. ولكننا عندما وصلنا إلى مشارف النهاية شعرنا بالتقصير في القيام بواجبنا نحو هذا التعريف .. فكيف نعرف نبيًّا كان خلقه القرآن ؟ أي أن كل تصرفاته تترجم معاني سماوية عالية ، لا يمكن في مقدور أي بشر أن يستوعب معانيها السامية ، أو يحيط بدوافعها المثالية ، وأهدافها التي تتشعب إلى فروع كثيرة ، ليست متناقضة ولكنها متكاملة ، لتعالج المشكلات الإنسانية على جميع مستوياتها بطريقة محكمة تشمل النواحي المادية والمعنوية ، بما يحقق العلاج الأمثل الذي يرتقي بالبشرية إلى آفاق عالية .

إن النبي محمد ﷺ كان أميناً في تبليغ الرسالة ، مخلصاً في تطبيقها واقعاً حياً يعيشه المسلمون .. عظيماً في مواجهة التحديات التي تواجهه .. رحيماً في معايشته للناس ؛ بل والكائنات بأجمعها ، عادلاً في حكمه وهو يبني دعائم الأمة الإسلامية باختلاف أجناسها ، قوياً وهو قائد يواجه قوى الظلم والطغيان التي تريد القضاء عليه وعلى دعوته .. حكيماً وهو يقيم دعائم الحرية والمساواة والسلام الاجتماعي ، رءوفا متواضعا حتى يلقن الحكام ضبط النفس أمام سطوة السلطان .. إنه حقا شخصية فريدة يصعب على أي إنسان الإحاطة بكل ملامح العظمة فيها..

- ويؤيدنا الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي في رأينا هذا حيث يقول :

منذ وجد الإنسان على الأرض وهو مشوق إلى تعرف ما في الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن في المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذي قبل، وظهر ضعفه وتضاءل غروره ، ونبي الإسلام صلوات الله عليه وسلامه شبيه بالوجود ؛ فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلمسون نواحي العظمة الإنسانية فيه ، ويتلمسون مظاهر أسماء الله جلت قدرته في عقله وخلقه وعلمه . ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة وأمامهم جهاد طويل، وبعد شاسع ، وطريق لا نهاية له .

إن النبوة هبة الله لا تنال بالكسب ؛ لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها والقادر على حملها . الله أعلم حيث يجعل رسالته . ومحمد ﷺ أعد لأن

يحمل الرسالة للعالم أجمعه ، أحمره وأسوده ، إنسه وجنه ، وأعد لأن يحمل رسالة أكمل دين ، ولأن يختم به الأنبياء والرسل .

أمر محمد ﷺ بأن يبلغ عن ربه ، ولم تبين له الطريق التي يتبعها في التبليغ وفي حماية الدعوة ، وترك له أن يتصرف بعقله وعمله وفطنته ، كما يتصرف غيره من العلماء والعقلاء ، وجاء الوحي مفصلاً قاطعاً في كل ما يختص بذات الإله ووحدانيته وصفاته وكيفية عبادته ، ولم يكن كذلك فيما يخص النظم الاجتماعية للأسرة والقرية والمدينة والدولة منفردة ومرتبطة بغيرها من الدول . فهناك مجال واسع للبحث عن عظمة النبي ﷺ قبل الوحي ، وهناك مدى فسيح للبحث عن تلك العظمة بعد الوحي . فقد صار مبلغاً عن ربه داعياً إليه ، حامياً لتلك الدعوة ولحرية الداعين ، مدافعاً عنهم ، وأصبح حاكم الأمة الإسلامية وقائد حربها ومفتيها وقاضيها ومنظم جميع الصلات والروابط فيها ، وبينها وبين غيرها من الأمم . وقد أقام العدل في ذلك كله ، وألف بين أمم وطوائف ما كان العقل يسيغ إمكان التأليف بينها ، وظهرت الحكمة والرصانة وبعد النظر وكمال الفطنة وسرعة الخاطرة وقوة الحزم في كل ما صدر عنه من قول أو فعل ، وتفجرت منه ينابيع العلم والمعرفة وينابيع البلاغة التي يعجز البلغاء أمامها إجلالاً وهيبة .. وفارق الدنيا وهو راض عن عمله، مرضي من الله ومن المسلمين .. وكل هذه النواحي تستحق الدرس والتمحيص، وليس في مقدور شخص واحد أن يوفيها حقها [١].

ويعبر الكاتب الكبير محمد فريد وجدي عن عظمة الشخصية المحمدية في تلك العبارات الموجزة فيقول :

اللهم ما أقوى سلطانك وأسطع برهانك ، أمي في أقصى بيئة عن العمران ، وأبعد مكان عن معترك العقول ، ومضطرب النظريات والمبادئ ، وبين ظهراني قوم لم يألفوا النظام ، ولم يأنسوا بالوحدة ، ينتدب أن يكون رسولاً للناس كافة فيدعوهم للكلمة الجامعة ، ملوحاً لهم بالأصول الحكيمة لتحقيق هذا المأرب ، الذي لم يطف بخيال فيلسوف ولا مصلح قبله ، مدللاً على إمكانه بالأدلة القاطعة ، ضارباً لهم المثل بتأليف أمة عالمية ليس فيها ظل من نعرة القومية ، ولا عصبية الجنسية ، وبتوزيع العدالة، وجميع الحقوق المدنية بين الكافة بالسوية، أمة خالصة من جميع

---

[١] التقديم لكتاب حياة محمد . للدكتور محمد حسين هيكل – مكتبة الأسرة .

علل الاجتماع يسودها قانون أصوله الحقوق الطبيعية ، رأس مالها المعرفة ، دينها العقل ، سلاحها الحكمة ، غايتها المثل الأعلى ، أمي في أقصى بيئة العمران يأتي بكل هذا بنصوص صريحة لا تحتمل الصرف والتأويل لا يعقل أن يكون كل هذا من عنده ! بل لا بد أن يهبط عليه من عالم علوي ، إذ هي أرقى مما سبقها من فلسفات الأقدمين مجموعة متضافرة ! ومن العجيب أن موحى هذه التعاليم يقرر سبقها لزمانها ، وأن الناس سيعرفون فضلها بعد حين ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣) أي دليل على الوحي أقوى من هذا الدليل[١].

ماذا قال العلماء والمفكرون عن نبي الرحمة؟

نعرض فيما يلي أقوال بعض المفكرين الذين نظروا إلى النبي محمد ﷺ وإلى رسالته العظيمة

(القرآن) نظرة محايدة منصفة سواء أسلموا أم ظلوا على دينهم، وقد أردنا من هذا العرض إلقاء مزيد من المعرفة عن تلك الشخصية العظيمة :

يقول مايكل هارت[٢]: لقد اخترت محمدا ﷺ في أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار. ومعهم حق في ذلك. ولكن محمد ﷺ هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي.

وهو قد دعا إلي الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات ، وأصبح قائدًا سياسيًا وعسكريًّا ودينيًّا. وبعد ١٣ قرنًا من وفاته. فإن أثر محمد ﷺ ما يزال قويًّا متجددًا.

وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا. إلا محمدا ﷺ فهو قد ولد سنة ٥٧٠ ميلادية في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم. بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن. وقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلي الوجود. وماتت أمه وهو في السادسة من عمره. وكانت نشأته في ظروف متواضعة وكان لا

---

(١) السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة. محمد فريد وجدي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٤٠ .

(٢) الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ (ص ١٣) ترجمة أنيس منصور – المكتب المصري الحديث .

يقرأ ولا يكتب ، ولم يتحسن وضعه المادي إلا في الخامسة والعشرين من عمره عندما تزوج أرملة غنية.

ولما قارب الأربعين من عمره. كانت هناك أدلة كثيرة علي أنه شخصية فذة بين الناس.

وكان أكثر العرب في ذلك الوقت وثنيين ، يعبدون الأصنام. وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى.. وكان محمد ﷺ علي علم بهاتين الديانتين. وفي الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيمانا بأن الله واحد أحد ، وأن وحيًا ينزل عليه من السماء، وأن الله اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس.

وأمضي محمد ﷺ ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس.

وفي سنة ٦١٣ ميلادية أذن الله عز وجل لمحمد ﷺ بأن يجاهر بالدعوة إلي الدين الجديد فتحول قليل إلي الإسلام. وفي سنة ٦٢٢ ميلادية هاجر الرسول ﷺ إلي المدينة المنورة واكتسب الإسلام كثيرا من القوة. واكتسب رسوله عددا كبيرا من الأنصار.

وفي السنوات التالية، تزايد عدد المهاجرين والأنصار. واشتركوا في معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار. وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار. وانتهت كل هذه المعارك في سنه ٦٣٠ ميلادية بدخول الرسول منتصرا إلي مكة قبل وفاته بسنتين ونصف السنة، وشهد محمد ﷺ الناس يدخلون في دين الله أفواجا.. ولما توفي الرسول ﷺ كان الإسلام قد انتشر في شبه الجزيرة العربية.

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم في القتال، وكانوا ممزقين أيضًا. رغم أنهم قليلو العدد، ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب في الشمال الذين عاشوا علي الأرض المزروعة.

ولكن الرسول استطاع لأول مرة في التاريخ، أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعا بالدعوة إلي الإله الواحد؛ ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية ، فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبة الجزيرة العربية ، وشملت الإمبراطورية الفارسية علي عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربي، واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية. وكان العرب أقل بكثير جدًا من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها.

ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه ورسوله. أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي.وهي أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم. وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلدا. فإنها تنشر الإسلام بين الناس.

وظلت الديانة الجديدة تتسع علي مدي القرون التالية. فهناك مئات الملايين في وسط أفريقيا وباكستان وإندونيسيا. بل إن الإسلام وحَّد بين أندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات.وفي شبه القارة الهندية انتشر الإسلام وظل على خلاف مع الديانات الأخري.والإسلام مثل كل الديانات الكبرى. كان له أثر عميق في حياة المؤمنين به. ولذلك فمؤسسو الديانات الكبرى ودعاتها موجودون في قائمة المائة الخالدين.وربما بدا شيئًا غريبًا أن يكون الرسول ﷺ في رأس هذه القائمة.رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين، وربما بدا غريبًا أن يكون الرسول ﷺ هو رقم واحد في هذه القائمة، بينما عيسي عليه السلام هو رقم ٣ وموسي عليه السلام رقم١٦.

ولكن لذلك أسباب من بينها : أن الرسول محمد ﷺ قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسي عليه السلام في الديانة المسيحية. وعلي الرغم من أن عيسي عليه السلام هو المسئول عن مبادئ الأخلاق في المسيحية، غير أن القديس بولس هو الذي أرسي أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضًا المسئول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب (العهد الجديد)
أما الرسول ﷺ فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية. كما أن القرآن الكريم نزل عليه وحده. وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم.

والقرآن الكريم نزل علي الرسول ﷺ كاملا. وسجلت آياته وهو ما يزال حيًا. وكان تسجيلاً في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد..وليس في المسيحية شيء مثل ذلك. فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يُشبه القرآن الكريم.وكان أثر القرآن الكريم علي الناس بالغ العمق؛ ولذلك كان أثر محمد ﷺ علي الإسلام أكثر وأعمق من الذي تركة عيسي عليه السلام علي الديانة المسيحية ؛ فعلي المستوي الديني كان محمد ﷺ قويا في تاريخ البشرية. وكذلك كان عيسي عليه السلام. وكان الرسول ﷺ علي

خلاف عيسى عليه السلام رجلا رائدا في الحياة الدينية والدنيوية فكان زوجًا وأبًا. وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم. وكان يحارب ويصاب في الحروب ويمرض..ثم مات. ولما كان الرسول ﷺ قوة جبارة، فيمكن أن يقال أيضًا أنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ.

وإذا استعرضنا التاريخ..فإننا نجد أحداثا كثيرة تقع دون أبطالها المعروفين..مثلاً: كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن أسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار.. وهذا ممكن جدًا. علي أن يجيء أي إنسان ويقوم بنفس العمل. ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو .. وعن العرب عمومًا وعن إمبراطوريتهم الواسعة، دون أن يكون هناك محمد ﷺ .. فلم يعرف العالم كله رجلاً بهذه العظمة قبل ذلك.وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به.

ربما ارتضي بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة.. كالتي قام بها المغول في القرن الثالث عشر. والفضل في ذلك يرجع إلي جنكيز خان. ورغم أن غزوات جنكيز خان كانت أوسع من غزوات المسلمين، فإنها لم تدم طويلاً.. ولذلك كانت أقل خطرًا وعمقًا. فقد انكمش المغول وعادوا إلى احتلال نفس الرقعة التي كانوا يحتلونها قبل ظهور جنكيز خان.

وليست كذلك غزوات المسلمين .. فالعرب يمتدون من العراق إلي المغرب. وهذا الامتداد يحتوي دولاً عربية. لم يوحد بينها الإسلام فقط. ولكن وحدت بينها اللغة والتاريخ والحضارة.ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن. هذا الإيمان العميق هو الذي حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة. صحيح أن هناك خلافات بين الدول العربية وهذا طبيعي. ولكن هذه الخلافات يجب ألا تنسينا الوحدة المتينة بينها.

إن هذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أومن أن محمداً ﷺ هو أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ الإنسانية كله[1].

ويقول القس خليل أحمد :(يرتبط هذا النبي ﷺ بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح عليه السلام في قوله عنه (ويخبركم بأمور آتية) ، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم

---

(1) الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ – مايكل هارت ترجمة أنيس منصور – ط المكتب المصري الحديث .

معجزة الرسول الباقية ما بقى الزمان. فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه : من طب ، وفلك ، وجغرافيا ، وجيولوجيا ، وقانون ، واجتماع ، وتاريخ .. ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف[١].

وتقول ديبورابوتر : كيف استطاع محمد ﷺ الرجل الأمي الذي نشأ في بيئة جاهلية أن يعرف معجزات الكون التي وصفها القرآن الكريم ، والتي لا يزال العلم الحديث حتى يومنا هذا يسعى لاكتشافها ؟ لا بد إذن أن يكون هذا الكلام هو كلام الله عز وجل[٢].

ويقول الكونت هنري دي كاسترو : إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها ، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب ﷺ فآمن برب قائلها ، وفاضت عين النجاشي بالدموع لما تلى عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا ما ورد من كلام عيسى عليه السلام .. لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا ، غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب ، ولقد أصاب (جان جاك روسو) حيث يقول : (من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ، ولو أنه سمع محمد ﷺ يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب .. لخر ساجداً على الأرض وناداه : أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار) .. وكيف يعقل أن النبي ﷺ ألف هذه الكتب

---

[١] ابراهيم خليل ابن أحمد : قس مبشر من مواليد الإسكندرية عام ١٩١٩ ، يحمل شهادات عالية في علم اللاهوت من كلية اللاهوت المصرية ، ومن جامعة برنستون الأمريكية ، عمل أستاذا بكلية اللاهوت بأسيوط. كما أرسل عام ١٩٥٤ إلى أسوان سكرتيراً عاماً للإرسالية الألمانية السويسرية. وكانت مهمته الحقيقية التنصير والعمل ضد الإسلام. لكن تعمقه في دراسة الإسلام قاده إلى الإيمان بهذا الدين وأشهر إسلامه رسمياً ١٩٥٩. كتب العديد من المؤلفات ، أبرزها ولا ريب (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن) ، (المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي) ، (وتاريخ بني إسرائيل).

[٢] ديبورابوتر ، ولدت ١٩٥٤ ، ، بمدينة ترافيرز ، في ولاية متشيغان الأمريكية ، وتخرجت من فرع الصحافة بجامعة مشيغان ، اعتنقت الإسلام عام ١٩٨٠ ، بعد زواجها من أحد الدعاة الإسلاميين العاملين في أمريكيا ، بعد اقتناع عميق بأنه ليس ثمة من دين غير الإسلام يمكن أن يستجيب لمطالب الإنسان ذكراً كان أم أنثى. رجال ونساء أسلموا ٨ / ١٠٠.

باللغة الفصحى مع أنها في العصور الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون .. ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب .. [١].

ويقول نصري سهلب : (إن الآية التي استطيب ذكرها هي التي تشع سماحا إذ تقول : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٦)

ذلك ما يقوله المسلمون للمسيحيين وما يؤمنون به؛ لأنه كلام الله إليهم. إنها لعبارات يجدر بنا جميعا، مسيحيين ومسلمين ، أن نرددها كل يوم ، فهي حجر الأساس في بناء نريده أن يتعالى حتى السماء ، لأنه البناء الذي فيه نلتقي ، والذي فيه نلقى الله فحيث تكون المحبة يكون الله .. والواقع أن القرآن يذكر صراحة أن الكتب المنزلة واحدة ، وأن أصلها عند الله وهذا الأصل يدعى أحيانا " أم الكتاب " وحينا آخر " اللوح المحفوظ " أو الإمام المبين . إن محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. فإذا بهذا الأمي يهدي الإنسانية أبلغ أثر مكتوب حلمت به الإنسانية منذ كانت الإنسانية، ذاك كان القرآن الكريم ، الكتاب الذي أنزله الله على رسوله هدى للمتقين[٢].

ويقول فنساي مونتساي : إنني لا أشك لحظة في رسالة محمد ﷺ . وأعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه بعث للناس كافة ، وإن رسالته جاءت لختم الوحي الذي نزل في التوراة والإنجيل. وأحسن دليل على ذلك هو القرآن المعجزة. فأنا أرفض خواطر بسكال العالم الأوروبي الحاقد على الإسلام والمسلمين إلا خاطرة

---

(١) الكونت هنري دي كاسترو (١٨٥٠- ١٩٢٧) : مقدم في الجيش الفرنسي ، قضى في الشمال الأفريقي ردحاً من الزمن. من آثاره : (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (١٩٠٥) ، (الأشراف السعيديون) (١٩٢١) ، رحلة هولندي إلى المغرب (١٩٢٦) ، وغيرها. الإسلام خواطر وص ١٨ ، ٢٠ سوانح.

(٢) نصري سهلب : مسيحي من لبنان يتميز بنظرته الموضوعية وتحريه للحقيقة المجردة ، كما عرف بنشاطه الدؤوب لتحقيق التعايش السلمي بين الإسلام والمسيحية في لبنان – كما يزعم – إن على مستوى الفكر أو على مستوى الواقع وعبر الستينات كتب العديد من الفصول وألقى العديد من المحاضرات في العديد من المناسبات الإسلامية والمسيحية على السواء ، متوخياً الهدف نفسه. من مؤلفاته : (لقاء المسيحية والإسلام) (١٩٧٠) ، و(في خطر محمد) (١٩٧٠).

واحدة وهي قوله : ليس القرآن من تأليف محمد ﷺ كما أن الإنجيل ليس من تأليف متى ، إن مثل المفكر الإسلامي المبعد عن التأثير كمثل رجل أفرغ من دمه[١].

ويقول عبد الله كويليام : من الوجه العلمي ، بصرف النظر أنه كتاب موحى به ، فالقرآن أبلغ كتاب في الشرق وهو حافل بالمجازات السامية، ملئ بالاستعارات الباهرة .

أحكام القرآن ليست مقتصرة على الفرائض الأدبية والدينية ؛ إنه القانون العام للعالم الإسلامي ، وهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجزائية. ثم هو قانون ديني يدار على محوره كل أمر من الأمور الدينية إلى أمور الحياة الدنيوية ، ومن حفظ النفس إلى صحة الأبدان ، ومن حقوق الرعية إلى حقوق كل فرد ، ومن منفعة الإنسان الذاتية إلى المنفعة الاجتماعية ، ومن الفضيلة إلى الخطيئة ، ومن القصاص في هذه الدنيا إلى القصاص في الآخرة ، وعلى ذلك فالقرآن يختلف مادياً عن الكتب المسيحية المقدسة التي ليس فيها شيء من الأصول الدينية، بل هي في الغالب مركبة من قصص وخرافات واختلاط عظيم في الأمور التعبدية ، وهي غير معقولة وعديمة التأثير [٢] .

ويقول هنري سيرويا : القرآن وحي من الله ، لا يدانيه أسلوب البشر ، وهو في الوقت عينه ، ثورة عقيدية ، هذه الثورة العقيدية لا تعرف – لا بالبابا ولا أي مجمع لعلماء الكهنوت والقساوسة ، حيث لم يشعر الإسلام يوماً بالخشية والهلع من قيام مبدأ التحكيم العقلي الفلسفي. فإذا قارنا الإسلام باليهودية والمسيحية ، نجد بعض الخطوط المميزة والتي لا تبدو مطابقة تماماً خاصة بالمسيحية ؛ فالنظام المسيحي اليهودي يخالف الإسلام؛ حيث لا يوجد فراغ بين الخالق والخلق البشري ، هذا الفراغ لدى اليهود والمسيحيين مليء بالواسطة ، ولا شيء من هذا يتفق مع الإسلام ، فمحمد ﷺ مع كونه مبعوثاً ورسولاً من لدن الله لم يتظاهر بإنكار دعوات كلٍّ من موسى وعيسى، كل مجهوده انحصر في تنقيتهما على ما جاء من القرآن ، الذي وضع في

---

[١] فنساي مونتساي: المنصور بالله الشافعي : فرنسي ، رجل بحث وترحال ، اختص بدراسة القضايا الإسلامية والعربية، عن كثب، قضى سنوات عديدة في المغرب والمشرق وأفريقيا وآسيا ، ونشر عشرات الأبحاث والكتب عن الإسلام والحضارة الإسلامية ، وانتهى الأمر به إلى إسلامه في صيف عام ١٩٧٧ (رجال ونساء أسلموا ٤٥/٥).

[٢] عبد الله كويليام : مفكر انكليزي ، ولد سنة ١٨٥٦ ، وأسلم سنة ١٨٨٧ ، وتلقب باسم :(الشيخ عبد الله كويليام). من آثاره : (العقدة الإسلامية) (١٨٩٩) ، (أحسن الأجوبة) ، (العقيدة الإسلامية ص ١١٩)

العام الأول مهاجمة مبدأ الثلاثية، منبهاً إلى أن عيسى ليس سوى رجل ابن مريم وليس بابن الله ، والقول بأن الله له ولد ، هذا شرك كبير تنشق له السماء وتنفتح له الأرض وتنسحق له الجبال. أما روح القدس فما هو إلا بمثابة ملاك مثل جبريل ، دوره هو أن ينقل إلى عيسى ومحمد صلوات الله عليهم جميعاً الدعوة المقدسة ، أما مريم فهي مريم العذراء وليست بأم الله [1].

وتقول د. إلس ليختنستارتر : إن المسلم العصري يعتقد أن كتابه المنزل يسمح له ، بل يوجب عليه ، أن يعالج مشكلات عصره بما يوافق الدين ولا يضيع المصلحة أو يصد عن المعرفة كما انتهت إليها علوم زمنه .. وإن مزية القرآن – في عقيدة المسلم – أنه متمم للكتب السماوية ويوافقها في أصول الإيمان ، ولكنه يختلف عنها في صفتها العامة فلا يرتبط برسالة محدودة تمضي مع مضي عهدها ولا بأمة خاصة يلائمها ولا يلائم سواها. وكل ما يراد به الدوام ، ينبغي أن يوافق كل جيل ويصلح لكل أوان .

إنه من الضروري لإدراك عمل القرآن من حيث هو كتاب ديني وكتاب اجتماعي أن تدرك صدق المسلم حين يؤكد أن القرآن يمكن أن يظل أساساً لإدراك الحكم المعقدة التي تعالج مشكلات المجتمع الحديث. فإن النبي ﷺ يرى أن القرآن هو حلقة الاتصال بين الإله في كماله الإلهي وبين خليقته التي يتجلى فيها فيوضه الربانية وآيتها الكبرى الإنسان . وأن واجب الإنسان أن يعمل بمشيئة الله للتنسيق بين العالم الإلهي وبين عالم الخلق والشهادة ، وخير ما يدرك به هذا المطلب أن تتولاه جماعة إنسانية تتحرى أعمق الأوامر الإلهية وألزمها ، وهي أوامر العدل للجميع ، والرحمة بالضعيف والرفق والإحسان ، وتلك هي الوسائل التي يضعها الله في يد الإنسان لتحقيق نجاته ، فهو من ثم مسئول عن أعماقه ومسئول كذلك عن مصيره [2].

ويقول جاك . س. ريلير : إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا ، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي ، ويسعى إلى خلق النظام ، والوحدة الاجتماعية ، وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات. إنه يسعى إلى الأخذ بالمستضعفين ،

---

(١) هنري سيرويا : مستشرق فرنسي. من آثاره : (موسى ابن ميمون : ترجمته وآثاره وفلسفته) (١٩٢١) (الصوفية والمسيحية واليهودية) ، (فلسفة الفكر الإسلامي) ، (فلسفة الفكر الإسلامي ص ٣٢- ٣٣) .

(٢) الدكتورة اليس ليختنستارتر : سيدة ألمانية درست العلوم العربية والإسلامية في جامعة فرانكفورت ، ثم جامعة لندن، وأقامت زهاء ثلاثين سنة بين بلاد الشرقين الأدنى والأوسط ، وعنيت عناية خاصة بدعوات الاجتهاد والتجديد والمقابلة بين المذاهب. من مؤلفاتها : الإسلام والعصر الحديث، عن العقاد : ما يقال عن الإسلام ص١٩.

ويوصي بالبر ، ويأمر بالرحمة، وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي ، ونظم العقود والمواريث ، وفي ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال والأرقاء والحيوانات والصحة والملبس ، إلخ [1].

للمسيح عليه السلام في القرآن مقام عالٍ ، فولادته لم تكن عادية ، كولادة بقية الناس ، وهو رسول الله الذي جهر عن مقاصده وحدث عن ذلك أول شخص كلمه ، وهو كلمة الله أو روح الله ألقاها إلى مريم ، وأنه من البشر .

كان محمد ﷺ يعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحي ، وكان مبلغ حرصه أن يكون أميناً مصغياً أو سجلاً صادقاً أو حاكياً معصوماً لما يسمعه من كلام الظل الساطع والصوت الصامت للكلام القديم على شكل دنيوي ، لكلام الله الذي هو أم الكتاب ، للكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة. ولا بد لكل نبي من دليل على رسالته ، ولا بد له من معجزة يتحدى بها .. والقرآن هو معجزة محمد ﷺ الخالدة ، فأسلوبه المعجز وقوة أبحاثه لا تزال إلى يومنا هذا يثيران ساكن من يتلونه ، ولو لم يكونوا من الأتقياء العابدين ، وكان محمد ﷺ يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله ، وكان هذا التحدي أقوم دليل لمحمد على صدق رسالته ، ولا ريب أن في كل آية منه ، ولو أشارت إلى أدق حادثة في حياته الخاصة ، تأتيه بما يهز الروح بأسرها من المعجزة العقلية ، ولا ريب في أن هنالك ما يجب أن يبحث به عن سر نفوذه وعظيم نجاحه.

وفي النهاية نردد مع الأستاذ الكبير عباس العقاد ما قاله في كتابه : إنما بحثنا هذا محاولة للتعريف بعظمة محمد ﷺ ؛ فمحمد ﷺ كان عظيماً ؛ لأنه قدوة المقتدين في المناقب التي يتمناها المخلصون لجميع الناس ، وإيتاء العظمة حقها لازم في كل آونة وبين كل قبيل .. ولكنه في هذا الزمن وفي عالمنا هذا ألزم منه في أزمنة أخرى، لسببين متقاربين لا سبب واحد :

- **أحدهما :** أن العالم اليوم أحوج مما كان إلى المصلحين النافعين لشعوبهم وللشعوب كافة .. ولن يتاح لمصلح أن يهدي قومه وهو مغموص الحق ، معرض للجفوة والكنود.

- **والسبب الآخر :** أن الناس قد اجترأوا على العظمة في زماننا هذا بقدر حاجتهم إلى هدايتها .. فإن شيوع الحقوق العامة قد أغرى أناساً من صغار النفوس بإنكار

---

[1] جاك. س. ريلير : باحث فرنسي معاصر ، بالمعهد الإسلامي بباريس – الحضارة العربية ، ص ٣٠ – ٣١ .

الحقوق الخاصة ، حقوق العلية النادرين الذين ينصفهم التمييز وتظلمهم المساواة ، والمساواة هي شريعة السواد الغالبة في العصر الحديث ..

وحسبنا من (بحثنا هذا) أن نقيم البرهان على أن محمداً عظيم في كل ميزان : عظيمٌ في ميزان الدين ، وعظيم في ميزان العلم ، وعظيم في ميزان الشعور .

إن عمل محمد لكافٍ جد الكفاية لتخويله المكان الأسنى من التعظيم والإعجاب والثناء ، إنه ينقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى الإيمان بالله ، ولم تكن أصناماً كأصنام يونان يحسب للمعجب بها ذوق الجمال إن فاته أن يحسب له هدى الضمير .. ولكنها أصنام شائهات كتعاويذ السحر التي تفسد الأذواق وتفسد العقول .. فنقلهم محمد من عبادة هذه الدمامة إلى عبادة الحق الأعلى .. عبادة خالق الكون الذي لا خالق سواه ، ونقل العالم كله من ركود إلى حركة ومن فوضى إلى نظام ، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية ، ولم ينقله هذه النقلة ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات.

إن عمله هذا لكافٍ لتخويله المكان الأسنى بين صفوة الأخيار الخالدين ، فما من أحد يضن على صاحب هذا العمل بالتوقير، فإذا رجح بمحمد ميزان العبقرية ، وميزان العمل ، وميزان العقيدة فهو نبي عظيم وبطل عظيم وإنسان عظيم [1].

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

وهكذا باستعراض ما قاله علماء المسلمين وغير المسلمين عن الشخصية المحمدية ، نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف في محاولة التعرف على نبي الرحمة ﷺ ، ورسم الملامح العريضة لمنهاجه الإصلاحي الهادف إلى الارتقاء بالإنسان والأمة .. أما أعماق ذلك النبي الكريم وما تموج به من تيارات نورانية ، فهي تخرج عن نطاق جهدنا المتواضع وطاقتنا البشرية المحدودة .. فمثلنا كمثل من وقف على شاطئ بحر لجي عريض كل ما يمكنه هو إطلاق وصف عام عليه ، أما وصف خزائن ذلك البحر من لآلئ وأصداف فهو من الأمر العسير بكل المقاييس .. ويكفينا فخرا وشرفا أننا وقفنا بحذاء بحر النبوة العذب وارتشفنا منه قطرات تروي ظمأنا نحو المعرفة ، وتروي ظمأ كل من يتحرق شوقا إلى ينبوع عذب رقراق في هجير الصراعات البشرية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[1] عبقرية محمد ص ٦:٩ عباس محمود العقاد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: كتب التفسير:

*تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ط- دار الفكر – بيروت ١٤٠٥ هـ

*تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن الكريم) ط-دار الشعب-القاهرة ١٣٧٢-تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني.

*تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ط- دار الفكر- بيروت ١٤٠١هـ.

*تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ط - دار المعرفة – بيروت بدون تاريخ.

ثالثاً: كتب الحديث:

*الأحاديث المختارة، للضياء المقدسى محمد بن عبدالواحد، ت٦٤٣هـ، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة.

*الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى، ت٧٣٩هـ، قدم له كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى١٤٠٧هـ.

*الأدب المفرد للإمام البخارى، ت٢٥٦هـ، تحقيق: أحمد عبد الرازق البكري ط. دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة .

*الأسماء والصفات للبيهقى أحمد بن الحسن ت٤٥٨هـ، تحقيق د/ عبدالرحمن عميرة. دار الجيل، ط أولى١٤١٧ .

***الإصابة في تمييز الصحابة،** لابن حجر العسقلاني ط. دار الجيل بيروت.

***ترتيب مسند الإمام أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى،** ت٢٠٤هـ، رتبه المحدث محمد عاب السندى، نشره السيد يوسف بن على الزواوى، السيد عزت العطار الحسينى١٣٧١هـ/١٩٥١م.

***الترغيب والترهيب،** للمنذرى زكى الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى، ت٦٥٦هـ، تحقيق محيى الدين ديب مستو، دار ابن كثير، دمشق، ط ثانية١٤١٧هـ.

***التمهيد** لابن عبد البر، ط. وزارة عموم الأوقاف المغرب.

***الجامع،** لمعمر بن راشد الأزدي، ط. المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣ هـ

***الجامع الصحيح** (سنن الترمذى) لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت٢٩٧هـ، تحقيق الشيخ/ أحمد محمد شاكر، ط. دار الكتب العلمية، ط الأولى١٤٠٨هـ.

***الجامع الصغير للسيوطى:** عبد الرحمن بن أبى بكر، ت٩١١هـ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

***حلية الأولياء** لأبي نعيم الأصبهاني، ط. دار الكتاب العربي بيروت.

***دلائل النبـوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة،** لأبـى بكر أحمد بن الحسين البيهقى، ت٤٥٨هـ، خرج أحاديثه د/ عبد المعطى قلعجى، دار الريان للتراث.

***الزهد لأحمد بن حنبل** ط. دار الكتب العلمية بيروت.

الزهد لابن أبي عاصم، ط. دار الريان للتراث، القاهرة.

***الزهد لعبد الله بن المبارك** دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

***الزهد لـهناد بن السرى،** تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار، دار الخلفاء، الكويت، ط أولى١٤٠٦ .

***سلسلة الأحاديث الصحيحة،** لمحمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى.

***سنن ابن ماجه:** محمد بن يزيد القزوينى، ت٢٧٣هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، مطبعة فيصل عيسى الحلبى.

*سنن أبى داود، لبى داود: سليمان بن أشعث السجستانى، ت٢٧٥هـ، تحقيق عزت دعاس، نشر محمد على السيد، حمص، سوريا، الطبعة الأولى،١٣٨٨هـ.

*سنن الدارقطنى: على بن عمر، ت ٣٨٥هـ، تحقيق عبدالله بن هاشم الألبانى، دار المحاسن للطباعة، القاهرة، نشره المحققة.

*سنن الدارمى: الإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى، تحقيق/ فواز أحمد زمزلى، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

*سنن سعيد بن منصور، ت٤٥٨هـ، تحقيق عبدالرحمن الأعظمى، الدار السلفية، بمياى، الهند.

*السنن الكبرى للإمام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسن بن على البيهقى، ت٤٥٨هـ، دار المعرفة*بيروت، وفى ذيله الجوهر النقى لابن التركمانى، ت٧٤٥هـ.

*السنن الكبرى. تصنيف الإمام أبى عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائى، تحقيق د/ عبدالغفار سليمان البندارى، دار الكتب العلمية، ط الأولى١٤١١هـ.

*سنن النسائى: أحمد بن شعيب، ت٣٠٣هـ بشرح الحافظ السيوطى، دار القلم، بيروت.

*شرح السنة للبغوى: الحسين بن محمد الفراء، ت٥١٦هـ تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

*شُعب الإيمان، لأحمد بن الحسن البيهقى، ت٤٥٨هـ، تحقيق أبى هاجر محمد السعيد بن بسيونى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

*صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق النيسابورى، ت٣١١هـ، تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمى، المكتب الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

*صحيح البخارى لأبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى، ت٢٥٦هـ، كتاب الشعب، ١٣٧٨هـ.

*صحيح مسلم للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، ت٢٦١هـ. تصحيح وترقيم/ محمد فؤاد عبد الباقى، ط دار الفكر*لبنان١٤٠٣هـ.

*الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد ط. دار صادر بيروت.

*العظمة لأبى الشيخ الأصبهانى أبى محمد عبدالله بن محمد بن جعفر، ت٣٦٩هـ، تحقيق رضا الله بن إدريس دار العاصمة*الرياض*النشرة الأولى١٤٠٨هـ.

*فتح البارى شرح صحيح البخارى، للحافظ ابن حجر العسقلانى، دار الريان، ط أولى١٤٠٧هـ.

*الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار، للإمام الحافظ عبدالله محمد بن أبى شيبة، ت٢٣٥هـ، بدون بيانات.

*مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمى نور الدين على بن أبى بكر، ت٨٠٧هـ، دار الكتاب العربى، ط ثالثة١٤٠٢هـ.

*المستدرك على الصحيحين للحاكم أبى عبدالله النيسابورى، ت٤٠٥هـ تصوير دار الفكر، بيروت١٣٩٨هـ.

*مسند إسحاق بن راهويه لإسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي، ط. مكتبة الإيمان المدينة المنورة ١٩٩٥م تحقيق: د. عبد الغفور عبد الحق حسين بر البلوشي.

*مسند أبي حنيفة لأحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (أبو نعيم).

*مسند أبى داود الطيالسى، سليمان بن داود بن الجارود المتوفى ٢٠٤هـ تحقيق د/ محمد بن عبد المحسن التركى، دار هاجر للطباعة والنشر القاهرة، ط أولى١٤٢٠هـ.

*مسند أبى يعلى الموصلى، أحمد بن على بن المثنى ت٣٠٧هـ، تحقيق/ حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث. دمشق، ط أولى١٤٠٤هـ.

*مسند البزار لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ط. مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم - بيروت، المدينة المنورة ١٤٠٩هـ، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الدين.

*مسند الشاميين لسليمان بن أحمد بن أيوب (أبو القاسم الطبراني) ط. مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٩هـ = ١٩٨٤م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

*المسند، للإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ، تصوير٠ المكتب الإسلامى عن طبعة بولاق٠

*مسند عبد بن حميد لعبد بن حميد بن نصر، أبو محمد الكسي، ط. مكتبة السنة القاهرة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي**مسند الشهاب القضاعى، القاضى محمد بن سلامة ت٤٥٤هـ، تحقيق حمدى عبدالمجيد السلفى، مؤسسة الرسالة، ط أولى١٤٠٥هـ٠

*المصنف، لعبد الرزاق الصنعانى، ت٢١١هـ، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمى، المكتب الإسلامى، تصوير عن طبعة المجلس العلمى، ط ثانية١٤٠٣هـ٠

*المعجم الصغير لسليمان بن أحمد بن أيوب (أبو القاسم الطبراني) ط. المكتب الإسلامي، دار عمان-بيروت، عمان ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير.

*المعجم الوسيط، لأبى القاسم الطبرانى، ت ٣٦٠هـ، تحقيق طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م٠

*المعجم الكبير للطبرانى، سليمان بن أحمد، ت٣٦٠هـ، تحقيق/ حمدى عبدالمجيد السلفى، مطبعة الوطن العربى٠ ط ثانية٠

*موارد الظمآن إلى زوائد ابن حيان للهيثمى، ت ٨٠٧هـ، تحقيق حسين سليم أسد الدارانى، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ٠

*الموطأ للإمام مالك بن أنس، صححه وخرج أحاديثه محمد فؤاد عبدالباقى ، كتاب الشعب.
*موسوعة أصول الفكر السياسى و الاجتماعى و الاقتصادى من نبع السنة الشريفة و هدى الخلفاء الراشدين: خديجة النبراوى*دار السلام

رابعا: كتب اللغة:

*غريب الحديث لأبي القاسم بن سلام (ت ٢٢٥هـ) ط. حيدر آباد. بدون تاريخ.
*النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ط. الخيرية. بدون تاريخ.
*لسان العرب لابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ) ط. دار المعارف. بدون تاريخ.
*المصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠هـ) المطبعة الأميرية. مصر. ط ثالثة ١٩١٢م.
*مختار الصحاح للرازي (ت ٦٦٦هـ) ط. دار البصائر ١٩٨٥م.
*المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. ثالثة ١٩٨٥م.

خامسا: كتب الفقه:

*الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي، ط. دار الفكر.
*بداية المجتهد ونهاية المقتصد للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد. ط. دار الفكر.
*بدائع الصنائع للكاساني. ط. دار الفكر.
*الأنوار لأعمال الأبرار للأردبيلي ومعه حاشية الكمثري، وحاشية الحاج إبراهيم.
*حاشيتا القليوبي وعميرة على شرح المحلى على المنهاج.
*روضة الطالبين للنووي. ط. المكتب الإسلامي.

*زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية مؤسسة الرسالة.
*الفتاوى الكبرى لابن تيمية.
*الكافي في فقه الإمام أحمد لأبي محمد بن قدامة المقدسي المكتب الإسلامي.
*المغني مع الشرح الكبير لابن قدامة المقدسي. ط. دار الفكر.
*المهذب لأبي إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦÷) ط المنيرية.
*المحلى لابن حزم. ط. دار الفكر.
*فقه الكتاب والسنة د. أمير عبد العزيز-ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
*الهداية شرح بداية المبتدي للمرغيناني تحقيق. محمد تامر. ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
*الوسيط في المذهب للغزالي تحقيق د. أحمد محمود، ومحمد تامر، ط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

سادسا: كتب التاريخ والسِّير:

*تاريخ الطبري. لابن جرير الطبري. ط. دار الفكر.
*السيرة النبوية لابن هشام. إحياء التراث العربي.
*السيرة النبوية لابن كثير. ط. دار المعرفة.البداية والنهاية لابن كثير. ط. مكتبة المعارف.

سابعا: الكتب العامة:

*إحياء علوم الدين*لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي – ط: دار السلام للطباعة والنشر
*الأسرة فى ضوء الكتاب والسنة ،د.السيد أحمد فرج، الوفاء للطباعة والنشر.
*أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لمحمد الطاهر بن عاشور ـ الشركة التونسية للتوزيع، الدار العربية للكتاب.

*تحرير المرأة فى عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة ، دار القلم ،الكويت(عدة أجزاء).
- الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام "دراسة مقارنة" لعبد الحكيم حسن العيلي ـ دار الفكر العربي ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.
*حرية الاعتقاد فى ظل الإسلام، د.تيسير خميس العمر ، دار الفكر سوريا.
*الحرية فى الإسلام ، د. على عبد الواحد وافى ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية.
*الحرية فى القرآن ، محمد عبد الواحد حجازى ، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر.
*حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها ، طه عبد الله العفيفى ، دار الاعتصام.
*الحقوق والحريات السياسية فى الشريعة الإسلامية ،د.رحيل محمد غرايبة ، دار المنار للنشر والتوزيع ، سلسلة الرسائل الجامعية رقم ٣٣.
*الخصائص العامة للإسلام ليوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة، مصر: الرابعة ١٤٩٠هـ = ١٩٨٩م.
*خصائص المجتمع الإسلامي – محمد عبد الله الخطيب – دار التوزيع والنشر
*دراسات لأحكام الأسرة ، د.محمد بلتاجى عميد كلية دار العلوم جامعة القاهرة، مكتبة الشباب.
*دور المرأة السياسى فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين. د.أسماء محمد زيادة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
*الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، للأستاذ محمد الراوى،الدار القومية للطباعة والنشر

*السلوك الاجتماعي في الإسلام – حسن أيوب – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

*شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ، أ.د.محمد عمارة.

*شريعة الإسلام صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، د.يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة.

*فتاوى معاصرة للمرأة والأسرة المسلمة ، د.يوسف القرضاوى، دار الإسراء القاهرة.

*كليات رسائل النور للإمام بديع الزمان سعيد النورسى – ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحى*شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثانية بمصر)١٤١٢ه*١٩٩٢م).

*كيف نفهم الإسلام ، محمد الغزالى ، دار الدعوة.

*ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبو الحسن علي الندوي - دار نهر النيل، القاهرة، مصر، ط: الثامنة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

*المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر ،د.عبد الله شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

*المرأة فى القرآن الكريم ، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، مكتبة الشعراوى الإسلامية، أخبار اليوم.

*المرأة فى ظلال القرآن ، عكاشة عبد المنان الطيبى ، دار الفضيلة.

*المرأة والعمل السياسى رؤية إسلامية ، هبة رؤوف عزت ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، سلسلة الرسائل الجامعية (١٨).

*ملامح المجتمع الإسلامى الذى ننشده ، د.يوسف القرضاوى، مؤسسة الرسالة.

*معالم المجتمع النسائى في الإسلام ، فضيلة الأستاذ الإمام السيد محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية، مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية.

*مقاصد الشريعة لمحمد الطاهر بن عاشور - الشركة التونسية للتوزيع.

*منهج القرآن في بناء المجتمع لمحمود شلتوت ـ دار الكتاب العربي، مصر، ط. وزارة الأوقاف المصرية ١٣٧٥هـ.

*نظام الحكم فى الإسلام، الشيخ منصور الرفاعى عبيد، الدار الثقافية للنشر.

*نظام الحكم فى الإسلام ، تقى الدين النبهانى، تنقيح عبد القديم زلوم ، دار الطباعة والنشر والتوزيع*بيروت*لبنان.

*النظام الدولي الجديد بين الواقع الحالي والتصور الإسلامي: لياسر أبو شبانة ـ دار السلام، القاهرة، مصر،ط: الأولى ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

*النظام السياسى فى الإسلام. د. عبد العزيز الخياط. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

*نفقة المرأة وقضية المساواة ، د.صلاح الدين سلطان ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الفهرس

اسم المؤلفة : خديجة عبد الله عبد الله النبراوي
العنـــــوان : ١ شارع غانا متفرع من شارع الحجاز أمام الميريلاند
روكسي — مصر الجديدة — القاهرة — جمهورية مصر العربية
الهــــاتف : ٢٥٨٢٨٤١ — ٠١٠٦٥١٧٢٩٣
البريد الألكتروني : khadiga_elnabarawy@yahoo.com